

www.sa7eralkutub.com
www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/
المصعد رقم
وائل رداد
ساحر الكتب
المجموعة الدولية للنشر والتوزيع
مفتاح فضي يشابه السونكي..
مخترع عبقري مجهول..
فتاة عرجاء ثرية مهددة بالقتل..
شارع يسمونه "الصحراء القاحلة"..
تحر ذكي لا ينام..
قاتل أطفال مشعوذ ينشد الانتقام..
عالم حيث تتحول فيه المقدرات الخارقة إلى
وبال يجلب التعاسة على رؤوس أصحابها..
والحرب العالمية الثالثة..
"الأمور باتت واضحة الآن"!
تصميم الغلاف
DARAJ
المجموعة الدولية للنشر والتوزيع
جميع حقوق الطبع للناشر
ISBN 977781026-8
9789777810289

www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/



www.sa7eralkutub.com



إهـــداء

إلى «N».

وائـل رداد

www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/

الفصــل الأول

ســر المفتاح

www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/

1

تفكرت (حنين) بعوالمها الخاصة وهي غارقة في تأملات مبهمة من نافذة المكتب الواسع فاخر التأثيث، حيث راقبت المباني شاهقة الارتفاع ببصر شارد..

توفي والدها رجل الأعمال المعروف قبل شهرين تاركا لها مسؤولية ضخمة ومروعة في عالم الاستيراد والتصدير، والدتها توفيت عقب ولادتها، تاركة إياها لمربية شاء الله أن تكون امرأة بلا ديانة حقيقية، فنشأت على أفكار ومعتقدات خاوية بلا أمل، بل إنها أحيانا كانت تتبختر بإلحادها في مرحلة الجامعة..

تلك المرأة خاوية العقيدة ماتت في حادثة غريبة بعض الشيء، ففي أحد الأيام كانت تهم بعبور الشارع عندما استوقفتها طفلة طالبة منها مساعدتها في العبور للضفة الأخرى من الرصيف، لكن المربية رفضت ذلك، وانطلقت تعبر الشارع وحدها وبكل استعجال وأنانية..

وعندما بلغت منتصف الطريق أصيبت بدوار مفاجئ جعلها تترنح، ولم تفق إلا بعدما فوجئت بسيارة رياضية ترتطم بها مبعثرة أشلاءها في كل ناحية..

www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/

الغريب في الأمر حقا هو سائق السيارة الذي صدمها، فقد اتضح لاحقا بأنه شقيقها الذي تخلى عنها منذ الصغر، وقد كان ملحدا مثل شقيقته المربية تمامًا، ولم يحدث أن التقى بها منذ هروبه إلا بتلك الطريقة المأساوية العجيبة!

منذ ذلك الحين و(حنين) وحيدة.. قد كان ذلك يزعجها كثيرا ويشعرها بكراهية عظمى تجاه والدها، فالرجل ظلَّ بمنأى عن ابنته منشغلا بأعماله التي تدر أرباحا خيالية والتسلي بمعاقرة الشراب، وفي النهاية عاقبه الله بالموت في سن الأربعين..

ولكن، لحسن الحظ كان هناك عم (رشيد) الذي خدم والدها لعشرين سنة كاملة، وقد كان رجلا طيبا مخلصا لسيده، كما أنه متدين، وقد اصطحب (حنين) عندما كانت صغيرة للمسجد عدة مرات، وأهداها مصحفا صغيرا ذات مرة أوصاها بقراءته وبحفظه إذا أمكن، وحدث أن وجدت المربية المصحف في غرفة (حنين)، فأخذته منها سرا، ولما علم عم (رشيد) ثار وقام بضربها واستعادته، فأسرعت تشكو ذلك لسيدها، لكن الأخير ما إن أدرك السبب حتى قام بتعنيفها وتوبيخها، بل وقام بخصم جزء من مرتبها كعقوبة لها!

عم (رشيد) كان موجودا دائما لأجل (حنين)، كان دائم النصح لها، ويتولى توصيلها للمدرسة كل يوم ويأخذها للنادي، وأحيانا يطلب منها مساعدته في البستان..

عم (رشيد) بمثابة أب حقيقي لها، وقد كان صوت الضمير النقي بالنسبة لها أيضًا..

في الأسبوع الماضي وصل تشخيص حالة الرجل المسن، كان يعاني من سرطان الدم، وأيامه في الحياة باتت معدودة..

وعندما يرحل الرجل الطيب ستصير (حنين) وحيدة تمامًا..

عادت مرة أخرى للتدقيق من نافذة الشركة وقد امتزجت حواجبها في كآبة.. لم تتنبه لجهاز «الديكتافون» الذي اشتعل لينبعث من سماعته صوت السكرتيرة..

شعرت برأسها يرتعش، وبخواء همست وأناملها تدعك جبهتها:

- «أرجو المعذرة يا (سعاد).. ماذا كنتِ تقولين؟».
- «الآنسة (مرام) مندوبة العلاقات العامة..».
- «أخبرتكِ أن تدخليها وقتما تشاء..».
- «كما تأمرين..».

دخلت فتاة حسناء عقب برهة وقد تبدى ارتباك داع للريبة في تقاسيمها المليحة، فقالت لها (حنين) باسمة:

- «يوم جديد داخل دهاليز متشابكة!».
- «كان الله في عونكِ يا آنسة!».

دعتها للجلوس وهي تردف ببسمة حزينة:

- «ماذا أفعل هنا يا (مرام)؟ مكاني ليس هنا حتما..».
- «أنتِ الوريثة الوحيدة لهذه الشركة يا آنسة..».
- «لستُ ملمة بعالم الأعمال البغيض، أنا مجرد..».

www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/

جلست (مرام) على الكرسي المقابل لمكتبها والتردد بادٍ في محياها.. لاحظت (حنين) ذلك، فشعرت بالتوتر يسري في عروقها..

- «ما الخطب؟».

تنحنحت (مرام) قبل أن ترد:

- «الواقع بأني تلقيت في مكتبي صباح اليوم شيئا غريبا بعض الشيء، رأيت أن من الأفضل أن تلق بنظرة عليه.. شيء خاص بكِ على ما أعتقد..».

وناولتها بطاقة مجعدة، فتناولتها مستغربة..

كان هنالك رسم غريب يمثل هرًا من نوع ما يلوك بين أنيابه فأرًا.. وعلى ظهر البطاقة كتابة بخط قبيح تقول:

«إلى الآنسة (حنين زاهر)، وريثة شركة (النسمة) للاستيراد والتصدير..

أنت لا تعرفينني، لكنني أعرفكِ، توقعي مني الكثير في الأيام القادمة!».

رفعت عينان حائرتان اتجاه الفتاة وقد عجزت تمامًا عن النطق، فأسعفتها بالقول:

- «أنا أظنها مجرد دعابة ثقيلة الظل..»

- «لا يوجد تفسير آخر..»

هكذا مزقت البطاقة راسمة على شفتيها ابتسامة مرتبكة..

ولكن وبعد مغادرة (مرام)، عاودها شعور الارتياب الذي كثيرا ما يساورها هذه الأيام..

شعرت بتوتر بالغ دفعها إلى ضغط زر «الديكتافون» قائلة لسكرتيرتها:

- «اطلبي لي المسئول عن أمن الشركة..».

وانتظرت وهي تنقر سطح مكتبها بأطراف أظافرها الوردية حتى سمعت طرقا على الباب..

دخل الرجل حاملا جهاز اللاسلكي، فأسرعت (حنين) تسأله ملهوفة:

- «كيف إجراءات الأمن في الشركة؟».

تأملها الرجل مستخفا قبيل قوله باسما:

- «تأكدي يا آنستي أنها تجري في منتهى الدقة..».

- «أريد مراجعة وسائل الأمن بنفسي!».

شعر الرجل بالدهشة، لكنه قال خاضعا:

- «تحت أمرك..».

وعقب دقائق، كانت تسير بخطواتها العرجاء وخلفها مسئول الأمن..

كانت البائسة قد أصيبت بشلل الأطفال في سن التاسعة، وحتى اليوم لم تتمكن من السير بشكل طبيعي.. قبل أسابيع لم تكن لتجرؤ على الظهور أمام الموظفين الذين كانوا يرمقونها بنظرات متباينة

www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/

ما بين الإشفاق والاستهزاء وهي تعرج اتجاه مكتبها، أما الآن فقد اضطرت لتقبل الأمر والاعتياد على تلك النظرات البغيضة إذا ما أرادت العمل والظهور بمظهر المديرة الحازمة..

سألتها الآنسة (مرام) حائرة وهي تلحق بها:

- «أهذا ضروري؟».

- «بل هو التصرف الصحيح الوحيد..».

أشار المسئول في تلك اللحظة إلى بوابة الشركة التي تنفتح أوتوماتيكيا وقال:

- «يتضمن هذا الباب الالكتروني جهازا لكشف الأسلحة.. فما إن نستقبل من حجرة الأمن الإشارة حتى تسرع فرقة أمنية إلى أي مشتبه به لتوقيفه.. كما أن البوابة وجميع النوافذ زجاجها مضاد للرصاص.. كاميرات المراقبة تملأ الحجرات والمكاتب والقاعات وتعمل بكفاءة، حيث بإمكاننا مراقبة المكان كله دونما مشاكل أو محاولات تسلل.. كما أن حراس الشركة ينتشرون في كل مكان حاملين أجهزة اللاسلكي لإعلامنا بكل ما يحدث، والتأكيد على استتاب الأمن يتم كل خمس دقائق.. وبهذا يمكنك رؤية أن كل شيء على خير ما يرام..».

- «ماذا عن نظام الحرائق؟».

- «يعمل بكفاءة أيضًا، حتى مخارج الطوارئ مراقبة..».

- «لا بأس، أريد أن يتم توصيل شاشات للمراقبة في مكتبي أيضًا..».

وتحركت نحو مكتبها تاركة (مرام) تتبادل النظرات مع المسئول عن الأمن، قبل لحاقها بها قائلة بابتسامة مندهشة:

- «مطلب غريب بعض الشيء، لكنه ليس عسير التحقيق..».

همست مغتاظة وخطواتها العرجاء توجهها ناحية المصعد:

- «تبا للوغد الذي أرسل لي تلك البطاقة اللعينة! قد نال من أعصابي تمامًا..».

■ ■ ■

القدر ضرب ضربته القاصمة..

الفتاة الحالمة والتي تخرجت من كلية الفنون الجميلة وجدت نفسها مدفوعة دفعا داخل عرين عالم الأعمال الموحش! ماذا تصنع داخله بالضبط؟ كيف انتهى بها الأمر في شركة ضخمة للاستيراد والتصدير؟ كيف ستتخذ قرارات صحيحة بصدد العمل؟ هل سيساعدها مجلس الإدارة أم سيعمل على نهبها؟

تناولتها الأفكار كسواطير تقطع خلايا مخها بلا هوادة، وهي تعرج على مطعم لشراء وجبة طعام فاخرة لعم (رشيد) الراقد داخل المستشفى، فهي بحاجة ماسة لرؤيته قبل أن تنهار أعصابها تمامًا.. عم (رشيد) الحكيم، كم هي بحاجة لنصحه وإرشاده في هذا

www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/

الموقف الدقيق الذي قد تجد عشرات يحسدونها عليه، في حين هي زاهدة أشد الزهد فيه!

هـل تبيع الشـركة؟ أتراه الأمر بهذه السـهولة؟ إنها لا تبيع سـيارة مسـتعملة بل شـركة يعمل بها عشـرات الموظفين، لكنها متأكدة من كونهـا لا تفقه شـيئا في إدارتهـا، ولن تتمكن من اسـتخدام ما تعلمته فـي كلية الفنون الجميلة فـي إدارة أعمال والدها الراحل الذي وهب حياتـه لدفع الشـركة للنجاح، ولـم تعتبر نفسـها مسـئولة عن محاولة تدمير حلمه، فذلك أمر يخصه هو لا هي!

فتاة بسيطة وبموقف غير بسيط.. شكرا لك يا والدي على إزعاجي حتـى وأنت راقد في قبرك! كنـت تهتم بالأمور المالية وتدعني أصنع ما يحلو لي بسـلام! والآن صار من المتوجب علي رد المعروف لك ولشركتك! فماذا أصنع بالله عليك؟

وصلت المستشفى بسـيارتها "الميني كوبر" الحمراء، لم تحاول شـراء سـيارة فخمة بسـائق فهي ليسـت مـن ذلـك الطراز، كمـا أنها متعلقـة بتلك السـيارة نوعا، مـن يراها تقودها لا يصـدق أنها الوريثة الشرعية لواحدة من أكبر شركات الاستيراد والتصدير..

اتجهـت إلـى العاملة في قسـم بيانات المرضى كي تسـأل متلهفة عمن اعتبرته والدها الأثير إلى قلبها..

لكن الخبر الأسوأ كان بانتظارها للأسف..

لقد توفي عم (رشيد) قبل حوالي ساعة واحدة فقط..

2

رغـم أنه طالب إلا أنه وزع بطاقات أنيقة ومزخرفة، تحمل اسـمه مطبوعا بعناية مع شعار منتقى:

«ورشة (جلال) لتصليح أجهزة الحاسوب..»

وعلى باب حجرته في السـكن، وضع لافتة بخط يده تحمل ذات بيانات بطاقاته..

يمر مشـرف السـكن ليلمح تلك اللافتة، فيتوقـف ليقول وعروق جبهته تكاد تطق:

– «ماذا تصنع؟ أزل اللافتة حالا، هذا سكن وليس دكانا..»

يرفع الشاب المنفر «الفانلة» كي يهرش بطنه غزيرة الشعر مجيبا:

– «لـم نصنع ما يسـيء لسـمعة السـكن، هـل قرأت بأنـي أبيع الخمور أو أروج للدعارة أو المخدرات؟»

يبهـت وجه الرجل الكهل، ومن ثم ينسـحب مقـررا صون كرامته من سلاطة لسان الفتى المتهكم..

www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/

ويفد عدد من الطلبة حاملين معهم حواسيبهم..

- «أرنا شطارتك يا (جلال)!»

فيلقي بسيجارته جانبا، ويرد عليهم فاتحا باب حجرته بالمفتاح لهم:

- «أنا لها!»

ويدخل الحجرة التي تفضح إهمال صاحبها.. ملابس خارج الخزانة، علب بيرة متناثرة على الأرضية كي يتعثر بها الداخل والخارج، بقايا طعام وأطباق قذرة في المجلى..

يتسلم (جلال) الأجهزة الثمينة، فيعمد إلى تفكيكها والاستيلاء على كل ما هو ثمين وجديد داخلها، ويقوم بتبديل القطع الممتازة بأخرى قديمة وعتيقة لكن بإمكانها الصمود لبعض الوقت..

يحضر الطلبة لاستلام أجهزتهم، فينخدعون بالعطب المؤقت الذي أخفاه الفتى المحتال بمهارة، يدفعون ما يطلبه - وهو سعر منافس لسعر السوق-، ثم يرحلون ومعهم الأجهزة وقد ارتسمت بسمات راضية على وجوههم وبأشكال عريضة..

وليت الأمر اقتصر على ذلك الجانب فحسب!

كانت فترة عصيبة على طلبة تشاد وموريتانيا وجزر القمر، الذين نالوا بعثات دراسية باجتهادهم الذي لاشك فيه، فقد اعتادوا الرجوع

من المحاضرات مرهقين جائعين، ليجدوا أكياس الطعام التي يقوم بإيصالها العامل الذي اتفقوا مع مطعمه غير متواجدة أمام أبواب غرفهم!

- «سرق الطعام يا ناس!»

- «سكن حرامية!»

وينطلقون صوب مكتب المشرف وأصواتهم تسابقهم إلى هناك، كلها غضب واهتياج..

المشرف يستقبلهم بسحنة كالحة، فيصيح مدركا بأن ثمة كارثة قد وقعت:

- «ماذا حدث؟».

- «سرق الطعام! أين طعامنا؟!».

تنفس الرجل بعمق، يا للمصيبة! وأنصت بصبر للحكاية كاملة قبيل قوله المهموم:

- «سأجد الفاعل وأؤدبه..».

- «وطعامنا؟».

- «عوضكم على الله!».

كما أنه لم يتمكن من اكتشاف الفاعل!

■ ■ ■

www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/

لم يتمكن (جلال) من مواصلة دراسته الجامعية، فعمد في نهاية الفصل إلى احتمال ماله وأغراضه والرحيل دونما رجعة.. كان مدينا للعديد من الطلبة بمبالغ كبيرة اقترضها بحجج واهية..

كما أن قسم أجهزة الحاسوب في الجامعة قد فقد أربعة أجهزة دفعة واحدة في الليلة التي سبقت رحيله!

رحل (جلال) وأحلام أقرب للهواجس تطارده، كان يبحث عن شخص ما يهمه أمره كثيرا..

اعتصر ذاكرته حتى وجد نفسه أمام منزل صغير وكثيب المنظر إلى حد بعيد، فابتسم لرؤيته بظفر.. دنا من الباب المعدني الصدئ وقرعه عدة مرات، ثم طفق ينتظر بنفاد صبر..

فتح الباب شاب مبعثر الهيئة، ذا ذقن نامية وشعر منكوش، من الواضح أنه كان يغط في نوم عميق قبل أن يوقظه (جلال) بهذه الزيارة السعيدة!

- «كيف حالك يا (علوان)؟»

- «(جلال صابر)؟! أشرقت وأنورت!»

قالها باستهزاء صريح، فتمتم (جلال) غير مبال:

- «ليس هذا وقت الاستهزاء! أهكذا ترحب بصديق قديم؟».

- «لا أذكر أننا كنا أصدقاء، كنا شركاء في سكن الجامعة فحسب..».

- «هذا يكفي لأن نصير أصدقاء، أليس كذلك؟».

- «وماذا تعرف أنت عن الصداقة؟ أنسيت ما ورطتني به في السكن؟ أفاعيلك الطائشة دفعتني إلى تركه بأكمله لك!».

- «لا أحسبك تبقيني في الخارج هكذا يا شريكي القديم!».

رمقه (علوان) بنظرة ضائقة، ثم أفسح له كي يدخل..

- «معذرة على فظاظتي، لكنني في حال متدهورة حقا..».

دخل (جلال) رامقا بنظراته المزدرية الأثاث المغبر، قبل أن يتخذ لنفسه مجلسا على أريكة قديمة وممزقة، في حين وضع (علوان) إبريق الشاي على نار هادئة في المطبخ وهو يقول بصوت شبه مرتفع:

- «كيف تبلي في الجامعة؟».

- «تركتها لهم..».

- «حقا؟ هل طردوك أخيرا؟».

- «كان هذا حلمهم الكبير الذي تحقق!».

وتبسم ساخرًا وهو يخرج من جيبه علبة سجائر.. دسَّ واحدة في ثغره الضيق متمتما:

- «ماذا عنك أنت؟».

- «ماذا؟».

- «ما أخبار مشروعك الكبير الذي لطالما حدثتني عنه؟».

www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/

ظهر (علوان) حاملا كوب شاي ناوله لجلال مجيبا:

- «في الحقيقة..».

- «أحقا ستخبرني بها؟ أم تريدني أنا أن أخبرك؟».

- «يبدو وأن الأخبار قد وصلتك..».

- «حظ سيء يا صديقي..».

- «الأعمار بيد الله، قد مات الرجل في أسوأ توقيت، لكن الفرصة لازالت قائمة..».

- «كيف؟».

- «ابنته ورثت الشركة، قريبا أذهب لزيارتها والتحدث معها..».

- «خطوة غبية..».

- «لماذا؟».

- «ستقوم الفتاة بالاستيلاء على ما هو لك، فقد صار من ضمن ممتلكاتها حسب القانون..».

- «أراك مطلعا على كل ما يدور!».

- «أكره أن تهين ذكائي.. المهم، ماذا ستفعل في هذه الحالة؟».

تبسم (علوان) مستخرجا من بين طيات ثيابه مفتاحا أقرب إلى «السونكي» الصغير علقه بسلسلة فضية، وقال مقبلا رأس المفتاح:

- «ليس ومفتاح تشغيله معي!».

ارتشف (جلال) شيئا من كوبه قائلًا بتخابث:

- «احتطت للأمر إذن؟ أخشى أن هذا لن يكفي..».

- «وما أدراك أنت؟ ما أدراك أن الفتاة ليست من ذلك الطراز كذلك؟».

- «لا تثق بفتاة يا (علوان)، إنهن كالأفاعي!».

- «أنا أثق بخلق الله أجمعين!».

- «لذا أنت أجهل من القملة في التعامل مع البشر! ما أدراك أن الرجل الذي موَّل مشروعك لم يكن يريد الاستيلاء عليه بعد أن تفرغ منه؟ تصرفاتك تدل على الخرق..».

- «لا مشكلة، أنا لا آبه لمثل تلك الأمور!».

- «يا لك من أحمق! لكن يتوجب علي أن أعذرك، إذ لا يد لك في طيبة قلبك الزائدة..».

- «ألهذا جئت لزيارتي إذن؟».

- «اشتقت إليك!».

- «هلم يا شريكي القديم! إذا كانت الفتاة أفعى فأنت ثعبان شديد الفتك!».

- «يا له من كلام شديد!».

- «لكنه صحيح مع الأسف!».

www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/

وضع (جلال) كوبه أرضا، وأطفأ عقب السيجارة داخله قائلًا بوجوم:

- «يبدو وأنني غير مرحب بي هنا..».

واعتدل واقفا، فلم يحاول الشاب استيقافه، فرسم بسمة مستخفة على شفتيه وهو ينسحب باتجاه الباب، لكنه تساءل قبل رحيله:

- «اختراعك لم يجرب بعد، أليس كذلك؟».

أومأ (علوان) برأسه إيجابا، فهزَّ (جلال) رأسه هزة لا تدل على شيء، ثم أسرع يغادر بعد أن رمق المفتاح الذي يتدلى من بين أصابع صاحبه بنظرة سريعة..

3

شهر مضى على وفاة عم (رشيد)..

لكن (حنين) ظلت متشبثة بالثوب الأسود الذي ارتدته حدادا عليه.. ذلك السواد الذي لم تلبسه يوم وفاة والدها حتى!

بيسمة ألم قالت مطالعة الأوراق على مكتبها:

- «رحمك الله يا والدي.. ماذا تركت لي غير الشقاء؟».

بحنو وترفق غمغمت (مرام) الجالسة أمامها:

- «أنتِ لا تستحقين ما يحدث لكِ!».

- «وعم (رشيد)، الرجل الذي اعتبرته والدي الحقيقي..».

أظهرت رباطة جأش كي لا تذرف الدمع.. وأزاحت راحتها عن عينيها رامقة بحزن صورة لوالدها وهو يتبسم بوقار، فشعرت بمرارة تعصر قلبها وهي تقلب صورته تلك..

- «أشعر بالوحدة يا (مرام)، وبعجز لا حدود له..».

www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/

اشتعل «الديكتافون» بغتة، فضغطت زره متسائلة بغم:

- «ماذا يا (سعاد)؟».

- «السيد (فيصل) على الخط..».

احتد صوتها وهي ترد:

- «أخبري السيد (فيصل) أن الوقت لا يسمح بمناقشة الأعمال.. لا.. أخبريه بأني خرجت!».

وأنهت الاتصال، فتساءلت (مرام):

- «أليس رجل الأعمال الذي عرض شراء الشركة؟».

- «هو بعينه..».

- «أنتِ تفكرين في بيعها أليس كذلك؟».

- «سأكون صريحة معك، لستُ مؤهلة لقيادة شركة كهذه، فأنا خريجة معهد الفنون الجميلة، أي الشخص غير المناسب في المكان غير المناسب قطعا!

أنا لا أفكر بالأعمال التي تدر ربحا وافرا، ذلك هو آخر ما تقلبه ثنايا دماغي! أنا هنا كالتائهة، كالمعذبة، عالم الأعمال بمثابة جحيم لأمثالي، أرجوكِ حاولي تفهمي!».

تبسمت (مرام) هامسة:

- «صدقيني أنا أشعر بكِ..».

وضعت (حنين) يدها على خدها متسائلة:

- «هل من أخبار عن..».

- «صفقتنا مع الشركة الكورية؟».

لاحت بسمة على ثغرها وهي تقول:

- «صفقتنا مع..؟! لا يا فتاة! حتى أنني أسمع بها للمرة الأولى منكِ! كنت أتساءل عن صاحبنا الذي أرسل البطاقات إياها..».

- «بصراحة.. وصلتني بطاقة جديدة هذا الصباح!».

نفخت (حنين) الهواء عبر فمها قائلة بضيق:

- «شهر على هذه الحال، وصاحبنا لا يصنع شيئا سوى إرسال تلك البطاقات السخيفة، ما الحكاية بالضبط؟».

- «أرى أن نبلغ الشرطة..».

- «لا فائدة من إزعاج السلطات بحكاية كهذه، من الأفضل أن نتريث ونرى ما سيحصل..».

- «أتشكين بأحد؟».

- «حاليا؟ أشك بفيصل هذا!».

اشتعل «الديكتافون» مجددا، فقالت (حنين) مغتاظة وهي تضغط زره:

- «إذا كان السيد زفت.. ماذا يا (سعاد) هذه المرة؟».

- «في الخارج شاب يريد مقابلتك للأهمية القصوى، هذا ما قاله!».

www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/

- «ما اسمه؟».
- «يرفض الكلام إلا معك..».
- «دعيه يدخل إذن..».

ونظرت إلى (مرام) نظرة ذات معنى، فتمتمت الأخيرة:

- «أتراه هو؟».
- «ربما!».
- «هل أنتظر هنا معك؟».
- «أرجوكِ!».

في تلك اللحظة، دلف (جلال) بشحمه ولحمه..

رسم بسمة ماكرة على شفتيه قائلًا:

- «الآنسة (حنين)! إنه لشرف كبير!».
- «شكرا يا أستاذ؟».
- «المهندس (علوان نجيب)!».

تصافحا قبل جلوسه على مقعد قريب من (مرام)، التي رمقها بنظرة متسائلة قائلًا:

- «والآنسة؟».

مدت يدها مجيبة:

- «(مرام)، مندوبة العلاقات العامة..».

تجاهل اليد الممدودة باسما باستنكار، وقال:

- «مندوبة ماذا؟ معذرة، ولكنني أريد الآنسة في موضوع خاص، على انفراد!».

بدت (مرام) وكأن الإهانة قد صفعتها، فاقتصت لها (حنين) بأن قالت فورا:

- «إما أن تقول ما تشاء أمامها أو ترحل على الفور، أرجوك فوقتي ثمين..».
- «أحقا؟».

قالها باستهزاء صريح قبل أن يخرج من جيبه المفتاح الذي ينتهي بسلسلة فضية، قائلًا:

- «إذن أفضل الرحيل بصمت ومعي هذا!».
- «وما هذا؟».
- «هدية.. من والدكِ الراحل!».

ونهض مدندنا لحنا سخيفا، فلحقه صوتها المحتد:

- «انتظر!».

توقف باسما بانتصار، ورأى (مرام) تبتعد وهي ترمقه بنظرة كراهية لم يلق لها بالا.. انتظر حتى خرجت، ثم عاد أدراجه قائلًا وهو يخرج علبة سجائره الرديئة:

- «الآن بإمكاننا أخذ راحتنا!».

www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/

- «لو سمحت لا تدخن هنا..».

- «إذن اطلبي لي قهوة سوداء سكر زيادة..».

فعلت كما طلب بصبر، ثم سألته وأناملها تسند أسفل ذقنها:

- «هل أزعجك لو طلبت منك الولوج في موضوعنا؟ قلت بأن والدي الراحل..».

- «رحمة الله عليه! كان رجلا ولا..».

- «أجل! هلا كففت عن نفاقك الصريح وأفهمتني حكاية مفتاحك بالضبط؟».

- «إنه مفتاحكِ أنتِ لو طلبتِ فقط!».

- «ولكن ثمة مقابل طبعا!».

- «طبعا!».

- «ولماذا أريد المفتاح؟».

- «أستغرب عدم ذكر والدك موضوعه، بالفعل أستغرب ذلك، فما أقدمه لكِ يعد بمثابة..».

بحث مطولا عن كلمة تسعفه فلم يجد، بدا منفعلا بعض الشيء، فتساءلت (حنين):

- «ما حكايتك يا سيد (علوان)؟».

رمقها (جلال) بنظرة غريبة، وتأمل أثاث المكتب الفاخر وهو يغمغم بنبرة خفيضة:

- «قبل حوالي ثلاث سنوات عرضتُ على والدكِ مخططات مشروع علمي هام، كان - رحمه الله - مهتما بالتكنولوجيا رغم افتتاحه شركة للاستيراد والتصدير.. أرجو أن تكوني على علم بهذا على الأقل..».

- «لعلمك فقط والدي قد ورث الشركة عن جدي، وهو كما ذكرت بالضبط، عشقه وجل اهتماماته انصب على تلك الهواية..».

- «أية هواية؟».

نطقها ساخرًا، فأجابت عابسة:

- «أنا لا أحاول أن أكون مستخفة باهتمامات والدي الراحل..».

- «هذا أفضل! المهم أن والدكِ لم يقتنع بما عرضته عليه لولا تجربة قمنا بها داخل منزلي، وعلى الفور وافق القيام بتمويل المشروع العلمي.. هنا! داخل شركتكم!».

- «أين؟!».

- «لا أحد يعلم بهذه الحكاية سوى والدكِ، كنتُ قد أجريت حسابات للتوصل إلى مناخ يلائم الحاسوب الذي عملت عليه، الحقيقة أنني احتجت إلى شيء أشبه بالكابينة المعدنية.. عن طريق مصعد يحمل الرقم (7)، وضعت لافتة تحمل ملحوظة أمامه بأنه معطل، في حين كنت أنا أعمل بداخله دون توقف!».

www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/

- «حقـا لدينا مصعد كنت أحسـبه معطلا طيلـة الوقت، إنه في هذا الطابق تحديدا، ولولا انشغالي لكنت أمرت بإصلاحه!».

- «حمدا لله أنكِ لم تفعلي! حمدا لله!».

كان الفضول ينتابها في تلك اللحظة، وبتأن تساءلت:

- «وما حكاية ذاك المصعد يا سيد (علوان)؟».

وصلت القهوة في تلك اللحظة، فتناولها (جلال) من على صينية فراش الشركة صامتًا..

راقب رحيل الرجل قبل التفاته لها مجيبًا:

- «لكـي أكون صادقـا معكِ فالاختراع لم يجـرب بعد، لكنني سـألخص لكِ موضوعه بكلمة بسـيطة ذات معنى قوي إذا ما نجح.. ثورة!».

تأملته بصمت، فاشتدت حماسته وهو يهتف:

- «لا أستطيع اطلاعكِ على سر مشروع والدكِ الراحل، لكنني أهيب بكِ أن تتعاوني معي في تجربة المصعد، فإن نجح المشروع..

لقد جعلت حاسـوبي محـدود القدرات على اتصـال بكل أجهزة الإعـلام.. بإمكاننا بعد التأكد من نجاح التجربة من تصنيع حاسـوب أقوى يقدر على التواصل مع جميع أقمار الاتصالات الاصطناعية!».

- «إذن فالمشروع له علاقة بالاتصالات..».

- «بإمكانـكِ قـول ذلـك! أمـا عـن المصعـد فسـيكون الحيِّز محـدودًا للغاية، وذلك يضمن نجاح التجربة، أو بالأحرى يضمن لنا معرفة ما إذا نجحت التجربة أم باءت بالفشل!

أريـدكِ ألا تقلقي أبدا، فسـأكون أنـا فأر التجـارب الأحمق إذا ما أردتِ، ولكـن فـي حال إثبات صحة كلامي سـيكون ثمـن الاختراع مرتفعا للغاية!».

- «كنت أحسبه اختراعك!».

- «بالطبع هو كذلك! ما هذا الظن؟».

- «وتريد بيعه بكل بساطة لي؟».

- «أوليس المال هدف الجميع في الحياة؟».

بقيت تتأمله شـاردة شـرود ذهن عميق، كانت حائـرة، لم يطلعها هذا الشـاب علـى الكثير، مع الأسـف احتفـظ بأكثر الكثير لنفسـه.. شاب ماكر!

في الحقيقة كانت بحاجة إلى مهلة للتفكير..

- «سأرد عليك باكرا يا سيدي.. أعدك بهذا..».

ناولها وريقة خط عليها رقم هاتف نقال، وبوجل غمغم:

- «أرجو أن يكون أبكر مما أتوقع!».

■ ■ ■

www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/

غـادرت (حنيـن) مكتبهـا عقـب رحيل الضيـف الغريـب وفكرة واحدة تشغل بالها..

توجهـت بخطاهـا العرجاء متعثرة صـوب الممر ناحيـة المصعد الذي يحمل الرقم (7)..

غريب أن والدها لم يذكر شيئا عـن تجارب متعلقة بهذا المصعد في شركته، يبدو وأن الرجل ظن أنه سيحيا لفترة أطول، ولم يتوقع أن يباغته الموت قبل رؤية النتيجة!

كان ثقب المفتاح في لوحة الأزرار المعدنية، فدنت منها وضغطت زر استدعاء المصعد..

بالطبع لم يحدث شـيء، كمـا لو كانت الكهربـاء مفصولة تمامًا، فشعرت برهبة لا حدود لها مطالعة باب المصعد الذي حجب وراءه الكثير من الألغاز والأسرار..

4

فرغ الجميع من تناول العشاء..

بعدهـا، نهضـت (حنيـن) للمسـاعدة فـي غسـيل الأطبـاق رغم معارضة والدة (مرام)..

سألتها وهي تجفف أحد الأطباق بعناية:

- «هل تتخلف (مرام) عن العشاء عادة؟».

ردَّت المرأة الطيبة متناولة منها طبقا لتجفيفه:

- «كان اللـه في عونهـا! فهي تمر على شـقيقتها لإعطـاء ابنها دروس اللغة الانجليزية.. أسدي لي خدمة يا بنيتي وكفي عن ذلك.. فأنتِ ضيفة عندنا!».

- «لا أقدر، قد أخجلتموني بكرمكم وحفاوتكم الزائدة!».

ونظرت لساعتها قائلة:

- «عليّ الرحيل الآن..».

www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/

- «لا تقولـي هذا، أنتِ على الرحب والسـعة! كمـا أن (مرام) ستصل في أية لحظة..».

- «لا بأس، أخبريها فقط بأني قد عرجت عليها..».

- «هل اطلب لكِ سيارة أجرة؟».

- «لدي سيارة..».

- «كنـت سـأطلب لـكِ الولـد، فهو يعمـل على سـيارة أجرة، منـذ مـدة وهو يقودهـا، قبلهـا كان يعمل لدى رجل بخيـل لا يرحـم، وحين قرر ابني ترك العمل عنده هاج وماج رافضا إعطاءه مستحقاته، والقانون لا يحمي أمثالنا من تاجر كبير لا يهاب الله!

إنـه معتاد على البيات مـع رفيقيه، وحالهما كحالـه.. كان الله في العون!».

ونظرت إلى الساعة المعلقة على الحائط قبل أن تقول لها:

- «يبـدو وأنه لن يمر اليوم، لكنه – وبكل تأكيد– سـيكون هنا غدا على الغداء معنا..».

- «إن شاء الله تفرج كربته عما قريب..».

- «يا رب!».

ودَّعت المرأة وقبلت بنتها الصغيرة على خدها الوردي اللدن، ثم خرجت لتهبط السلالم بعجلة قائلة لنفسها:

- «من خبر مصيبة غيره هانت عليه مصيبته!».

قلبـت كلمـات أم (مرام) فـي ذهنها مرارا وتكرارا.. يـا لله لحنان الأمهات وعطفهن! يا لله لصفاء قلوبهن المتعلقة بفلذات أكبادهن!

لو أن والدتها لا تزال على قيد الحياة..

خرجـت وهي تعـرج كالعادة مـن البناية القديمـة متوجهة صوب سيارتها ومخرجة مفتاح تشغيلها..

كثيرون من رفاق (حنين) اعتبروا أفكارها وأفاعيلها اقرب للبلاهة العاطفية.. هي جمرة عاطفية متقدة على الدوام، وقد اعتبرتهم أقرب للرياء بأفكارهـم الروتينية الكريهة، لذلك ابتعـدت عنهم، فهي ممن يتعامل مع الخلق والدنيا بأبسط الطرق، كما أنها بحاجة إلى من يفعل هذا أيضًا..

- «يا فتاة..».

التفتت لتجد رجلا واقفا والحيرة ترسم معالمها على وجهه..

- «هل بإمكانك إرشادي إلى الطريق المؤدي للميدان العام؟»

أشارت للاتجاه المعني قائلة:

- «بكل سرور.. اسلك ذاك المنعطف، ثم..»

فوجئت بثقـل هائل على ظهرها.. لقد اقتـرب الرجل كثيرا، وفي الثانية التالية كمم فمها وجرها جرا ناحية زقاق ضيق!

سمعت كثيرا عن حوادث الاغتصاب، لكن احتمال اغتصابها بدا خياليا بالنسـبة لها، بدا كقصة مرعبة تطالعها في نشـرات الحوادث..

www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/

لا أحد يكون الضحية! الكل يقرأ عن أناس غير موجودين صنعهم وهم الصحفي وقلمه!

لكن قبضة الرجل بدت مؤلمة وحقيقية! واشتد رعبها حتى بلغ الذروة، ولم يمنحها الفرصة لإطلاق صرخة واحدة بإمكانها إيقاظ حي بأكمله..

كان الحيوان يلهث كالدب في برد الشتاء، رائحة أنفاسه كريهة وثقيلة كالجيف، يده على فمها خشنة متعرقة.. شعرت بملمسها على جلدها كمرور حية تزحف هنالك، فبكت بصوت مكتوم ودموع غزيرة..

كانت هنالك ردة فعل سريعة وجبارة من مجهول ظهر من العدم، فقد احتمل الرجل ضخم الجثة ورماه على الجدار كما لو كان كيس قمامة.. فسقطت هي أرضا.. التفتت.. نظرت.. رأت شابا لم تتبين ملامحه بسبب العتمة في الزقاق، كان قويا، قويا جدا كالثور، بدا تكوينه الجسماني ضئيلا إلى حد ما، ورغم ذلك أمسك الرجل السافل الضخم ورماه للجدار عدة مرات، حتى هشم رأسه كحبة الطماطم!

أطلقت صرخة رعب هائلة وهي تحدق برأس مهاجمها المسحوق، ثم رفعت بصرها محاولة رؤية وجه منقذها الذي مال به اتجاهها، ومسّ برفق خدها الأسيل هامسا بنبرة صوت شعرت بالدفء يلامس كيانها لمجرد سماعه:

- «لا تخافي يا (حنين).. أنتِ بأمان الآن!»

■ ■ ■

ساحر الكتب
fb.com/Sa7er.Elkotob/

كانت قاعة بيضاء مشعة بالضوء الناصع كأنما سقطت سهوا على سطح القمر..

أفاقت لتجد نفسها على فراش يتوسط تلك القاعة، مرتدية «مريولة» المرضى ورسغها مضمد بعناية فائقة!

أمامها مرآة عملاقة كواجهة لأحد المحلات، وشعرت بآلام في رسغها دفعتها إلى الإسراع بفك الضمادات، فهالها أن تجد الرقم (7) محفورا على الجلد بأداة حادة ما.. كان ينزف بغزارة، وصوت غامض كصدى عقيرة شبح يتردد في أرجاء المكان..

نهضت من على الفراش، وتقدمت بساقها السليمة أولا قبل أن تتبعها الأخرى العرجاء، شعرت بتثاقل وبطء في حركتها، وبضيق في أنفاسها وكأنها تعاني الربو.. اقتربت من المرآة حتى لمستها بأصابع مرتعدة..

كانت باردة للغاية، شعرت أنها تلمس جليدا، أصابعها شعرت بالألم، دقت بقبضتها المرآة وهي تصيح، صوتها لا يخرج! الذعر يصيبها كالمس الكهربائي، تحاول وتحاول، والصوت لا يخرج، صارت بكماء! بكماء ومحتجزة في هذا المكان المخيف! كلمات طلب النجدة مرتسمة على شفتيها، لا صوت ولا أحد ليسمع..

www.sa7eralkutub.com

www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/

فوجئت بالمرآة تتحطم وكأن قنبلة دست بداخلها، شعرت بالشظايا تنغرس في كل أرجاء جسمها، فانطلقت صيحة الذعر أخيرا مصحوبة بالألم!

وعندما هدأت، فتحت عيناها لتجد نفسها راقدة على فراشها داخل الفيلا!

نظرت مرتعدة إلى رسغها فوجدته سليما، حاولت الفهم، حاولت التفكير، أكان حقا مجرد حلم أم ماذا؟ لا شيء مفهوم، ثمة ما وقع، إنها متأكدة، وإلا هي قد جنت حتما..

على كرسي قريب منها علبة كرتونية لم ترها من قبل، بين شرائطها الفضية التي تعقدها بطاقة مدسوسة، هدية لها على ما يبدو، لكن ممن؟

كان الخوف قد سرى في عروقها وهي تسحب البطاقة، وكما توقعت وجدت رسم الهر الغريب، بطاقة المجهول، أهو حلم جديد؟ ملمس البطاقة أشعرها بأنه الواقع، ولما قلبتها وجدت عبارة مختلفة لكنها خطت بذات الخط الشنيع..

«هدية لكِ كان يجب أن تتسلميها منذ زمن!»

تناولت العلبة وحلت عقد الشرائط بأصابع مرتعدة.. وعندما ألقت بنظرة إلى محتواها تحولت حنجرتها إلى بوق أطلق أشنع صرخة بالإمكان سماعها!

5

الساعة الآن الواحدة ظهرا..

حان موعد الانصراف، كان يوما عصيبا استفتح بدخول (مرام) المفاجئ عليها، كانت غاضبة، وقد طلبت من (حنين) ألا تتدخل في حياتها!

- «أعلم أن زيادة الراتب كانت من جراء تضرعات والدتي! لقد أخبرتكِ بحالنا أليس كذلك؟ لابد وأنها قد ذكرت شيئا عن شقيقي العامل على سيارة أجرة!».

تذكرت كيف أخبرتها أنهما صديقتان، وبأنها على أتم الاستعداد لإيجاد وظيفة جيدة لشقيقها، لكن الفتاة بدت حانقة ومتضايقة لأبعد الحدود..

هدأت نوعا، فهي تعلم بنقاء نية (حنين)، لكنها قالت مكتئبة قبل أن ترحل:

www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/

- «أرجو أن تظل الأمور على نصابها يا آنسة (حنين)، أنا لم أطلب مساعدة من أحد، وعلى كل حال شكرا لكل شيء..».

- «ماذا تعنين؟».

- «سأقدم استقالتي!».

- «أنتِ تضخمين الأمور يا (مرام)، أنا لن أقبل أبدا استقالتكِ، وإذا كان هذا يساعد فأنا أعتذر عما بدر مني..».

بدت الفتاة مترددة، كانت ذات نفس أبية، فقد شعرت أن كرامتها جرحت، و(حنين) تأثرت لذلك كثيرا، فتاة كهذه لا يمكن الاستغناء عنها أبدا..

- «أنا آسفة حقا!».

تنهدت (مرام) قبل أن تستعيد بسمتها العذبة أخيرا..

قالت في شيء من حرج:

- «بل سامحيني أنا، قد بالغت كثيرا في ردة فعلي، أنتِ تحاولين المساعدة فقط..».

- «أنتِ أكثر من موظفة هنا.. أنتِ صديقتي!».

هكذا تصالحتا، وغادرت (مرام) تاركة (حنين) لاهثة في مقعدها، يبدو وأن منصب مديرة لشركة كبرى كهذه لا يناسبها بالفعل، فهي لا تملك صفات المدير الحازم القاسي المتزمت، إنها كائن رقيق تدمع عيناه لأبسط الأمور وأهونها..

عادت بذاكرتها لأهوال ليلة أمس، شخص ما حاول اغتصابها، وشخص آخر أنقذها، كل تلك الأمور وقعت حتما، الصندوق على الأقل كان حقيقيا، ما وجدته بداخله كان حقيقيا لدرجة مروعة..

رفعت المفتاح أمام عينيها، المفتاح الذي شاهدته آخر مرة في يد (جلال)، والذي أرسل لها العلبة لم يترك (جلال) وشأنه، لقد كانت العلبة المريعة تحوي أنفا مجدوعا وعينا مقلوعة وأذنا مبتورة! بالإضافة للمفتاح وبطاقة ملوثة بالدم تحمل الرقم (9)!

هل قتله؟ لابد وأنه قد فعل! مرسل البطاقات لا يمزح بهذا الصدد، وقد فكرت كذلك باحتمالية أن يكون ذاته منقذها ليلة أمس! لكنه قاتل! قام بأخذ المفتاح مع أجزاء أخرى بشرية!

الأمور غامضة ومبهمة إلى حد بعيد، لكن أمرا واحدا بدت مستوثقة منه.. يجب عليها أن تجرب المصعد رقم (7) وتكتشف سره بنفسها!

■ ■ ■

«عذرًا! المصعد معطل..»

كانت لافتة قديمة غبراء، تجاهلتها (حنين) وهي ترفع المفتاح لتتأمله واجمة.. هل من الحكمة تجربة المصعد بمفردها؟ لماذا لا تحاول استدعاء عمال الصيانة ليكونوا معها؟ ربما كان الأمر برمته فخا!

www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/

شعرت أنها ولوحدها معنية بالأمر، وهي لن تجازف بتوريط حياة شخص آخر معها، المصعد حسب الوصية من ضمن ممتلكاتها، وإذا أرادت أن تجرب فسيتحتم عليها تحمل المسؤولية كاملة..

هكذا، دفنت المفتاح في ثقب اللوحة المعدنية وأدارته ببطء..

أخيرا استرد المصعد الحياة، انفتحت بوابته المعدنية، فوجدته من الداخل كسائر المصاعد داخل الشركة لا يميزه عنها أي شيء..

ولكن عندما دخلت وجدت لوحة الأزرار مختلفة، بدت مصممة بطريقة لافتة للنظر، ثمة زخارف غريبة، والأغرب هو وجود عشرة أزرار رغم أن المبنى بأكمله لا يتجاوز الثلاثة طوابق!

السقف كذلك كان مختلفا، فقد بدا بأكمله كمثلث أبيض يتجه رأسه المدبب للأسفل..

ماذا الآن؟ هل تكتفي بما قامت به حتى الآن أم تتمادى أكثر وتضغط بعض الأزرار؟

الفصل الثاني

بطاقة السنور

www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/

6

عندما انفتح باب المصعد على مصراعيه، خطت (حنين) للخارج لتجد خطاها تقودها في زقاق ضيق لا يتسم بالنظافة.. ثمة ماسورة مكسورة تطفح المياه بغزارة، وفي آخر الزقاق استطاعت رؤية بعض المارة والسيارات مما أشعرها بدهشة لا حدود لها..

تذكرت الزر الذي ضغطت عليه، رقم (9)، تمامًا كما ذكر في بطاقة القاتل، كانت مخاطرة لكنها كانت مستعدة للمجازفة.. كان من المفترض أن يحملها المصعد لفوق، لكنه وعوضا عن ذلك أرسلها لأسفل كما يبدو!

لم يكن تفسيرا مقنعا أو منطقيا، أمر غير طبيعي قد حدث، المصعد نقلها بطريقة غير مفهومة من البناية إلى هذا الزقاق، ولم يكن بالإمكان معرفة كيفية حدوث ذلك!

سارت ببطء وحذر حتى أخرجت نفسها من الزقاق الضيق، فوقع بصرها على شارع بدا طبيعيا، لولا حمله اسما غريبا بعض الشيء:

www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/

«شارع الصحراء القاحلة»

وفي زاويته مطعم حملت لافتته ذات اسم الشارع..

قررت دخوله، ربما لسؤال أحد عن موقعها بالضبط، هي لم تر هذا المطعم من قبل بكل تأكيد، ووجوده أثار استغرابها..

دخلت لتجد عددا محدودا من رواده، ثمة عامل مشترك فيما بينهم، الجميع يرتدي معاطف مطر! الجو كان باردا لكن ليس لدرجة ارتداء المعاطف!

البعض ارتدى قبعات من طراز الغرب في أفلامهم المسماة «نوار»، والكل يدخن بكثافة وكأنها مسابقة! كانوا يفعلون كل شيء ما عدا تناول الطعام! يلعبون «البلياردو» على طاولة موضوعة هنالك، أو «البوكر» على موائد الطعام، أو لعبة قذف السهم على هدف دائري مطاطي معلق.. قد كان المكان أقرب للحانة منه للمطعم!

رأت شخصا بحلة عادية.. شاب ممتلئ هادئ يرتدي نظارات طبية أنيقة ويمرر سن قلمه في صحيفة، لم يكن يدخن مثل البقية، وقد بدا شخصا طبيعيا للغاية بل وودودا، يجلس مقابل نادلة المطعم التي تبدت فتاة طبيعية أيضًا، فقررت الانضمام لهما..

اتخذت لنفسها مقعدا غير بعيد عن الشاب، فنظرت إليها النادلة متسائلة:

- «ماذا تطلبين يا جميلة؟»

- «عصير جوافة إذا سمحتِ..»

تناولت النادلة عددا من ثمار الجوافة استعدادا لعصرها، في حين نظرت (حنين) من زاوية إبصارها لتجد الشاب منهمكا في حل الكلمات المتقاطعة بيد، بينما الأخرى ممسكة بزجاجة مياه غازية يرتشف منها بين الفينة والفينة، وأمامه طبق «جاتوه» ضخم بالشيكولاتة التهم نصفه على الأقل..

قالت محرجة لشعورها بأنها تتعمد التودد له:

- «يا له من مكان! هل هؤلاء من ممثلي السينما؟».

رمقها بنظرة مستغربة قبل أن يبتسم قائلًا:

- «يبدو وأن الآنسة غريبة عن هنا..».

- «ليس تمامًا!».

وألقت بنظرة أخرى اتجاه رواد المطعم قبل معاودتها التساؤل:

- «ما حكاية القبعات والمعاطف والبلياردو؟ يبدو الأمر وكأنه نادٍ لمحبي (همفري بوغارت)!».

- «من؟!».

- «لا عليك، قليلون الذين يعرفون هذا الممثل!».

- «إذن فهو ممثل! غريبة، كيف لم أسمع به وأنا من هواة الفن التاسع؟».

همست له مصححة:

www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/

- «تقصد الفن السابع!».

- «أنتِ مخطئة، إنه الفن التاسع!».

تنهدت مستسلمة لجهله، في حين ناولتها النادلة كأس عصير الجوافة، فتناولته شاكرة..

رأته يتفحصها بناظريه، فغمغمت مرتبكة:

- «أعترف بأني غريبة عن المكان كما تفضلت..».

- «هذا أمر اكتشفته منذ مدة طويلة!».

- «والحقيقة أن المكان بأكمله قد أثار استغرابي..».

- «إنه يثير استغرابي كذلك أحيانا!».

في تلك اللحظة، ارتفع صوت غاضب لرجل بدين يجالس فتاة حسناء عصبية تدخن أكثر من الرجال:

- «ما الذي أردتِ الحديث بشأنه؟».

- «أظنك تعرف..».

- «ربما، لكنني أفضل سماعه منكِ..».

- «أعتقد أن علاقتنا باتت على المحك الآن..».

تبدت بسمة هزء على شفتيه الداكنتين من كثرة ما يدخنه وهو يقول:

- «أنتِ التي تقولين هذا؟».

- «وأعنيه تمامًا..».

- «يبدو وأن الوضع جديٌّ هنا!».

- «يمكنك قول ذلك وبكل ثقة أيضًا!».

رفع السيجار الذي يدخنه في مواجهتها قائلًا:

- «نقودكِ ستحصلين عليها..».

ونفض الرماد في المنفضة النحاسية متمتما:

- «خسارة.. كنتِ شريكة لا بأس بها!».

والتفت للناحية الأخرى وكأنما يعلمها بأن باب النقاش قد أغلق.. لكنها لم تكن مستعدة لتقبل الأمر..

قالت بوجه ممتقع:

- «ما الذي تقوله؟».

- «ماذا؟ ألم تسمعي؟».

- «سمعت ولم أفهم!».

- «إذن فاستغنائي عنكِ في محله! لستُ بحاجة للذين لا يفهمون أبسط الأمور وأتفهها!».

- «أتسمي ما كان بيننا تفاهة؟!».

- «ما كان بيننا قد انتهى الآن!».

www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/

قالها ساخرًا متأملا كأس الشراب الذي طلبه، فالتمع الدمع في مقلتيها، وهمست مرتجفة:

- «أنا لا استحق كل هذا الجفاء، ولم أقصر معك في شيء.. أتسمي إخلاصي لك تفاهة؟ هل فقدت صوابك؟!».

- «وأنا رددت لكِ الجميل وساعدتكِ في التحرر من شريك حياتك!».

- «لأجلك! لأجلنا معا!».

- «أنتِ تتوهمين يا عزيزتي!».

اشتعل غضبها دفعة واحدة، فصرخت:

- «وأنت مجرد وعاء لرمي للقاذورات! كنت بحاجة إليك في أحلك الأزمات لكنك..».

- «ارحلي يا فتاة فقد انتهى كل شيء.. انتهى!».

تناولت بعصبية بالغة كأس العصير وهي تهمس بمقت:

- «لن أدع هذا الأمر يمر بسلام وأنت تعلم هذا..».

- «افعلي ما يحلو لكِ..».

شربت العصير البارد دفعة واحدة، في حين أخرج هو محفظته مناديا النادلة:

- «الحساب..».

نظرت له متمتمة:

- «سيسر الشرطة معرفة كل شيء عن نشاطاتك!».

استدار والشر يتراقص في ملامحه مدركا أن هيبته وجبروته سيحميانه من تهديداتها، ففوجئ بها تتقيأ الدم بعنف مباغت وهي تتابعه بنظرات جاحظة ذاهلة، وبنبرة مخنوقة قالت:

- «ماذا فعلت؟!».

ثم رقد رأسها على الطاولة دونما حراك وقد همدت أطرافها!

اشتد ذعره عندما هبَّ الجميع دفعة واحدة نحوه، ومال أحدهم لتفحص الفتاة بحنكة قبل أن يضغط سيجارته بأسنانه قائلًا بحدة:

- «لقد ماتت!».

- «ماتت؟ يا للمصيبة!».

وتبدى عدم التصديق على وجهه، فظهر اهتمام على الوجوه، وتدافع الكل لتفحص الجثة كأنها هواية أثيرة لنفوسهم!

- «اختناق؟».

- «اختناق يا أحمق؟ بل من المرض!».

- «بل السم يا حمقى! ماتت بالسم!».

- «أجل! إنه السم! ربما في العصير!».

- «يا للحماقة! بالتأكيد كان في العصير! أتظنه كان في الهواء؟!».

www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/

تابعتهم (حنين) بنظرات ملؤها الاستغراب والدهشة، قبل أن تسأل الشاب الذي راقبهم كذلك باسما باستخفاف:

- «أهو مطعم لرجال الشرطة المتخفيين أم ماذا؟».

- «كل هؤلاء مجرد حمقى مدعين!».

كان البدين شبه منهار، فراقبه رواد المقهى بشك حتى صاح بهم:

- «أنا لم أقتلها!».

- «سمعنا الحديث الدائر بينكما..».

وأشعلوا جميعهم سجائر جديدة، في حين ارتفعت أسئلتهم مسابقة بعضها البعض دون انتظار أجوبة..

- «ما اسمك يا سيد؟».

- «ما اسم الضحية؟».

- «ما علاقتها بك؟».

- «فيما كان الجدل الدائر؟».

- «اسمح لنا أن نفتشك..».

والغريب في الأمر أن الرجل لم يعترض.. أفرغوا جيوبه من محتوياتها، فوجدوا مطواة وقداحة ذهبية وعلبة سجائر وميدالية منتهية بمفتاح السيارة..

- «أنا لم أقتلها وبإمكاني إثبات ذلك لكم!».

وتناول بعصبية بالغة كأس العصير الذي شربت منه الفتاة، فجرعه على دفعة واحدة، ثم مسح فمه بيده صائحا:

- «أهذا دليل كاف؟».

وهنا ارتفع صوت يقول:

- «لقد أخطأت يا رجل!».

نظروا جميعا ليجدوا الشاب الممتلئ صاحب النظارات يتأملهم واقفا، وبجانبه (حنين) تتابعه مندهشة..

فوجئوا أكثر بعيني الرجل البدين تجحظان، وبدا كأن شخصا وهميا يخنقه وهو يسقط من على مقعده مرتجف الأوصال، فانقض الشاب عليه وأمسك برأسه رافعا إياه قبل إيلاج قلمه في حلق الرجل عبر فمه، فانطلق القيء بكثافة مغرقا ملابسه والأرضية!

تراجعوا مندهشين والشاب يهتف بالنادلة:

- «استدعي الإسعاف ورجال الشرطة حالا!».

وأرقد الرجل الذي أغمى عليه أرضا، فسأله أحد الواقفين بدهشة عارمة:

- «ما الذي حدث؟».

أخرج الشاب منديلا جفف به فم البدين، وبتؤدة قال مخاطبا إياهم:

- «قد كانت جريمة مزدوجة يا سادة للأسف!

www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/

الرجـل كان يدخن السـيجار، أي أن وجود علبة سـجائر في جيبه لم يكن منطقيا!

لقد أعد علبة السـجائر سلفا كي يقدم منها للفتاة التي من الواضح أنها تدخن هذا النوع!».

هتفت (حنين) مذعورة:

- «أتقصد أن السم كان مزروعا في السجائر؟».

- «أجـل، الفتاة لم تكن تعلم المصيـر الذي ينتظرها على يديه القذرتين، وفي الحقيقة كانت قد حددت مصيرها بنفسها سلفا!».

تساءل أحد الواقفين مستغربا:

- «ماذا تعني؟».

- «العصير يا سادة! رأيتُ الفتاة وهي تدس حبة دواء بيد خفية في عصيرها وشراب الرجل أيضًا!

كانت البائسـة قد قررت الرحيل للعالم الآخر، لكن ليس لوحدها على ما يبدو!».

- «إذن فقد دسَّت السم لكليهما!».

- «وهـو دسَّ السـم لهـا! ربمـا كان مـن المستحسـن أن أدعه يرحـل معها، ففي ذلـك عدالة شـاعرية! لكن القانـون كان يجب أن يأخذ مجراه يا سادة، وحمدا لله أن العدالة قد تحققت!».

- «ومن تكون أيها الشاب؟ وكيف تتدخل فيما لا يعنيك؟».

واحتدت الأصوات، فسمعت (حنين) مندهشة من يقول:

- «صار الهواة يتدخلون هذه الأيام في عمل المحترفين!».

- «يا للمهزلة!».

- «من تظن نفسك أيها الشاب؟».

وهنا ارتفعت يده ببطاقة قام بإخراجها من جيبه على طريقة الحواة، فخيل لحنين أن الحشد قد تحول بأكمله إلى تماثيل من حجر!

سـكتوا كأن علـى رؤوسـهم الطيـر، فقـال الشـاب باعتـداد وهو يواجههم بالبطاقة كأنها صليب في مواجهة مصاصي دماء:

- «أنـا أمثـل مكتب (السـنور) للتحقيقـات يا سـادة! وأظنكم جميعا قد سمعتم به!».

فغـروا أفواههـم قبل تصاعـد الهمهمات غيـر المصدقة، ففكرت (حنيـن) بأن هذا السـنور المزعوم يبدو أشـهر من نـار على علم كما يبدو هنا!

استطاعت أخيرا رؤية البطاقة التي كان الشاب يلوح بها، ففوجئت بأنها ذات البطاقة التي كانت ترسل إليها في الشركة!!

■ ■ ■

وضـع البطاقـة في جيبـه، في حيـن سـارع أكثـر الموجودين إلى مصافحته..

www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/

- «نحن من أشد المعجبين بالسنور!»
- «إنه قدوتنا جميعا!»
- «أرجو أن تبلغه سلامي، اسمي هو..».
- «وسلامي كذلك! أنا أدعى..».
- «وأنا أيضًا!».
- «وأنا!».

وتحول المكان إلى مهرجان، في حين تجاهلهم الشاب وهو يدفع للنادلة قائلًا لها بابتسامة:

- «عني وعن الآنسة اللطيفة!».
- «ماذا عن الجاتوه؟».
- «آه نعم!».

وبسرعة مذهلة التهم قطعة «الجاتوه»، ثم تناول صحيفته قبل مسارعته بالخروج، فلحقت به (حنين) هاتفة:

- «يا سيد!».

التفت لها قائلًا وقد مسح فمه الملطخ بالشيكولاتة بمنديل:

- «عصيركِ على حسابي يا آنسة!».
- «شكرا! ولكن ليس هذا ما قصدته..».

أخرجت من جيبها البطاقة التي استلمتها مؤخرا، ومدّت يدها تناوله إياها..

رمق البطاقة بنظرة صمت، ثم سألها:

- «من مجهول؟».
- «أجل.. كان يرسل لي العديد من هذه البطاقات مع عبارات مبهمة..».

فكر لثوان قال عقبها:

- «تعالي معي..».

سارا جنبا إلى جنب وهي تسأله بفضول:

- «إلى أين؟».
- «أعتقد بأن شخصا سيهمه موضوعكِ كثيرا..».
- «أتعني السنور؟».
- «يلوح لي أنكِ تسمعين به للمرة الأولى..».
- «بصراحة نعم! أهو مشهور إلى هذا الحد؟».
- «السنور هو أشهر محقق على وجه الأرض!».
- «أشهر من (شرلوك هولمز) و(هيركيول بوارو)؟».

رمقها بنظرة استغراب متسائلا:

- «من؟!».

www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/

قالت مبتسمة وهي تحدجه بنظرة متعجبة:

- «يا له من أمر مخيب! كان استنتاجك يماثل طريقتهما في الاستنتاج، ورغم ذلك لم تسمع بهما مسبقا؟».

- «آه! هما زميلان إذن!».

- «زميلان؟ أجل! بإمكانك قول هذا!».

شعرت بشيء من خيبة الأمل، فهو ذكي، لكنه غير واسع الاطلاع على ما يبدو..

كانت البناية التي أمامهما فاخرة ذات ارتفاع شاهق، يقف على بابها حارس يرتدي زي مهراجا من الذين ينحنون للزوار، فتساءلت:

- «أتنزلان في فندق؟».

- «حتى يتمكن السنور من حل لغز مقتل مديره!».

انتابتها مشاعر مبهمة وهي تدلف وراءه، وأبصرت رجال الشرطة في أكثر من بقعة، ومجموعة من الضيوف يروحون ويجيئون في أريحية كأن شيئا لم يكن..

استقلا المصعد الذي حملهما حتى الطابق الثاني، ثم خرجا منه إلى ممر طويل على سجادة عنابية فاخرة.. سارا حتى توقف الشاب أخيرا أمام أحد الأبواب المتعددة على جانبي الممر..

استخدم المفتاح وتنحى جانبا كي يسمح لضيفته بالدخول، فدخلت (حنين) مبدية إعجابها بالغرفة الرائعة فاخرة الأثاث..

- «إنه جناح لنزلاء الدرجة الأولى..».

- «يبدو وأن السنور شخصية هامة حقا..».

- «في الواقع هذه الأمور تعد من التوافه بالنسبة إليه.. هاهو ذا!».

نظرت (حنين) بقلب خافق على عجل، فرأت شابا هزيلا يجلس مسندا ظهره للجدار..

كان ينتعل حذاءا رياضيا أسودا من دون جوارب، وقد كان هذا أول ما لفت أنظارها لأن الحذاء بدا كبير المقاس على رجليه، وعندما صعدت ببصرها قليلا لفوق أبصرت قميصا حليبيا مشمر الأكتاف، ووجها ذابلا حزينا بدا للوهلة الأولى مناسبا لكهل منه لشاب..

على أذنيه وضع سماعات منصتا لموسيقى منبعثة من جهاز أقراص مدمجة، بدا منهمكا في تفحص عدد هائل من الصور الفوتوغرافية التي قام بترتيبها على نحو مبهم بعض الشيء على الأرض أمامه..

بدا مرهقا، لكن هذا لم يمنعه من أن يقول دون أن ينظر إليهما:

- «من الآنسة يا (عمر)؟».

- «يمكنك أن تقول أنها زبونة يا سنور..».

- «ألا ترى أنني مشغول الآن؟».

- «لا بأس، بإمكانها الانتظار..».

www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/

تنهد بعمق قبل أن يقول:

- «اطلب لي سيادة المحقق من فضلك..».

اتجه (عمر) إلى الهاتف، في حين ابتدأ السنور بجمع الصور، ولما فرغ تناول قلم تخطيط أحمر خط به رقما مختلفا على كل صورة..

عقب دقائق، ولج محقق الشرطة ومعه عدد من رجاله، كان وسيما أنيق الهندام، قال بتلهف ما إن أبصر السنور:

- «هل حللت القضية؟».

- «أجل.. الأمور باتت واضحة الآن! القاتل هو ابن مدير الفندق!».

- «ماذا قلت؟ هل جننت يا سنور؟!».

ناوله الصور ووريقة خط عليها عددا من الأرقام مغمغما:

- «خذ، رتب هذه الصور حسب هذه الأرقام وستجد الدليل!».

- «أأنت متأكد يا سنور؟».

- «وهل سأكذب عليك؟».

تأمل المحقق الصور، ثم نظر إلى (حنين) و(عمر) قبل أن يعود بناظريه إلى السنور قائلًا له:

- «لا بأس..».

وأسرع بالخروج ورجاله يلحقون به، فتنهد السنور وهو يغمغم متمطيا:

- «ولا كلمة شكر حتى!».

واتجه ببصره صوب (حنين) متسائلا:

- «والآن.. كيف لي أن أخدمكِ يا آنسة؟».

أسرعت تصافحه مجيبة:

- «(حنين زاهر) صاحبة شركة النسمة للاستيراد والتصدير..».

- «همممم! لابد وأنه عبء ثقيل عليك عقب وفاة المرحوم والدكِ!».

- «كيف عرفت؟!».

- «إنكِ صغيرة السن على مسؤولية ثقيلة كهذه، كما أن تلك المسؤولية حرمتكِ من ممارسة حبكِ واهتمامكِ الأول.. الرسم!».

- «كيف عرفت هذا أيضًا؟!».

- «لنقل.. إنني أملك خبرة في نفسيات وأيادي الأشخاص!».

همست شاعرة بانبهار:

- «مذهل! مثل بداهة (شرلوك هولمز)!».

- «لابد وأنه محقق!».

www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/

- «(شـرلوك هولمز) هو أشهر محقق على وجه البسيطة.. في الروايات طبعا!».

- «غريبـة.. أنا واسـع الاطـلاع ورغـم ذلك لم أسـمع به.. هل سمعت به من قبل يا (عمر)؟».

ردَّ (عمر) ببسمة مندهشة:

- «في الحقيقة هـذه الفتاة تقول أسـماء غريبة مـن المفترض أنها – حسـب رأيها هي – أشهر من نار على علم، مثل (شرلوك) هذا وآخر يدعى (هركيول بورو)!».

قالت بحدة مصححة:

- «(بوارو)! وهو ثاني أشـهر محقق، لا تقل لي أنك لم تسمع بمبتكرته (أجاثا كريستي) أيضًا!».

- «من؟!».

- «بصراحة أنت لا تقرأ كثيرا كما تحاول التظاهر!».

- «أنا؟!».

واشتد غضبه وهو يرمقها بغل صريح، قبل تلفته إلى صاحبه قائلًا له باستهزاء:

- «تصور أنها تحسب فن السينما فنا سابعا؟».

- «إنه السابع وليس التاسع قطعا أيها الذكي!».

- «يا لكِ من جاهلة بلهاء!».

- «ويا لكَ من..».

- «صمتا!».

دوى صـوت السـنور بحـزم يـرج الأرجـاء، فتوقفـا مـن فورهما والتحفـز باد عليهما، فنظر إلى (حنين) وكأنه يتفحصها، عيناه ثاقبتان هادئتان، ثمة خطب بهما، كما لو كانتا لشخص ميت..

قال دون أن يبعد نظراته الغريبة عنها:

- «(عمر).. دع الآنسة تتصفح جريدتك!».

- «ماذا؟».

- «افعل كما طلبت منك لو سمحت..».

ناولها الصحيفة، فأخذتها وهي تسأل:

- «عما تريدني أن أبحث بالضبط؟».

- «لا شيء، تصفيحها قليلا، ابدئي بالعناوين الرئيسية..».

فردت الصحيفة أمام عينين متسائلتين، فوجدت أن اسم الصحيفة هو «يد العدالة»! غريبة.. أتوجد صحيفة بهذا الاسم؟

العنـوان الرئيسـي يتحدث عـن تمكن الشـرطة من إلقـاء القبض أخيرا على السـفاح المشهور باسم «سـفاح أعياد الميلاد»، بعد طول بحث واستجواب عدد من المشتبه بهم في جرائم دموية مروعة!

خبـر آخـر عـن تعقـب مغتصـب نسـاء يتـرك وردة حمـراء لهن، المغتصب يرتدي قناعا فضيا ويدعو نفسه «كازانوفا البدر المكتمل»!

www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/

جريمة غامضة وقعت في فندق الأقمار السبعة، حيث قتل مديره بوحشية، وقد استدعي التحري المعروف باسم «السنور» لمساعدة الشرطة في كشف الفاعل..

مجموعة من التحريين الشبان يكشفون عن وكر عصابة «الكلاب السلوقية» للمخدرات..

تحر صغير يجد المليونير المفقود منذ أعوام في بلدة نائية فاقدا لذاكرته..

تحرية صغيرة تنجح في العثور على هرة الممثلة المشهورة!

وهنا كفت (حنين) عن القراءة..

خفضت الصحيفة، وطالعت السنور و(عمر) بنظرات خائفة متمتمة بنبرة راجفة:

- «أين أنا بحق الله؟!».

رمقها (عمر) بنظرات قلقة، أما السنور فقد برقت عيناه وهو يرد عليها مهتما:

- «السؤال الحقيقي هنا يا آنسة هو من أين أتيتِ؟ بحق الله؟».

7

في شقة غير منظمة على الإطلاق وبالتأكيد غير نظيفة، جلست (حنين) في حجرة كان من المفترض أنها مكتب السنور للتحريات..

قالت لعمر الذي جلب لها شايا بالميرامية في كوب بدا متسخا:

- «أنا لا أشرب الشاي!».

- «عصير ليمون إذن؟».

- «لا شكرا، لا تتعب نفسك!».

وتأملت المكان حولها بفضول قبل توقفها متسائلة ببطء:

- «هل السنور اسمه الحقيقي؟».

ضحك (عمر) قائلًا:

- «بالطبع لا، إنه يدعى (أنبل)!».

ثم لم يلبث أن صمت بحرج عندما خرج السنور من دورة المياه وهو يحدجه بنظرة خاوية، في حين تظاهرت (حنين) بالضيق قائلة:

www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/

- «ألم يكن باستطاعتهم ترك جناح الفندق لكما بعد حل قضية مقتل مديره؟».

تجاهل (أنبل) ما قالته سائلا إياها وهو يشبك أصابعه ببعضها:

- «ومفتاح المصعد؟ أهو معك؟».

- «هاهو ذا..».

وأقرنت القول بأن أرته المفتاح، فأسرع (عمر) يقول بحماسة:

- «يا لها من قضية مثيرة!».

- «نحن لا ندر ما إذا كانت هنالك قضية أصلا..»

- «بالتأكيد توجد قضية! يجب أن نعرف حكاية الشخص الذي أرسل لها بطاقاتنا..».

- «لا أعلم يا (عمر)، فالحكاية بأسرها تبدو خيالية لأبعد درجة!».

ثم نظر إلى (حنين) قائلًا بشرود:

- «حسنا يا آنسة، فلنفترض أن حكايتك صحيحة رغم أنها غير منطقية.. أولا من المعلوم لدينا أن الشخص الذي نتحدث عنه قد سبقكِ إلى اكتشاف سر المصعد، وبخاصة أنه قد أرسل لكِ البطاقات من عندنا.. بالأحرى من عالمنا!».

- «ولكن من يكون؟ ولماذا قتل مخترع المصعد؟».

- «أنا لا استغرب مقتل مخترع المصعد، ويبدو أنه كان يحاول ابتزازك، ولربما لم يكن المخترع الحقيقي للمصعد فقد أراد بيعه لكِ، وهو الأمر الذي لم يعجب صاحبنا، فبادر إلى قتله لأنه يحتفظ بالمفتاح الذي كان لكِ من الأساس..».

أسرع (عمر) يقول:

- «أي أنه - صاحبنا- أراد لكِ الإسراع باكتشاف سر المصعد!».

- «لماذا؟ ماذا يريد مني؟».

- «هذا ما نحن بصدد اكتشافه عما قريب..».

■ ■ ■

خرج واحد من موظفي دائرة الأشغال خلسة كي يتمكن من تدخين سيجارة، في ممر ضيق خلف الدائرة حيث لا يتمكن أحد من رؤيته..

أبصر هناك شابا وسيما يرتدي معطفا أسودا، كان واقفا ينظر باتجاه إحدى البنايات وسيجارة بين أصابعه، فاقترب منه متمتما ببسمة:

- «أتسمح لي بالانضمام إليك؟»

- «تفضل..»

أخرج الموظف علبة سجائره قائلًا:

www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/

- «كنت بحاجة إلى قليل من هذا السم كي تسترخي أعصابي بعدما عانيت اليوم..».

- «يبدو وأن مهنتك متعبة..».

- «جدا! البشر الذين أتوا لمراجعتنا لا يدعونا وشأننا، كان الله بعوننا!».

وأشعل سيجارته متمعنا في خلقة الشاب، كان طويل الشعر، أزرق العينين، لا بل أخضر..

ولكن لحظة واحدة.. إنه يملك عينا زرقاء وأخرى خضراء!

نفث الدخان ببطء متوجس متسائلا:

- «أتنتظر أحدا هنا؟».

- «أجل..».

- «وهل سيلاقيك هنا؟ مكان غريب للقاء أحدهم..».

- «إنه لا يتوقع قدومي!».

- «لماذا؟ أهو.. تبا! ما الذي أتى به الآن إلى هنا؟».

كان يقصد سيارة خضراء توقفت أمام مدخل الدائرة، فرمى الموظف السيجارة أرضا قائلًا بعصبية:

- «يا للحظ السيئ! إنه المفتش!».

- «أيتوقع وجودك داخل الدائرة؟».

- «بكل تأكيد! ماذا أفعل الآن؟ كيف سأدخل من دون أن يراني؟».

ونظر للوراء، فأبصر شجيرات الشوك التي تسد الممر الضيق تمامًا، فغمغم مغتاظا:

- «ألا تبا لهم! ألا يستطيعون إزالة هذه النباتات اللعينة؟».

- «وما الفائدة؟».

- «فائدة كبرى! ثمة باب خلفي للدائرة سيمكنني من الدخول وبلوغ مكتبي من دون أن يدرك المفتش الأحمق أنني كنت في الخارج أدخن!».

- «إذن فالشجيرات تشكل عائقا لك..».

- «بكل تأكيد! تبا! لقد دخل الوغد الدائرة.. ماذا سأفعل؟».

دسَّ الشاب سيجارته بين شفتيه، ورفع يده ببطء اتجاه الشجيرات قائلًا:

- «لا عليك، سأساعدك!».

- «تساعدني؟!».

فوجئ الموظف بالشجيرات تنزاح ببطء حتى كونت ممرا ضيقا يسمح لإنسي بالمرور!

كاد يسقط أرضا وهو يهتف وفرائصه ترتعد:

- «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم!».

www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/

- «هاهو ذا ممرك!».
- «هل.. هل أنت جني؟!».
- «بالتأكيد لا..».

شعر الموظف بقلبه يتواثب بين أضلعه بسرعة كبيرة، وتصبب العرق من مسامات وجهه وهو يهمس متضرعا:

- «ساحر إذن؟!».
- «ربما!».

وتبسم الشاب بسمة غامضة مردفا:

- «هلم.. أنت لا تريد أن يصل المفتش ليجد مكتبك خاليا!».

تراجع الموظف مذعورا قبل أن يطلق ساقيه للريح صوب الممر الضيق الذي انزاحت شجيرات الشوك عنه..

ولكن، ما إن عبر الممر حتى بوغت بانقضاض الشجيرات ذات الأشواك المدببة! فكأنما انتظرت حتى يمر كي تعود إلى ما كانت عليه!

كان المنظر مروعا، الرجل تحول إلى لوحة سريالية جنونية، دمه صبغ الشجيرات؛ وجسمه استحال منخلا من كثرة الثقوب التي خرقته في كل بقعة..

رمى الشاب سيجارته أرضا قبل أن يطأها بحذائه الثقيل قائلًا بازدراء:

- «نسيت إخبارك بأن الشجيرات ستعود إلى وضعيتها الصحيحة بعد عشر ثوان فقط!».

ثم عاود مراقبة تلك البناية، حيث النافذة التي تمكنه من رؤية (حنين) واقفة تحادث شخصا ما..

www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/

8

قال (أنبل) وهو يسير كأنما يتريض:

- «لن تجدي بقعة تخلو من مكتب للتحقيقات، التحري هو الرجل الأول، هو الشرطة والأمن والمجد والثراء معا!».

قالت (حنين) وهي تعرج مما جعل خطواتها بطيئة نوعا:

- «التحري الخاص بطل لا يقهر في الأفلام والروايات فقط، لكنه هنا مثل نجوم «هوليوود»؟ نجم مجتمعات أكثر منه تحر يحاول الاسترزاق؟!».

ناولها (عمر) الكيس البلاستيكي الذي يقضم منه قطع حلوى ملونة قائلًا:

- «في البداية كانت الفوضى تجتاح العالم، كثرت الجرائم بصورة لا يتقبلها عقل، وصارت أغلى أمنية أن يرجع المرء سليما معافى لأهله وداره دون تعرضه لاعتداء من قبل العصابات التي ملأت الدنيا!».

قال (أنبل) بنبرة حزينة معقبا:

- «صرنا نسخة طبق الأصل عن «شيكاغو» و«ديترويت».. هل سمعتِ بهما؟».

- «بالطبع! ولكن كيف وصل الأمر إلى هذه الدرجة المروعة؟».

- «كفَّ الناس عن التمسك بمعتقداتهم، فصار الإلحاد هو السائد لدى أكثرهم، لم يعد الكثير يعتنق مذهبا، حتى الشرطة ناضلت والإلحاد يملأ عناصرها، فتحولنا إلى أمة من المنتحرين المدمنين، ثم صار المال معبودهم الجديد الذي يضحون لأجله، فصاروا يبحثون عن مصالحهم فحسب.

من هنا ظهرت مجموعة متعاقبة من التحريين، هدفها الأسمى إعادة النظام إلى ما كان عليه، إيقاف القتل والنهب والاغتصاب بأية وسيلة ممكنة، وقد كان شرط الالتحاق الوحيد بفرق التحريين هو اعتناق ديانة ما ولو كانت اليهودية!».

- «ماذا عن الذكاء؟ أليس من المفترض أن يكون التحري ذكيا؟».

عجَّل (عمر) بالقول:

www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/

- «نحـن نتحـدث هنا عن فـرق التحريـين المحترفـة، أما عن التحريـين الذيـن على شـاكلتنا أنا و(أنبـل) فبإمكانهم فتـح مكاتبهم الخاصة طالما يعتنقون ديانة ما، والحمد لله.. لا زلنا مسلمين!».

تأملت البنايات الكئيبة على جانبي الشارع المتسخ مغمغمة:

- «يا لها من حكاية مخيفة!».

- «بـل قولي يا له من تاريـخ مخيف! الحياة هنا أشـبه بجحيم حقيقي، والناس هنـا متراوحة ما بين ضحايا لا حول لها، وعصابات إجرامية تسفك الدماء وكأنه عمل يومي روتيني!».

- «يا إلهي!».

ثم أشار إلى (أنبل) قائلًا بفخر:

- «أنا و(أنبل) شـكلنا مكتب السـنور للتحقيقـات قبل حوالي خمسـة أعوام، والآن شـهرتنا قد طبقت الآفاق، الـكل يثق بنا، ابتداء بالنـاس الذين وقعوا ضحايا للإجرام الذي يسـود هنـا، وانتهاء بفرق التحريات الخاصة التي تسـتدعينا كلما طرأ طارئ جديد وقفوا أمامه عاجزين..».

توقفوا أمام رجل عجوز يبيع النقانق في عربة، فقال (أنبل) مناولا نقوده للرجل:

- «من يريد شطيرة؟».

- «أنا سأكتفي بالحلوى..».

- «شكرا، أنا لا أريد..».

- «كما تشائين..».

وطفـق يثرثر مـع العجوز الذي أخذ يشـتكي من بعـض البلطجية الذيـن داوموا على نهب نقوده كلما سـنحت لهم الفرصة، فهمسـت (حنين) لعمر:

- «لا أتخيـل نفسـي أحيـا في مكان كهـذا المـكان! وكأن (آل كابوني) من يديره!».

- «(آل كابوني)؟ وكيف عرفتِ أنه الحاكم؟».

- «إياك أن تقولها!! (آل كابوني) هو الحاكم؟!».

- «أنا أمازحك فقط! من يكون (آل كابوني) هذا؟».

وضحـك ضحكة اسـتغلظتها، ثـم نظرت إلـى (أنبـل) رامقة إياه بنظرات كلها حيرة وتساؤلات..

قال لها (عمر) بجدية ناظرا نحو صديقه هو الآخر:

- «قضية المشعوذة الغجرية!».

- «من؟!».

- «كانت القضية التي غيرت مجرى حياته..».

- «كيف؟ ماذا حدث؟».

- «امرأة غجرية، اعتادت قتل الأطفال كي تستعمل قلوبهم في سحرها الأسود، (أنبل) قبل القضية وأنا نصحته برفضها..

www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/

في ليلة عاصفة زارها (أنبل) في وكرها بعد كشفه جرائمها المروعة، وعقب مواجهة ضارية بينهما رمته بنظرة نارية ألقت بعدها بتعويذة لعينة عليه جعلته يتحول إلى شخص مختلف عن سائر البشر.. أتدرين ما قالت في تلك التعويذة؟».

- «ماذا قالت؟».

- «قالت: لن يغمض جفن للسنور حتى الممات! سيظل يقظا يشهد المعاناة يوما بعد يوم متمنيا الموت دون أن يناله..

ومن يومها و(أنبل) عاجز عن النوم!».

- «أتعني أنه لا يهنأ بالنوم أبدا من دون كوابيس؟».

نظر لها قائلًا بوجه عابس:

- «ما قصدته أن (أنبل) لا يستطيع النوم أبدا!».

■ ■ ■

- «أيها السنور المسكين! يا من فقدت لذة النوم!

ربما تمنيت الأحلام! ربما تمنيت الكوابيس! ربما تمنيت فقدان وعي لذيذ يمكنك من إرخاء جفنيك لشهور عدة!

أنا الذي سيريحك من آلامك وعذاباتك كلها! أنا الذي سيريحك من معاناة إبقاء بصرك مفتوحا طيلة الوقت كي تشهد جرائم البشر الذين انقلبوا حيوانات ضارية!

أنا مخلصك من العذاب! فاستعد لإحناء رقبتك لي!»

كانت عينان، إحداهما زرقاء والأخرى خضراء، ترصدان تحركاتهم وهم يسيرون باتجاه أعد سلفا لاستقبالهم..

وبشفتين ورديتين مرر لسانه عليهما تمتم بجذل:

- «لقد حان وقت المرح أخيرا يا سنور!»

www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/

9

أمـام المصعـد، وقـف (أنبل) و(عمـر) ومـن ورائهمـا (حنين)، يتفحصـون ثقـب المفتاح فـي اللوح المعدنـي المركب علـى جانبه الأيمن..

تلمس (أنبل) بابه الفضي قائلًا:

- «يبدو لي مصعدا عاديا للغاية..».

وضع (عمر) علكة في فمه متسائلا:

- «هل سنجربه؟».

نظرت له (حنين) بقلق قائلة:

- «أيتوجـب علينا هذا؟ أعني أنه قد ينقلنـا إلى مكان جديد لا يخطر على بال بشر..».

ردَّ (أنبل) وهو لا يكاد يشيح بناظريه عن باب المصعد:

- «سنجربه..».

- «أنت متأكد؟».

- «أجل..».

قامت بدس المفتاح في ثقب المصعد وإدارته، فاشتعل من جديد وانفتح بابه منتظرا ولوجهم داخله..

دخل ثلاثتهم قبل أن يتساءل (أنبل):

- «ما الأرقام التي استعملتها للوصول إلى هنا؟».

- «الرقم (9) فحسب، قد كان مذكورا في بطاقة أرسلها القاتل إلي..».

- «ماذا عن الرقم الذي يوصلنا إلى حيث تديرين شركتك؟».

صمتـت (حنيـن) غيـر مدركة للجـواب، فضحـك (عمـر) قائلًا بدهشة:

- «أحقا لا تعلمين؟».

- «لا!».

- «يا للهول! كيف سنساعدكِ إذن؟».

شعرت برهبة لا حدود لها عندما اكتشفت تلك الحقيقة المخيفة، فقال (أنبل) مهدئا:

- «لا عليكِ، سنتوصل إلى معرفته، الآن أشعر بفضول شديد لتجربة هذا الاختراع الخطير!».

- «أفضل ألا نجرب..».

www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/

- «لا تخافي، على الأقل نحن نعرف الطريق إلى هنا، ولكي نعيدكِ إلى ديارك يتوجب علينا أخذ فكرة عن أداة النقل العجيبة هذه..

لن نستعمل أرقاما ثنائية، سنجرب أرقاما فردية كي لا يختلط علينا الأمر.. من يدري؟ لربما كان الرقم التالي هو رقم حظكِ السعيد يا آنسة!».

أسرع (عمر) يهتف متحمسا:

- «كالياناصيب!».

شعرت (حنين) أنها مقدمة على أخطر مغامرة في حياتها، فخفضت من بصرها هامسة:

- «اختر أنت الرقم إذن..».

هكذا وبلا تردد، قام (أنبل) بالضغط على زر الرقم (1)..

■ ■ ■

كان الأفق أرجوانيا والأشجار سوداء متفحمة بفعل الحرائق..

المشهد بادٍ كاللوحة القوطية، خصوصا بوجود البنايات المخيفة التي بدت مهجورة، بعضها كان مدمرا من جراء حرب ما وقعت، وتأكيدا على ذلك أبصروا جثثا تتآكلها الكواسر في عدة أركان وزوايا من الشارع القذر!

كاد القيء يفيض عبر فمها، في حين سدَّ (عمر) فمه المفغور وأنفه قائلًا بامتعاض منذهل:

- «يا للهول!»

تبينا عبوسا في نبرة (أنبل) عندما قال:

- «الوجهة الخاطئة على ما يبدو!»

- «وكأن القيامة قد حلت بهذا المكان!»

في تلك اللحظة شعرا باقتراب خطوات، لا بل سمعا صوت خطوات تقترب.. وجهوا أبصارهم اتجاه مصدر الصوت، فوجدوا طفلة شاحبة تقترب منهم دامعة العينين!

- «يا إلهي! يا إلهي!».

مدَّت الطفلة يدا نازفة اتجاههم قائلة بانتحاب يمزق نياط القلوب:

- «ماما رحلت.. أين ماما؟!».

تفجرت الدموع من مقلتي (حنين) وهي تسد فمها بكفها، في حين راقبها (أنبل) بنظرات مدققة قبل أن يغمغم بحزم:

- «فلنعد للمصعد حالا!».

تجاهلت (حنين) ما قاله وهي تقترب من تلك الطفلة المنتحبة، هامسة لها بأسى عميق ودموع غزيرة:

- «ما اسمكِ يا حبيبتي؟».

- «لا تقتربي منها!».

www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/

حاولت الطفلة الارتماء في أحضانها، لكن (أنبل) سارع بالإمساك بحنين هاتفا:

- «ابتعدي عنها!».
- «إليك عني!!».

في تلك اللحظة سعلت الفتاة سعالا شرسا وعيناها تجحظان، وبرعب راقب ثلاثتهم الدم الذي سرعان ما انبثق غزيرا عبر حلقها كي يخرج من فمها كالشلال!

سقطت الطفلة أرضا بلا حراك، في حين سحب (أنبل) يد (حنين) المصعوقة، وساعد (عمر) المذعور صارخا فيهما:

- «إلى المصعد!! أسرعا بحق الله!!».

بدا وكأنه يحشرهما داخل المصعد حشرا، ثم عجَّل بضغط زر الرقم (4) بإصبع متعرق..

وعندما وجه أنظاره للباب الذي انغلق رويدا رويدا، أبصر من فرجته الضيقة شخصا واقفا بجوار جثة الطفلة.. شاب وسيم يرتدي معطفا أسودا، ويلوح له بيدٍ غطاها بقفاز جلدي.. وبسمة ماكرة تتلاعب على ثغره القاسي!

10

في كافيتيريا راقية التف حول طاولاتها النظيفة البراقة رواد يرتدون ثيابا بمنتهى الأناقة، جلس (أنبل) ساهما ويده تداعب قداحة معدنية محدثا شرارة بين الفينة والفينة..

كان الرجال يرتدون ملابس السهرات، كذلك النسوة اللواتي أمسك بعضهن بمقابض مظلات مضحكة الشكل زاهية الألوان، أو بكلاب صغيرة ذات فرو أبيض كثيف.. الكل مبتسم وضاحك، فتذكر ويلات العالم المروع الذي كانوا به قبل قليل..

تذكر الشاب الغامض، شعر بأنه قد رآه من قبل، لم يذكر أين، لكنه ذكر بسمته الماكرة التي حدجه بها قبل رحيلهم إلى هذا المكان الشبيه بالشانزلزيه!

رأى فتاة شقراء بارعة الحسن ترفع سيجارتها ذات المبسم الأسود الطويل وهي تنظر له بابتسامة تفتن منتظرة، فتجاهلها موليا اهتمامه للهب القداحة..

www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/

في تلك اللحظة ظهرت (حنين) برفقة (عمر) على ناصية الطريق.. اقتربا منه قبل جلوسهما على مقعدين وهما يلهثان، فسألهما:

- «كيف وجدتما المكان؟».

قالت (حنين) وهي تجرع من كوب الماء الموضوع أمامه بنهم:

- «عجبٌ عجاب! الكل هنا ثري وكأن الجميع من الطبقة الارستقراطية!

كنتُ لأتفقد المكان أكثر، ولكن، ساقي، كما لاحظت!».

هزَّ (أنبل) رأسه متفهما دون أن يظهر شفقته التي شعر بها تجاه عرجها الملحوظ، في حين أسرع (عمر) يعقب متضايقا كي يتناسيا الأمر:

- «والأسعار! أواه من ارتفاع الأسعار المروع! لا يستطيع الواحد طلب قطعة صغيرة من الحلوى المغطاة بالشيكولاتة! لو كنت مكانك لترددت قبل شرب كوب الماء هذا!».

كادت (حنين) تشرق بما شربت، في حين تبسم (أنبل) مغمغما بعبوس:

- «لهذا ترددت قبل طلب فنجان قهوة!».

- «هذا عهدي الدائم بك أيها السنور!».

تأملت (حنين) الزبائن السعداء واجمة، فسألها (أنبل):

- «هل من خطب يا آنسة؟».

- «لا استطيع نسيان الطفلة المسكينة التي خلفناها وراءنا!».

والتمع الدمع في عينيها، فهمس لها برفق:

- «أنتِ تعلمين أن ذلك المكان المروع كان محكوما عليه بالدمار، اصطحاب تلك الطفلة معناه الدمار لأي مكان آخر نقصده، كما أنه يعني هلاكنا أيضًا..».

قال (عمر) متأملا جمال الفتيات اللواتي يداعبن فراء كلابهن:

- «كما أن البائسة كانت هالكة لا محالة!».

وعندما شعر بصمتهما استدار، فوجد (أنبل) يحدق به مستنكرا، في حين غطت (حنين) وجهها بكفيها وكأنها تنتحب!

اقتربت النادلة الحسناء قصيرة الشعر في تلك اللحظة، فمنحتهم بسمة حلوة قبل تساؤلها:

- «ماذا تطلبون يا سادة؟».

أسرع (عمر) يقول لها واجما:

- «الحساب؟».

■ ■ ■

- «ثلاثون يورو على كوب ماء؟!»

كذا صاح (عمر) بوجه مرتعد من شدة الاغتياظ، فتبسم (أنبل) صامتًا، في حين قالت (حنين):

www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/

- «ولماذا باليورو؟ الكل هنا عرب!»

- «والكل يتحدث الفرنسية رغم أنهم عرب! في البداية ظننت أننا ارتحلنا إلى باريس! ولكن ما اتضح لي أن الثقافة الفرنسية سيطرت على هذه الدنيا!»

قال (عمر) بامتعاض:

- «رأيت رجلا شرقي الملامح يلتهم وجبة من الضفادع بالصلصة في أحد المطاعم! كان منظرا مروعا!».

- «يا للشناعة!».

تمتم (أنبل) واضعا يده في جيبه:

- «لا بأس، اعتبرا الأمر مجرد سياحة.. صحيح أنه لا يوصلنا لشيء لكنه لا يخلو من متعة! أليس كذلك؟».

فجأة صمت وقد تبدى تجهم ملحوظ في سحنته، فاستشعرت (حنين) ذلك قبل أن تسأله قلقة:

- «أثمة خطب ما يا (أنبل)؟».

- «لا تلتفتا يمينا أو يسارا، تابعا السير كأن شيئا لم يحدث..».

- «لكن شيئا لم يحدث بالفعل!».

- «وماذا لو قلت لكما أن الشخص المنشود يلاحقنا الآن؟».

كادت (حنين) تتلفت مذهولة قبل تنبهها إلى نصيحته الحذرة، فهمست شاعرة بألف عين ترصد مؤخر عنقها:

- «كيف تكون متأكدا هكذا؟ كيف تعرف أنه هو؟».

- «قد كان في تلك الأرض التي أصابها الوباء، واقفا يلوح لنا بسخرية!».

- «رأيته إذن؟!».

شعرت برغبة في التلفت وهي تسأله:

- «وأين هو؟».

- «قريب جدا، إنه يتنقل بخفة غير عادية!».

- «وكيف وصل إلى هنا؟».

أخيرا بلغوا المصعد، فأسرعت (حنين) باستعمال المفتاح، ودخل ثلاثتهم و(أنبل) يتابع الطريق بزاوية بصره، لكن أحدا لم يظهر لحسن الحظ..

انغلق باب المصعد ببطء، فضغط زر الرقم (2) وهو يقول لهما بتجهم:

- «الأمور باتت واضحة الآن! لم يعد هناك مجال للشك.. مطاردنا الغامض لديه نسخة من مفتاح هذا المصعد العجيب!».

www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/

الفصل الثالث

راية الشجعان

www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/

11

- «سأذكرك بالخير!».

تبـدى عدم التصديـق والذهول على وجه (جـواد) قبل أن ينكفئ على وجهه فاقدا النطق والروح!

تأمل (باهر) جثة رفيق عمره المزعوم بصمت، قبل أن يسحب من جيبه منديلا أمسـك به السكين من المقبض وانتزعها ببطء شديد، ثم طفق ينظف البصمات بشرود..

- «لقد قتلته!!».

التفت (باهر) ببطء ليجد (هند) واقفة تتأمل الجثة برعب، فاستدار ناحية الجثة قائلًا لها بلوم:

- «أيها المغفل! حتى أنك لا تستطيع التأكد من كتمان سر فيما بيننا!».

وعاد يلتفت إليها قائلًا ببسمة ودود:

www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/

- «(هند) يا عزيزتي! أنا فعلت هذا من أجلنا! لم تكن خياراتي وافرة!».

- «قتلت صديق طفولتك! قتلت خطيبي!!».

- «لم يكن الوغد يحبكِ مثلي!».

- «رباه! قد كان (جواد) محقا بشأنك ولم أصدقه!!».

وهنا لوح (باهر) بالسكين في وجه الفتاة صارخا بغضب:

- «أنا لست مجنونا يا (هند)! أنا أحبكِ!».

تراجعت (هند) قائلة برعب لا حدود له:

- «دعني أرحل!».

- «وحبنا؟ والثقة؟».

- «دعني أرحل أرجوك ولن أخبر أحدا!».

تبدت نظرة حيرة وضياع لأول مرة في سحنة (باهر)، ثم قال مرتجفا:

- «ما بالكِ يا فتاة؟».

لكن نظراتها باتت أكثر صراحة من ذي قبل.. نظرات تتهمه بالجنون المطبق!

- «أنا لست مجنونا!».

قالها بغضب عارم مخيف، وفي يده ارتجف نصل السكين..

همست وهي تخطو للوراء:

- «لم أقل هذا!».

- «بل قلته! في عينيكِ! خسارة يا (هند)! كنتِ ستصيرين ملكتي!».

وهنا صرخت (هند) بشدة مدركة ما انتوى (باهر) صنعه..

حاولت الفرار إلى الباب، إلا أنه قبض بسرعة شعرها الطويل صائحا:

- «إلى أين؟ بيننا حساب لم يصفى بعد!».

- «دعني يا (باهر) أرجوك!».

- «يا للخسارة! هذا الشعر العطر!».

وتشممه بوله.. ثم حدق بوجهها ساهما قبل أن يهمس بنبرة مريرة:

- «هاتان المقلتان الدعجاوان!».

وترقرق الدمع في جفنيه!

حدقت بوجهه مرتعبة، فمسَّ خدها بإبهامه قائلًا:

- «أنا مضطر.. سامحيني!».

فجأة، تحطم الباب إثر ركلة قوية.. ودخل شاب يرتدي ثيابا جلدية بنية كراكبي الدراجات النارية، في يده اليسرى ارتدى قفازا

www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/

تخرج أصابعه عارية من فتحاته، تتبعه امرأة ملهوفة صرخت ما إن وقع بصرها على الفتاة:

- «ابنتي!!».

- «أماه!!».

أما (باهر) فقد كانت تلك مفاجأة غير سارة له على الإطلاق!

- «أنت؟!».

قالها بصوت متوحش، فتقدم الشاب منه رافعا كفه المفتوحة ذات القفاز مغمغما بلهجة صارمة:

- «دع الفتاة يا (باهر)!».

- «في أحلامك!».

- «دع الفتاة أيها المختل الحقير!».

- «اقترب أكثر وسأجز رقبتها!».

أمسكت الأم بذراعه صائحة بذعر لا حدود له:

- «لا تستفزه أيها (الفزع)!».

- «أنصت لكلامها أيها (الفزع)!».

بسخرية قالها (باهر) ممررا سكينه على أوردة (هند) متظاهرا بتقطيعها، فقال المدعو (فزع) بتؤدة ملوحا بكفه ذات القفاز:

- «أحيانا.. يخلق العديد منا بطفرات كالمواهب، الناس العاديون قد يعتبرونها شعوذة.. أنا أعتبرها هبة من عند الله تساعدنا على الخلاص من المجانين أمثالك يا (باهر)..

سنوات وأنا أتعقب حثالة مثلك، لا تكف عن مراقبة الفتيات المخطوبات وتحويل أفراحهن إلى مجازر دامية، تتقرب من الخطيب بداية، ثم تذبحه كي تظفر بخطيبته!»

قبّل (باهر) وجنة (هند) التي بللها الدمع المالح قائلًا وعيناه تتألقان:

- «ألا يستحققن كل هذا الاهتمام يا (فزع)؟ ألا ترى جمالهن الذي يثير جنون المرء؟ ألا ترى كم هن فاتنات يسلبن العقول؟!».

- «أنت فاسد من الداخل يا (باهر)، وفي هذه المرة لن أدع الشرطة تقبض عليك.. في هذه المرة سأريحك من آلامك!».

ولوّح بقوة بيده ذات القفاز، فوثبت السكين من يد (باهر) عاليا قبل أن ينقض الفزع عليه ليولج قدمه في معدته، فتلقى (باهر) الضربة التي أرغمته على التراجع، إلا أن السكين عادت بقدرة قادر إلى يده وهو يثب باتجاه والدة الفتاة هذه المرة!

- «لا بأس! سآخذ والدتها عوضا عنها!».

فوجئت المرأة بحد السكين على نحرها، في حين نهض الفزع متثاقلا وهو يتساءل مندهشا:

www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/

- «كيف؟».

أطلق (باهر) ضحكة استهزاء صائحا:

- «أتظنني نسيت ألعاب الخفة اللعينة التي تزاولها؟ كنت أعلم أن سكيني سيطير من يدي، لكنني استرجعته بخيط ربطته حول معصمي! أنا مطلع على كل خطوة من خطواتك المثيرة للشفقة!».

- «أيها الثعلب الماكر!».

نظرت المرأة باتجاه ابنتها متسائلة ببسالة:

- «هل أنتِ بخير يا حبيبتي؟».

هطلت دموع (هند) غزيرة وهي ترد:

- «سننقذكِ يا أمي!».

وقال الفزع غاضبا وهو يرفع كفيه:

- «يا لك من وغد يجيد الاحتماء وراء النساء!».

- «جيد أنك لاحظت هذا.. والآن تراجعا للخلف وإلا..».

وشدد من ضغط السكين على رقبة المرأة في إشارة جلية المعنى..

تراجع الفزع حذرا، فخرج (باهر) من الغرفة.. ثم من الشقة.. وصعد السلالم لفوق برفقة رهينته الجديدة..

لحقا به و(هند) تصيح مرتاعة على حياة والدتها:

- «دعها يا (باهر) أرجوك! ليس لها علاقة بشيء!».

تجاهل كلامها حتى صار أربعتهم على سطح البناية.. وظلَّ (باهر) يتراجع محتميا بجسد المرأة حتى اصطدم بحاجز البناية الإسمنتي المطل على الشارع..

هتف الفزع وبصره معلق بالسكين:

- «استسلم يا (باهر) فلا مهرب لك..».

ردَّ بسخرية وهو يشم وجنة المرأة التي بدت رابطة الجأش:

- «أتعلمين يا (هند)؟ رغم أن والدتكِ أكبر منكِ ومني سنا إلا أنها تتمتع بجمال وافر حقا!

ربما كان عليّ تعرفها من قبل.. عندها كنتِ ستنادينني ب"والدي" وتحترمينني أكثر!».

- «لا تتمادى يا (باهر)!».

ورمقته (هند) بنظرات كلها اشمئزاز وكراهية، فتساءل عقب لحظة صمت:

- «إذن فأنتِ تكرهينني الآن؟».

- «كان يجب أن أكرهك منذ أمد بعيد!».

وجم (باهر) لوهلة.. وبنظرة جانبية حذرة أطل بوجهه رامقا الشارع والمارة من فوق..

قال بنبرة خفيضة وهو يعاود مواجهتهما بنظراته السامة:

www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/

- «سأخبركِ بسر يا (هند)، وسر لا يعرفه سواي وغريمي العتيد هذا!

عندما أتيت عن طريق علاقة غير شرعية نبذني الكل، كنت كالكلب المسعور الذي تُرك جروا أمام الأبواب ونبذته الدنيا دون أن ترحمه.. كل الذين حاولوا الاعتناء بي فعلوا ذلك كي يشبعوا غرائزهم البغيضة فيّ!

كان صاحب الملجأ هو الأول، ومن ثم الرجل الذي تبناني، وعندما هربت التقطني منحرف ثالث، وفي النهاية وقعت في براثن عصابة كاملة تتبع قوادا عالميا لم يتمكن أحد منه، بل إنه مات ميتة طبيعية رغم جرائمه المروعة بحق الأطفال!».

توجست (هند) خيفة منه وهي تقول مرتعدة:

- «أنت ضحية مسكينة يا (باهر)! لكنك تحولنا أنا ووالدتي إلى ضحايا أيضًا..».

- «كلنا ضحايا يا عزيزتي.. كلنا!».

سأله الفزع بقسوة:

- «ما الذي تريد قوله؟».

- «بل ما الذي أريد فعله.. سأفعل ما كان يتوجب علي فعله منذ زمن!».

وتراجع أكثر هاتفا:

- «وسآخذ والدتكِ عنوة معي!!».

وبسرعة طوق عنق المرأة بذراعيه، ودفع بجسده وجسدها للوراء في ذات اللحظة التي قفز بها الفزع مستعملا يده ذات القفاز، فوثبت المرأة بقدرة قادر من ذراعي (باهر) إلى ذراعيه هو، في حين هوى جسم (باهر) الذي بدا منذهلا لما حدث!

لكن المرأة أطلقت شهقة مروعة وعيناها تجحظان، فتذكر الفزع خيط (باهر) الذي قام بلفه حول عنقها بمكر من دون أن يتنبه إلى ذلك!

نظر ليجد خصمه المختل يترنح في الجو، كان متشبثا بالخيط وقدماه تركلان الهواء كالعفاريت، فصرخ الفزع محاولا قطعه بيديه:

- «دعها أيها المخبول!».

- «دعها أنت إن لم ترغب بالقدوم معنا!».

تجاهل الجروح الدامية في يديه من جراء محاولاته الخرقاء لقطع الخيط المتين، كان خيطا غير عادي أقرب للأسلاك المعدنية، فشعر بيأس لا حدود له، وبخاصة مع صيحات الفتاة التي أتت ممزقة الهواء من ورائه:

- «أماه!! أماه!!».

وهنا مرر كفه ذات القفاز، فوثب جسد (باهر) في الهواء باتجاهه، فما إن التقطه حتى خطف منه السكين صارخا في وجهه:

www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/

- «أيها اللعين!!».

وبكل ما أوتي من قوة قام بقطع خيط المختل، فهوى من حالق كالحجر الثقيل لكن من دون أن يطلق صرخة واحدة، كان مستكينا مستسلما لمصيره وهو يضحك!

تحطم جسده على الشارع كالبطيخة وسط صراخ الناس وتجمهرهم حول جثته!

ومن فوق، تأمل الفزع المنظر البشع شاعرا بارتياح لا حدود له، لقد انتهى الأمر..

- «أماه!! لا تموتي!!».

نظر إلى (هند) قبل إسراعه إلى تفحص والدتها، فهاله أن يجدها جاحظة العينين والزبد خارج بغزارة من فمها..

- «أنت! أنت قتلتها!».

نظر ذاهلا، فوجد إصبع الاتهام يشير إليه هذه المرة!

- «أنا؟!».

- «قاتل!! أنت الذي جررتها معك إلى هنا أيها الوغد!!».

- «لكنها أصرت! لم تستمع إليّ حين نصحتها بالبقاء!».

- «تبا لك أيها القاتل!».

وبكت بحرقة أليمة وهي تحضن جثة والدتها، فتراجع للوراء دون أن يملك المقدرة على النطق أو الحراك.. لقد ألجمه الموقف تماما..

■ ■ ■

عندما انفتح باب المصعد، أطل (عمر) بوجهه متوخيا الحذر، فوقع بصره على سجادة قرمزية وممر نظيف معطر الجو..

أعاد رأسه قائلًا بابتسامة:

- «الطريق سالكة!»

خرج ثلاثتهم من المصعد و(أنبل) يسأل (حنين):

- «أهذه شركتكِ يا آنسة؟»

- «أظن هذا!».

- «حقا؟!».

- «أجل، إنه ذات الممر لكن..».

- «لكن ماذا؟».

- «كان من المفترض أن تكون لافتة «المصعد معطل» موجودة أمام بابه..».

قال (عمر) متأملا أرجاء المكان:

- «ربما أخذها واحد من الفراشين..».

www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/

- «ما السبب؟ أنا لم آمر أحدا بإصلاح المصعد، ولا أظنهم يتصرفون من دون إبلاغي..».

هرش (أنبل) مؤخر عنقه وهو يسير بخطى حثيثة قائلًا:

- «دعونا نتأكد إذن، فلنبحث عن الموظفين..».

- «وأين هم بحق الله؟».

كانت غرف المكاتب خالية منهم، شاشات الحواسيب لا تزال مشتعلة، الأضواء أيضًا، وكأن الكل قد ترك عمله ولاذ بالفرار!

- «أين الجميع؟».

هبطوا السلالم أملا بإيجاد أحد، عندما توقف (أنبل) قائلًا لهما بشك:

- «أتشمان هذه الرائحة؟».

- «رائحة؟».

- «رائحة شيء ما يحترق!».

اتسعت عيناها في فزع، وهتف (عمر) وقد تسمر بمكانه:

- «حريق!».

- «هذا ما دفع العاملين هنا للفرار!».

- «علينا العودة إلى أدراجنا!».

صاحت (حنين):

- «لكنها قد تكون شركتي!».

جذبها (أنبل) بحزم من ذراعها قائلًا:

- «إنه الرقم (2).. سنعود لاحقا!».

فما إن هموا بالصعود حتى ظهر لهم من إحدى الغرف رجل يرتدي ثيابا سوداء مزدانة بشرائط صفراء فسفورية، ويعتمر خوذة مزودة بمصباح، ويحمل في إحدى يديه فأسا صغيرة الحجم..

كان رجل إطفاء، وجهه ملوث من آثار السخام، وقد بدا شديد الذهول لما وقع بصره عليهم، إذ صاح بانفعال:

- «ماذا تفعلون هنا؟ ظننت المبنى قد بات خاليا الآن!».

- «قد علقنا هنا..».

- «أتدركون بأن حريقا هائلا قد اندلع هنا؟».

- «بتنا ندرك الآن!».

تخطاهم الرجل صاعدا لفوق وهو يهتف بحدة:

- «لا مجال للنزول، علينا بالصعود قبل أن يبلغنا الحريق المروع..».

- «كيف سنخرج من فوق؟ هل سنقفز؟».

- «إن لم نملك خيارا آخر!».

تبعوه بخطوات متعجلة حتى بلغوا الممر، فصاحت (حنين) بالاطفائي:

www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/

- «تعال معنا! سنستقل المصعد..».

- «أي جاهل بالسليقة يدرك ألا ينبغي عليه استخدام المصاعد ساعة نشوب حريق!».

- «حين تأتي برفقتنا ستفهم..».

ساروا في الممر حيث يقع المصعد، لكنهم جمدوا في أماكنهم كالتماثيل عندما وجدوا النيران تلتهم كل شيء صانعة سدا منيعا مميتا في وجوههم المكفهرة!

12

شدَّ (عمر) شعر رأسه هاتفا بذعر:

- «لقد ضعنا!».

- «المصعد!».

كذا صاحت (حنين) شاعرة بانقباضات متتالية بين أضلعها، في حين صاح الإطفائي بهم:

- «من هنا!».

وركض حتى آخر الممر وهم وراءه، في حين توقفت (حنين) أمام واحدة من الغرف قائلة:

- «هذه غرفة مكتبي!».

فما إن همت بفتح الباب حتى التقطت أذناها صيحة شديدة تقول:

- «احذري!!».

www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/

كان البـاب قـد فتح فعلا، لكن ذراعـان قويتان امتدتـا كي تدفعها بقوة في اتجاه معاكس للنيران المندفعة..

نظـرت (حنين) مذعورة، فأبصرت النيـران تنقض على الإطفائي كأنمـا تبلعه، فأطلقت صيحة مروعـة، في حين وقف (أنبل) و(عمر) عاجزين عن فعل شيء..

ولكـن، ولدهشـتهم الشـديدة، فوجئـوا بالإطفائي يخفـي وجهه بذراعيـه وقد بـدت ثيابه شبـه محترقة كليـة، إلا أن جلده بدا سـليما وخاليا من أي أثر للحروق!



نظر إليهم ليجدهم على تلك الحال، فتمتم متجهما:

- «لدي مناعة ضد النيران!».

- «ماذا تعني؟ أنك إنسان خارق؟».

- «شيء من هذا القبيل!».

وتأمل (حنين) التي وقفت بعون من (أنبل) تراقبه مذهولة ومنبهرة بآن واحد، فسألها:

- «أأنتِ بخير؟».

لم تستطع الإجابة، في حين سأل (عمر) الإطفائي:

- «أحقا لا تستطيع النيران أذيتك؟».

- «تبدون مندهشين وكأنها المرة الأولى التي ترون بها شخصا يملك مقدرة كهذه!».

- «ماذا تعني؟».

- «مـاذا اعنـي؟ هنالك مـن يتنفسـون تحت الماء على سـبيل المثال!».

- «يتنفسون تحت الماء؟!».

حدق الإطفائي في وجوههم قبل تساؤله القلق:

- «مـن أنتم؟ ومن أين أتيتم بالضبط؟ وكيف وصلتم إلى مبنى من المفترض أنه خال من البشر؟».

أجابه (أنبل) وهو ينظر حوله محتدا:

- «دعنا نخرج من هنا أولا ومن ثم نتكلم!».

كانت النيران تحاصرهم من كل حدب وصوب، فأشـار الإطفائي إلى أحد المكاتب قائلًا:

- «من هنا..».

دلفوا واحدا تلو الآخر، وقام الإطفائي بإقفال الباب قائلًا لهم:

- «إلى النافذة..».

أسرعوا إليها، وعندما حاولوا فتحها..

- «إنها عالقة!».

تخطاهم شـاهرا فأسه، وبها أهوى على الزجاج محطما إياه لقطع متناثرة، ثم أطل بوجهه ملوحا بالفأس لزملائه بالأسفل..

www.sa7eralkutub.com

www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/

أعاد رأسه مواجها إياهم، فسألته (حنين):

- «ماذا الآن؟».

- «استعدوا، فالطوافة ستهبط لإنزال حبل نجاة سيتوجب علينا استخدامه جميعا..».

- «ولكنني أخاف المرتفعات!».

تجاهلها الإطفائي معيدا إخراج رأسه، وتمكنوا عبر النافذة من رؤية الحبل المزود بربطات التشبث وهو يهبط من فوق، فقال (أنبل) باسما:

- «الآنسات أولا!».

شعرت (حنين) بخوف هائل يعتريها، لكنها حاولت التماسك وعدم إظهار خوفها أمامهم..

عاونها الإطفائي على مد جسمها خارج النافذة وهو يخاطبها بحزم:

- «تذكري أن تتشبثي بكل ما أوتيتِ من عزم بالحبل، وعندما يرفعونكِ تصيرين في بر الأمان..».

أومأت برأسها والدوار يكاد ينال منها منذ الآن، في حين أعطى هو الإشارة لرجال الطوافة التي حلقت ببطء وسلاسة حاملة إياها لفوق بعيدا عن النافذة والحريق..

فما إن ابتعدت عنهم حتى فوجئوا بها تفلت الحبل وكأنما أغشي عليها، ومن الارتفاع الشاهق هوى جسمها وقد امتصته الجاذبية بأكبر سرعة ممكنة!

■ ■ ■

لم تشعر (حنين) بشيء وهي تسقط من حالق، ولربما كان الشرود والخواء هما الأقرب لتعابير وجهها وثنايا قلبها وسراديب عقلها..

بدت مستسلمة تمامًا، ولم تشعر إلا وشيء أسود اللون يقترب منها بسرعة صاروخية مذهلة..

كان شخصا! شاب أسود الشعر يرتدي نظارات شمسية سوداء وقفازات ومعطفا جلديا أسودا أيضًا، وحول عنقه يلف وشاحا كحليا اتقاءً لبرودة الطقس!

تلقفها في اللحظة الأخيرة، ثم احتملها محلقا بها بعيدا عن البناية والحريق، فهلل الجمع الذي بالأسفل وهم يصوبون أصابعهم نحوه منبهرين! في حين بدأت تفيق من صدمتها لتلج صدمة أخرى وهي تهمس ذاهلة ناعسة العينين:

- «إنك تطير!»

ابتسم قائلًا ببساطة:

- «أفعل أي شيء لإنقاذ آنسة لطيفة وجميلة مثلك!»

رمت برأسها للوراء مكررة بإنهاك:

www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/

- «لكنك تطير!».

نظرت للأسفل، فوجدت البنايات والبشر قد استحالت مجسمات دقيقة، فغطت بصرها بكفيها قائلة بنبرة مرتعدة:

- «أنزلني أرجوك!».

فلبى الطلب.. في ميدان المدينة هبط ببطء ورفق ورشاقة، ومنح قدميها متعة ملامسة الأرض من جديد..

لم تدر كيف تشكره، لقد أنقذ حياتها ولكن بأغرب طريقة ممكنة، نظر لها باسما قبل أن يقول:

- «على الرحب والسعة!».

- «آسفة! أعني شكرا لك، أنا مدينة لك بحياتي..».

- «هراء، هذا واجبي..».

- «لكنك تطير!».

- «وأنتِ تبدين كمن أتى من عالم آخر!».

وضحك ضحكة عابرة قبل أن ينطلق مجددا في السماء ملوحا لها بيده، فلوحت له باسمة وهي تتمتم كالمأخوذة:

- «يبدو أنني قد جننت أخيرا!».

13

اجتمع الرفاق مجددا في أحد مطاعم الوجبات السريعة، حيث طلب كل من (حنين) و(أنبل) شطائر اللحم البقري والبطاطس المقلية، في حين طلب (عمر) «الآيس كريم"! وجلسوا بانتظار طلباتهم بصمت كأن على رؤوسهم الطير!

كانت يد (أنبل) تعابث القداحة، فصوبت (حنين) بنظراتها إليه قبل أن تسأله أخيرا:

- «هل أنت مدخن أصلا؟».

- «كلا..».

- «لماذا تحمل هذه القداحة معك أينما حللت إذن؟».

- «قد تندهشين من الفراغ الذي قد يشعر به شخص مثلي لا يستطيع التمتع بالنوم أبدا!».

- «آسفة..».

تأملهما (عمر) قبل صيحته المغتاظة:

www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/

- «ذلك الشخص كان يطير كالحمامة!».

استرعى انتباه نصف الزبائن بصيحته تلك، فكزَّ (أنبل) على أسنانه متمتما:

- «(عمر)..».

- «معذرة يا سنور، لكن هذا يفوق قدرة المرء على الاحتمال!».

- «ما المشكلة؟».

- «المشكلة أن إطفائيا لم تؤثر فيه النيران، وشخص آخر كان يطير كال..».

- «كالحمامة.. فهمنا!».

- «وأنتما هاهنا تتحدثان عن قداحة؟!».

- «حسنٌ، إن أغلب البشر هنا بقدرات.. لنقل.. غير محدودة!».

- «بهذه البساطة؟!».

- «ماذا تريدني أن أقول غير ذلك؟».

وصل الطعام في تلك اللحظة، فولى (عمر) وجهه شطر طبقه قائلًا بضيق:

- «لا أقصد شيئا معينا ولكن..».

شعرت (حنين) بشفقة اتجاهه، مما دعاها لأن تقول:

- «إنها غلطتي، كان عليّ ألا أورطكما بالأمر..».

ردَّ عليها (أنبل):

- «(عمر) يظهر ضيقه لإخفاء الحماسة التي يشعر بها اتجاه مغامراتنا المتعاقبة.. أليس كذلك يا (عمر)؟».

- «كذلك..».

قالها دون حماسة ملتهما بشراهة ما في طبقه، كان يتابع البشر من حوله في شك وريبة، فرمقته (حنين) بنظرة باسمة متمتمة:

- «ألا تتناول سوى الحلوى؟».

- «أنا أعشق الحلوى، أعبدها!».

- «لكنك تتناولها بكميات لا تصدق!».

- «هذا شأني أنا!».

وران صمت مطبق أرجاء المكان، قبل أن يقول (أنبل) متناولا شطيرته:

- «أعلم ما الذي تتحاشيان الحديث عنه، علينا التريث حتى انتصاف الليل قبل العودة والتأكد من أن المصعد لا زال يعمل..».

- «لا زال يعمل؟ ألا تعتقد بأنه قد دمر تمامًا؟!».

- «فلنصلي لله ألا يكون هذا ما حدث..».

بدا كأن غمامة الكآبة قد حلقت فوقهم، فالشعور بأن دمار وسيلة إعادتهم إلى عوالمهم القديمة حيث ينتمون، قد جعل أفكارهم مقبضة

www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/

بشأن العيش في عالم يحكمه بشر خارقون يصنعون المعجزات كأنه نمط حياة روتيني..

رفض (عمر) إغلاق فمه، فقال بعبوس:

- «لا معنى للحياة هنا إذا لم نكن نمتلك مقدرات خارقة..».

وهنا سمعوا من يخاطبهم بقوله:

- «ليس بالضرورة، فليس كل الذين يقطنون هنا ممن يمتلكون مثل تلك المقدرات!».

نظروا إلى المتكلم، فوجدوه شابا على قدر من الوسامة، يرتدي سترة جلدية بنية وقفازا تخرج من ثقوبه أصابعه..

كان يتناول شطيرة هو الآخر متأملا إياهم باهتمام، فسألته (حنين):

- «أحقا؟».

- «أجل، لكن العدد الأكبر هو الذي يمتلك تلك المقدرة وتلك هي المشكلة..».

- «مشكلة؟».

- «يبدو وأنكم أغراب عن هذا العالم كما تدعون!».

تساءل (عمر) محتدا:

- «هل من عادتك التجسس على أحاديث الناس؟ أم أنها مقدرة خارقة أخرى؟».

- «معذرة، لكن محور حديثكم قد أثار اهتمامي..».

ونهض لينضم إليهم مادًا يده وهو يقول باسما:

- «اسمي (آدم)، سعدت بلقائكم!».

■ ■ ■

في الميدان الرئيسي للمدينة يتنقل الناس على أقدامهم أو باستعمال الحافلات والسيارات والدراجات..

فجأة.. يثب من إحدى الحافلات رجل يحمل حقيبة جلدية، فينطلق مسرعا وتنطلق الأصوات الغاضبة خلفه:

- «لص! لص!»

يلمحه شرطي واقف بجوار الرصيف، فينطلق بسرعة هو الآخر، ولكن ليس بذات السرعة، إنه يركض كالفهد حقيقة لا مجازا!

وفي ثوان كان يوقع اللص أرضا ويكبله وسط الدهشة التي غمرت وجوه (أنبل) و(عمر) و(حنين)..

- «هل رأيتم سرعة هذا الشرطي؟!»

لم يردا على (عمر)، فقد ألجمهما الموقف المذهل..

- «واحد يطير والآخر يركض بسرعة البرق! يا له من عالم مسل!»

يقول (آدم) لهم متأملا الطريق استعدادا لعبور الضفة الأخرى:

www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/

- «نحن نعتبر الذين يطيرون ممن يوضعون في خانة الشهرة كنجوم السينما والطرب في عوالمكم، فالناس هنا يتهافتون على تواقيعهم والتذكارات التي تحمل أسماءهم وصورهم، مع عروض تمثيل في إعلانات لترويج سلع معينة كالوجبات السريعة والهواتف النقالة والمركبات..».

قال (عمر) باسما وهو يوجه كلامه لحنين:

- «أي أن الذي أنقذكِ نجم مشهور!»

- «كان شخصا متواضعا لا يعبأ بالشهرة..»

ردَّ (آدم) عليها بتهكم:

- «متواضع؟ على الأرجح هو قام بإنقاذك وعدسات التصوير ترصد كل خلجة من خلجاته، ولربما كان هنالك طاقم تصوير ومخرج عصبي لم يثب صاحبك المنقذ في الهواء إلا لدى تلقي إشارة البدء منه!».

- «هذا شنيع! كما أنه مجرد تخمين..».

- «يبدو وأنكِ لا تدركين حجم البؤس الذي يحيط بأصحاب بعض القدرات العجيبة ومنهم أنا!

أنا وأمثالي ممن يمثلون الطبقة الكادحة من أصحاب القدرات الخارقة، نُسخر قدراتنا في أعمال تعيننا على الحياة، وصدقيني على

الأرجح قد تجدين المواطن العادي هنا يحيا برغد وهناء أكثر من أي شخص يمتلك مقدرات خارقة..».

- «أمر لا يصدقه عقل..».

أشار (آدم) في تلك اللحظة إلى بعض عمال الطرقات، فرأوا من بينهم عاملا لا يستخدم المعول لحفر الطريق، بل بقبضتيه المجردتين فحسب! كان يهوي بهما محدثا زلزالا وشقوقا متسعة في الأرض الإسفلتية، في حين يقف زملاؤه - الذين كانوا بشرا عاديين- يتسامرون ويدخنون بانتظار انتهائه من العمل الشاق!

قال (آدم) متأملا ذلك المنظر الذي بدا حزينا بعض الشيء:

- «الأقوياء لا يحكمون العالم هنا، إنهم الأكثر مشقة، فالقانون يوكل إليهم العمل الشاق المختص بالمقاولات والإصلاحات والحفريات، الشخص صاحب المقدرة الخارقة على تفتيت الصخر ليس بإمكانه اختيار وظيفته أبدا، إذ أن القوة تعد نقمة هنا..

لذا قد تجدون أكثر المجرمين في المدينة من الأشخاص الخارقين، يستعملون قوتهم الخارقة في الإجرام، وتلك تعد من كبرى المشاكل لدينا..».

- «يا للهول! ولماذا لا يمنعون مثل تلك القوانين المتعنتة هنا؟».

- «في عالمنا القوانين سنت كي تبقى!».

www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/

- «أعتقد بأنها مشكلة مشتركة.. تقريبا!».

فوجئوا – وأمام أعينهم المجردة– بحافلة كاملة تنقلب أمامهم وكأن إعصارا قد اكتسحها! فأطلقت (حنين) صيحات مذعورة، في حين تراجع الشبان وقد علت الدهشة وجوههم جميعا..

أما عن المتسبب بالحادث المروع فقد كان رجلا تدل ثيابه البالية والمتسخة على أنه متشرد، كان رجلا مخبولا يدمر أي شيء يعترض سبيله، وفي ثوان ظهرت عناصر الشرطة استعدادا للتصدي له!

جذبهم (آدم) بعيدا عن المعركة الدائرة قائلًا لهم بانزعاج:

- «على الأرجح سيقومون باستدعاء فرقة الخوارق الضاربة للتصدي والقبض على ذلك المسكين!».

- «ذلك الثور الهائج مسكين؟! ألم تشاهد كيف رمى بتلك الحافلة وكأنها كيس قمامة؟!».

دخلوا منعطفا قريبا وأصوات صياح العراك القائم تمزق آذانهم، فقال لهم (آدم) واجما:

- «كان ذلك الثور الهائج عاملا مجدا ومخلصا لأبعد درجة، وقد كان لا يزال محتفظا برجاحة عقله حتى حملت زوجته منجبة له صبية جميلة..».

- «أهو ممن يكرهون البنات؟».

- «بل هام بها وكأنها روحه، لكنه وفي أحد الأيام.. قتلها!».

- «أتمازحنا؟!».

تبدى أسى على وجه (آدم) مردفا:

- «قوته الخارقة كانت السبب! لقد كان حادثا غير مقصود.. إنها نقمة القوة الخارقة التي يتمناها البعض!».

قال (أنبل):

- «يبدو وأنك تعرفه..».

- «كان من أعز أصدقائي..».

شعر ثلاثتهم بالأسى الشديد، وبالطبع كانوا فضوليين بخصوص تلك الحادثة وكيفية وقوعها بالضبط، لكن أحدا منهم لم يجسر على السؤال..

ساروا وراء مرشدهم في هذا العالم العجيب، فوجدوا أماكن شنعاء من التي يؤمها المشردون، فقالت (حنين) وقد ضاقت ذرعا بكتمان خواطرها:

- «التشرد هنا لا يمكن وصفه، كأن نصف الشعب نائم في الشارع..».

قال (آدم) متأملا الجمع الغفير المتكوم على الأرصفة:

- «هؤلاء يتمتعون بموهبة قراءة الأفكار!».

- «إذن يجدر بهم حكم نصف العالم بتلك الموهبة المذهلة!».

www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/

- «على العكس تمامًا! إنهم مرتاعون من العقل البشري وكثرة ما يخزنه من شر، عانوا من مشاهدة صور كريهة بغيضة للشر داخل البشر، يوميا يشاهدون عشرات الصور لجرائم القتل والسرقة والاغتصاب، ومن ثم يتأملون ذاهلين الحمل الوديع الذي مرّ من أمامهم مرتديا قناع البراءة!

لقد اعتزلوا الحياة تمامًا، بمرّها وحلوها، هؤلاء يقبعون هنا منتظرين زيارة الموت لهم، فهو الوحيد الذي سيريحهم من عذاباتهم..».

- «يا للمساكين!».

قالتها (حنين) بعاطفة جياشة، لكن (عمر) عقب باستهزاء:

- «بل يا للسخفاء! هم يجلسون فقط! لا يحاولون صنع شيء لتغيير الأحوال، لقد استسلموا الزنازين العقول الأخرى متناسين إراداتهم الحرة، وبأن لكل واحد منهم عقلا يستطيع فرضه لإحداث تغيير ما..».

قال (أنبل):

- «أنا متفق مع (عمر) فيما قاله، لا ينبغي عليهم الاستسلام هكذا وكأنه قضاء مسلم به..».

نظر (آدم) لهما قبل أن يهز كتفه قائلًا بازدراء:

- «لكل منا رأيه..».

واصلوا الجولة التي لم تعد مسلية كما توقعوا لها أن تكون، فرأوا أمورا لا يمكن وصفها لغرابتها الشديدة، لكنها ممكنة الحدوث في عالم كهذا العالم..

لكن الأمر لم يخل من بعض الطرافة، فقد أبصروا فتاة تهب واقفة في إحدى الكافيتريات أمام شاب كان يجالسها، وبصوت كهزيم الرعد صاحت به:

- «خذ دبلتك! لا أريد رؤية وجهك مرة أخرى!».

ولدهشتهم أبصروا زوبعة هائلة تكتسح الشاب التعس مع طاولته وعدد من الزبائن - مع طاولاتهم بالطبع!-، كأن عاصفة هوجاء خرجت من فم الفتاة الغاضبة لاكتساحهم جميعا!

وعقب هدوء العاصفة المروعة، رمت - ببساطة - الدبلة الذهبية في وجه الفتى الممتقع والملقى أرضا..

- «يا له من محظوظ!».

- «على ماذا؟».

- «على خلاصه من تلك العنقاء!».

وأخيرا مروا بمقبرة دوِّن على مدخلها بخط أسود كئيب:

«مقبرة الذين رأوا الحقيقة»

سألت (حنين) دليلهم:

- «ماذا يعنون بها يا (آدم)؟»

www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/

- «سأريكِ..»

اقتادهم إلى رجل يجلس معطيا ظهره لجدار المقبرة، فهالهم نحوله المروع وصفرة بشرته وذبول عينيه..

أخرج (آدم) من جيبه علكة، فقدمها للرجل قائلًا له:

- «علكة يا عم؟».

نظر الرجل للعلكة وكأنه يرى عقربا أو حية سامة، رعب وتقزز يفوق الوصف تبدى على وجهه، قبل أن يهب واقفا ويبتعد بخطوات متعجلة ومتعثرة كاتما فمه بيده محاولا ألا يتقيأ!

- «وهذا ما حكايته؟».

كذا تساءل (عمر)، فأجابه (آدم) باسما وهو يضع العلكة في فمه:

- «هذا الرجل ممن حباهم الله بالإبصار الخارق، وهذه المقبرة دفن بها جيش كامل ممن يمتلكون ذات الموهبة!».

- «وكيف ذلك؟!».

- «لقد أريتكم كيف، مجرد علكة بريئة المظهر ولذيذة، لكنهم لا يرونها كذلك..

إنهم يرون مادة قذرة تمتلئ جراثيم وميكروبات وبيوض حشرات من ذباب وصراصير! في الطعام والشراب سواء! لذا يرفضون تناولهما، ولذا يقضون من الجوع والعطش!

ويا ليت الأمر اقتصر على هذا، فلا أحد منهم يولد بتلك المقدرة ويتمكن من الزواج، فالمرأة بالنسبة لهم كائن منفر! نحن نرى امرأة فاتنة هيفاء القد مكتنزة الشفتين ناهدة الصدر نضرة البشرة، وهم يرون كائنا مسخا غائر التجاويف مقرف الهيئة، يملك جراثيم وأوبئة في كل جزء من جسمه!

إنهم حتى يومنا هذا يتعجبون من كيفية تناسل البشر وهم أقرب للجثث المتحللة!».

- «ألهذه الدرجة أبصارهم خارقة؟!».

- «لذا تعج مقبرة كاملة بهم.. هؤلاء قضوا لأنهم لم ينالوا شيئا من متع الحياة، لقد هلكوا نتيجة الزهد والتقشف الإجباري!».

- «يا للهول! ما هذا الجحيم الذي قدمنا إليه؟!».

- «إنها حياتنا..».

قالها (آدم) مكفهر الوجه، ولم يحاولوا التخفيف عنه..

فجأة بزغت نظرات غريبة في عينيه، نظرات من يتهدده الخطر..

كان يحدق في نقطة ما، ولم يتنبه لذلك سوى (أنبل) الذي تابع منتهى بصر الشاب ليرى أين يحدق بالضبط، لكنه لم يلمح شيئا يستحق الذكر..

وفي النهاية سمعه يقول لهم بعصبية:

- «هلموا بنا من هنا.. بسرعة!».

www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/

14

سأل (أنبل) مرافقهم الغامض وهم يجالسونه على كورنيش المدينة الرحب:

- «هل لي أن أسألك عن مقدرتك يا سيدي؟».

نظر إليه (آدم) قبل أن يرفع ببطء كفه..

من بعيد قفزت زجاجة مياه غازية من على الأرض منطلقة نحو يده قبل استقرارها هنالك!

بدا عليهم الصمت، في حين نظر لهم باسما قبل أن يقول:

- «ما رأيكم؟».
- «في ماذا؟».
- «في الذي رأيتموه؟!».
- «نحن لم نر شيئا بعد!».
- «ماذا؟!».

فجأة تقلص وجهه، وبكلمات شديدة الانزعاج قال:

- «(باهر)!».

نظروا إلى حيث نظر مندهشين، في حين جذب (آدم) ذراع (حنين) بقوة آلمتها وهو يهتف:

- «هذا المكان لم يعد آمنا.. دعونا نرحل من هنا!».

بدا (عمر) مندهشا لأقصى الدرجات، وأما (حنين) فقد صاحت منزعجة:

- «إنك تؤلم ذراعي، ماذا دهاك يا (آدم)؟!».

أفلت ذراعها قابضا صدغه بيديه.. في حين راقبه (أنبل) بصمت دون أن يعلق بكلمة واحدة..

كان ينظر من حوله، فرأى عددا شحيحا من الأسر تتمشى أو تتريض، لم ير ما يسترعي الانتباه، فنظر مجددا وبصمت إلى (آدم) الذي صاح بألم:

- «سامحيني يا آنسة! قلبي لم يطاوعني على الاستمرار!».
- «الاستمرار في ماذا؟ ماذا هنالك يا (آدم)؟!».

رفع وجهه إليها قائلًا بتضرع:

- «سامحيني أرجوكِ يا (هند)!».

قال (عمر) والدهشة تلتهم وجهه:

- «(هند)؟! هذا الشاب مخبول!».

www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/

لكن (آدم) رفع كفه في وجه (عمر) قائلًا بغضب:

- «أنا لن اسمح لك باتهامي!».

ثم عاود خفض بصره قائلًا بيأس:

- «إنه (باهر)!».

- «(باهر) من؟!».

- «عدوي اللدود.. ففي عالمنا هذا يوجد غريم لكل شخص يمتلك قدرات خارقة، يطارده وينغص عليه حياته وكأنه شقيقه التوأم الشرير..».

- «أنا لستُ مندهشة من سماع هذا!».

قالتها (حنين) وهي تربت على كتفه، لكن دموعه سالت قائلًا وعبراته تخنقه:

- «لقد انتويت استخدامكِ كطعم لاصطياده! عندما أبصرتكِ أدركت أنكِ الضحية المناسبة لوغد مثله! الطول! القوام! العينان! الشعر! تمامًا كما يحب الوغد ويشتهي!».

قال (عمر) وهو يحك مؤخر رأسه:

- «لقد ضعت في متاهة عقلانية!».

جثا (آدم) على ركبتيه قائلًا بأسى:

- «غريمي (باهر) هو مغتصب عانى الأمرين في طفولته، فقد اغتصبه والده مذ كان طفلا، واعتدى عليه الأولاد في الملجأ، حتى

الأشخاص الذين تبنوه اعتدوا عليه.. قد كان الوغد البائس عرضة للاغتصاب لكل من هبَّ ودب!».

همست (حنين) بوجه كالح شاحب:

- «يا إلهي!».

- «(باهر) هو مجرم يتعقب الفتيات اللواتي خطبن أو تزوجن ليدمر حياتهن قبيل اغتصابهن، وهو يستعمل اسم (باهر) في التودد لهن، لكن اللقب الذي اشتهر به هو (النحت الثلجي)!

أما عني فقد كانت مهمتي طيلة سنوات مطاردته ومحاولة الخلاص منه بأي ثمن، مستعملا لقب (الفزع) في مطاردته ومطاردة غيره من المغتصبين، لكنني أستعمل اسم (آدم) في حياتي الطبيعية!».

صاح (عمر) مستنكرا:

- «أهو قانون هنا؟ أعني أن يكون لكل بطل خارق عدو شرير يحاول القضاء عليه؟!».

وقالت (حنين) باستنكار مماثل:

- «لن تصدقوا يا رفاق، ولكن في عالمي هذه الأمور تعج بها المجلات الهزلية والأفلام!».

- «أي أنها للتسلية لا أكثر!».

ردَّ عليهما (آدم) صارخا:

www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/

- «لكنها هنا حقيقية! إنه قدري! قدر كل من ولد بقدرة خارقة لعينة! إنه عذاب يفوق الوصف! نوم بنصف عين، تنقل متواصل لتعقب الأشرار!».

وكشف عن معدته صائحا بهم:

- «هذا ما نلته من الوقوع في براثن القوادين والمغتصبين! سكاكينهم شرّحت معدتي تشريحا! ولكنني أواصل العودة لمواصلة مهمتي..

أما عدوي اللدود فيواصل العودة حتى أدمره أو يدمرني.. دائما يعود من الموت! وبالتالي أعود أنا أيضًا لانتظاره!

شقيقان مهووسان! ولربما كان قدرنا أن نهلك معا!».

- «هذا الجنون أكبر من أن يصدق!».

قالها (عمر) وهو يلوذ بنظراته تجاه (أنبل) الذي تكلم أخيرا، فقال مخاطبا (آدم):

- «(آدم)، ما هي مقدرتك بالضبط؟ أهي تحريك الأشياء عن بعد؟».

- «أجل..».

- «وأنا لا أظن هذا!».

- «ماذا تقول؟!».

- «كما أن معدتك سليمة تمامًا، لا وجود لخدش واحد عليها!».

تراجع (آدم) ووجهه يصفر بصورة مبينة، فاقترب (أنبل) منه بتؤدة قائلًا له برفق:

- «الأمور باتت واضحة الآن! أعتقد بأن مقدرتك الخارقة لا يراها أحد سواك! بصراحة أنا أشك أنها مقدرة خارقة أصلا! فأنا أعتقد أنك مريض بالوهم!».

صمت (آدم) وقد انتابه الذهول التام، في حين لم يتمكن كل من (عمر) و(حنين) من النطق!

وأردف (أنبل):

- «إنك تتوهم مقدرتك على تحريك الأشياء عن بعد! تتوهم أن لك خصما يدعى (باهر)، وأنك تنتقم لمن تدعى (هند)! أنت مجرد شخص عادي في عالم يعج بذوي المقدرات المذهلة، وقد نجم عن هذا إصابتك بالوهم، ولربما بانفصام في الشخصية أيضًا!»:

- «أتقول.. أتقول أنني..؟!».

- «أعتقد أنك و(باهر) شخص واحد! ولا يمكنني الجزم ما إذا كنت (آدم) أم (باهر)!».

- «أنت مجنون! شكلك يدل على هذا!».

www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/

قالها بحقد وهو يتراجع بعينين زائغتين، فهمست له (حنين) باضطراب:

- «اهدأ يا (آدم) أرجوك، نحن حقا لم نشاهد آثار الطعنات التي تحدثت عنها، كما أن الزجاجة التي حاولت تحريكها ظلت في مكانها!».

- «إنكم مجرد مجانين!!».

ثم أطلق لساقيه العنان مندفعا بأقصى سرعته حتى غاب عن أنظارهم!

■ ■ ■

هبطت شمس حمراء في رحلة المغيب الأزلية أخيرا..

- «يا له من يوم!»

بدا التعب والإرهاق على (عمر) وهو يجلس على أحد المقاعد الخشبية في إحدى الحدائق العامة، وبجواره جلست (حنين) متأملة عددا من طيور الحمام العاكفة على التقاط حبوب الذرة التي يلقيها لها عجوز متغضن الوجه واسع الضحكات..

كانا يجلسان بانتظار رجوع (أنبل) بالخبر اليقين عن المصعد، وفي سرها صلت (حنين) ألا يكون مكروها قد لحق بتذكرة عودتها إلى عالمها الطبيعي والمنطقي..

سألت (عمر) وبصرها لا يتزحزح عن طيور الحمام:

- «أتحب عالمك يا (عمر)؟»

- «إنه موطني، أحبه رغم الصعاب التي تملؤه، وأحب أكثر مساعدته في الخلاص منها!»

- «وأنا ابتدأت أفتقد عالمي! هناك تجد الناس تحقق المعجزات بلا قدرات خارقة، والجرائم عندنا ليست عالما بأكمله أيضًا..».

- «في الحقيقة أشعر بالفضول لزيارة عالمك ورؤية معالمه عن كثب..».

- «أنت و(أنبل) مرحب بكما دائما في شركتي!».

- «هذا لطف منك!».

ابتسمت ابتسامة لطيفة قبل أن تهب واقفة وهي تسأله:

- «جائع؟».

- «قليلا..».

- «سأذهب لابتياع بعض أكواز الذرة..».

قال وهو ينهض هو الآخر:

- «على حسابي إذن..».

أعادته إلى مقعده ضاحكة وهي تقول:

- «اجلس وانتظرني فحسب!».

www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/

ابتسم مستسلما، وتابعها ببصره وهي تتوجه إلى بائع الذرة العجوز..

كان رجلا لطيفا وقفت (حنين) تثرثر معه.. كان يشبه عم (رشيد) إلى حد بعيد، ملامحه ونظراته المنهكة وتجاعيده الغائرة..

بدت متأثرة وهي تنصت إليه.. كان عم (رشيد) يصطحبها للحديقة العامة، حيث يدفعها وهي على الأرجوحة، ويشتري لها الفشار والبوظة، لكم تتمنى عودة تلك اللحظات السعيدة التي قضتها معه..

كان الرجل يدعى (يحي)، وقد حدثها عن ابنته التي ذكرته (حنين) بها كثيرا..

- «وما اسم ابنتك يا عم (يحي)؟».

- «اسمها (حنين).. عقبال بناتك يا آنسة!».

صمتت دون أن تدر ما تقول..

تأملته، تمعنت في ملامحه، أمن المعقول أن يكون هذا الرجل الطيب هو..

- «احترسي يا (حنين)!!».

التفتت مذهولة صوب (عمر) في ذات اللحظة التي سمعت بها صوت صرخة الم..

عاودت الالتفات إلى البائع العجوز قبل إطلاقها صيحة رعب، فقد كان (آدم) ممسكا بمقبض سكين أولجه في ظهر المسكين!

سقط بائع الذرة جثة ساكنة، فتراجعت للوراء وعيناها تتسعان..

لم يكن بالضبط (آدم) الذي سار معهم وحدثهم كثيرا عن عالمه الغريب..

كان يرتدي معطفا جلديا أسودا، وشعره يلتصق بجلد رأسه وقد سرح بعناية فائقة! فبدا كأحد رجال العصابات في الأفلام..

هجم عليها قائلًا بوحشية أثارت فزعها:

- «تعالي معي يا (حنين) وسأجعل من نفسي عبدا لكِ!».

- «ابتعد عني!!».

بلغهما (عمر)، فطوق (آدم) عنقها بذراعه وهو يضع نصل سكينه على نحرها صارخا:

- «ولا حركة!».

جمد (عمر) في مكانه قائلًا له بحدة:

- «دعها يا (آدم)!».

- «ومن يكون (آدم) هذا؟».

- «إذن لابد وأنك (باهر).. النحت الثلجي!».

- «في خدمتك!».

وأخذ يتشمم شعر (حنين) متمتما في وله:

www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/

- «يا للرائحة الزكية!».
- «تراجع وإلا..».

مرر سكينه مداعبا عنقها قائلًا بضحكة متلذذة:

- «وإلا ماذا؟».
- «وإلا.. وإلا أصابك انتقام الفزع!».

تبدى انفعال ملحوظ على وجهه وهو يغمغم بحذر:

- «الفزع! أين يختبئ غريمي الملعون؟».
- «خلفك تمامًا!».
- «يا لها من خدعة طفولية!».

ومن ثم بوغت بشخص ينقض عليه من الوراء، وقد كان ذلك الشخص هو (أنبل)!

لم يكن الوغد ضعيفا، لكن (أنبل) لم يكن كذلك هو الآخر رغم مظهره الموحي بالعكس..

أمسك برأس (باهر)، وبقسوة جمة طرقه بالأرض عدة مرات حتى أغرقه بدمائه وأفقده وعيه..

نهض من على الأرض، وبتؤدة نظر إلى (حنين) سائلا إياها:

- «أأنتِ بخير يا آنسة؟».

نظرت له بعينين دامعتين، وفي الثانية التالية رمت بنفسها في أحضانه وهي تجهش بالبكاء..

15

في مبنى الشركة شبه المتفحم، وقف ثلاثتهم أمام باب المصعد الذي بدا مدمرا بفعل الحريق الهائل..

تساءل (عمر) قلقا:

- «أتراه لا يزال يعمل؟».
- «لا توجد سوى وسيلة وحيدة للتأكد..».

قالها (أنبل) منتظرا قيام (حنين) بإيلاج المفتاح، فأخرجته من جيبها قائلة برهبة:

- «أتمنى أن نرحل عن هذا العالم المقيت.. إنني أناشدك يا إلهي!».

وأولجت مفتاحها في ثقب اللوح المعدني قبل إدارته..

لحظات مرت..

لحظات بدت كالدهر..

ولكن، وعندما اشتعل ضوء مصباح الأعداد، وانفتح باب المصعد ببطء، تنفس ثلاثتهم الصعداء..

www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/

سبقتهم (حنين) للداخل هاتفة بسعادة:

- «هلموا بنا بسرعة! على أي رقم أضغط؟».

ابتسما بصمت، في حين ضغطت هي زر الرقم (3) قائلة لهما بارتياح جم:

- «نحن نسير وفق ترتيب الأرقام.. أليس كذلك؟».

■ ■ ■

عندما خرجوا من المصعد، وجدوا أنفسهم في مكان يختلف كل الاختلاف عن الشركة التي دخلوها قبلا..

بدا المكان أشبه بالفندق، كان فندقا عاديا وليس فخما، فتساءل (عمر):

- «هل نتفحص هذا المكان أم نعود أدراجنا بحثا عن شركة (حنين)؟»

قالت (حنين) بفضول:

- «دعنا نلق نظرة على المكان فحسب!»

- «المكان هادئ لحد مخيف!».

- «ألا تشعر ولو بقليل من الفضول لمعرفة كنه هذا العالم؟».

- «الفضول غير حميد، كما أنه اعتاد قتل القطط! ولذلك أنا أكرهه!».

- «ثمة غرفة بابها مفتوح..».

قالت (حنين) ذلك وهي تشير ناحية الغرفة المقصودة، وكانت تحمل الرقم (13)..

قال (أنبل) متوجها ناحية الغرفة:

- «سأدخل أنا أولا.. لا تلحقا بي قبل أن أناديكما..».

ودلف الغرفة بخطوات متعجلة، فطفقا ينتظرانه بقلق.. استغرق مدة قصيرة قبل إطلالة وجهه مناديا (عمر).. تحرك الأخير باتجاهه، ولحقت به (حنين) متلهفة، لكن (أنبل) صدها بصرامة قائلًا:

- «(عمر) فقط يا آنسة!».

هتفت محتجة:

- «ولماذا؟».

- «أرجو ألا تعنتي هكذا، لا يوجد ما يستحق الرؤية..».

- «لا بأس..».

وخفضت وجهها مستسلمة، لكنها انتظرت حتى همّ (عمر) بالدخول، عندما دفعته بشيء من العنف جانبا واثبة إلى داخل الغرفة هاتفة بانتصار:

- «والآن ما الذي لا يستحق..».

جمدت في مكانها وقد اتسعت عيناها وتصلب شعر رأسها.. ومن ثم أطلقت أقوى صرخة هلع يمكن لبشري تحمل سماعها!

www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/

16

أجهشت (حنين) بالبكاء وهي تسير إلى خارج الغرفة بعون من (عمر)، في حين بقي (أنبل) واقفا يتأمل الهول الماثل أمامه.. لقد كانت هذه أشنع وأبشع جريمة قتل رآها في حياته كلها، لم يشاهد من قبل منظرا أفظع من هذا المنظر الذي يدل على خلل رهيب في عقل مرتكبه المخبول!

خرج من الحجرة متأملا بشفقة (حنين)، التي استندت على الجدار بعدما أفرغت القيء من جوفها على الأرض وهي [illegible] دون كلل:

- «آه يا (مرام)! آه يا صديقتي الحبيبة!».

تأملها بقلق واضح، فالتفت (عمر) إليه هامسا:

- «ستكون بخير..».

لكن (أنبل) تجاوزهما بنظراته متأملا غرفة أخرى تقع في أواخر الممر.. قد كانت ذات باب مفتوح..

تحرك بخطوات بطيئة نوعا حتى بلغ تلك الغرفة، فوجد الرقم (7) على بابها!

وعندما خطى للداخل، وجد أن القاتل قد قام باستخدام دماء ضحيته في تدوين رسالة كاملة على الجدار وراء السرير..

تقول الرسالة الدموية:

«عزيزي السنور..

يجب الإقرار بسرعة بديهتك في حل القضايا الصعبة والمستعصية، لكن سرعتك خفتت كثيرا في الآونة الأخيرة..

لذا أود كثيرا مساعدتك كي نبدأ الإثارة معا، الفتاة في الغرفة (13) قد انتهى دورها، وعما قريب سينتهي دور زبونتك أيضًا!

تركت لك أثرا في الغرفة السابقة، ابحث عنه والحق بي.. أنا بانتظارك على أحر من الجمر!

مع احترامي وتقديري!»

عجّل (أنبل) بالخروج من الغرفة، ورفع عقيرته مناديا (عمر):

- «علينا الرحيل الآن، هل الآنسة بخير؟»

- «أجل..»

واستندت (حنين) بوجه شاحب على ذراعه وهي تخطو خطواتها المتعثرة العرجاء..

اقتادها (عمر) ناحية باب المصعد وهو يسمعها تغمغم متألمة:

www.sa7eralkutub.com

www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/

- «لماذا (مرام)؟ لماذا أيها الوحش الملعون؟!».

- «لا عليك، سننتقم لها..».

ونظر (عمر) إلى يد (أنبل) متابعا إبهامه، فوجده يضغط بقوة الرقم (7)!

- «ماذا حلَّ بترتيب الأرقام الذي كنا نسير عليه؟».

- «لقد تغيرت الخطة للتو!».

■ ■ ■

بدت (حنين) شاحبة إلى حد مخيف وهم داخل المصعد، فطلب (أنبل) من (عمر) تثبيتها ريثما تتم الرحلة التي يخوضونها الآن في سلام..

تصاعد الهدير المخيف للمصعد قبيل ارتجاجه العنيف، فهتف (أنبل):

- «تشبثا جيدا!».

لكن الارتجاج تصاعد بصورة غير طبيعية، كما لو كان المصعد يهوي من حالق! ومن سقفه التمع المثلث الهابط بوميض أزرق يعمي الأبصار، فأغمضوا أعينهم وأخفوها بأياديهم..

وفي النهاية سكن كل شيء..

فتح باب المصعد، وسمعت (حنين) صوت (أنبل) يسألها:

- «أهذه هي شركتكِ؟».

رفعت وجهها ليقع بصرها على لافتة موضوعة أمام المصعد!

وعندما خرجوا التفوا حول اللافتة للأمام كي يتمكنوا من قراءتها، فسمع كل من (أنبل) و(عمر) صوت تنهيدة، أعقبها قول (حنين) وعيناها مغمضتان:

- «عذرا! المصعد معطل!»

- «هي شركتك إذن..»

- «كيف خمنت؟».

- «لم أخمن، الأمور باتت واضحة الآن! القاتل ساعدنا هذه المرة عندما قتل صديقتكِ، فقد جلب جثتها من عالمكِ بالطبع، واستخدامه لتلك الغرف في ذلك الفندق لم يكن مجرد عبث، لقد ترك لنا خياران، إما ملاحقته أو العودة إلى حيث تنتمين..

إنه يخبرنا بانتظاره لنا في عالم يحمل الرقم (13)، هذا ما استنتجته من رسالة كان قد تركها في الغرفة رقم (7).. أذكر أنكِ أخبرتنا عن رقم المصعد الذي حملكِ إلينا بادئ الأمر، إنه الرقم (7)! والأمر كان بمثابة رمز لعالمك، تمامًا كرموز المناطق والبلدان المستعملة في الهواتف للاتصال!

www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/

هذا الاختراع المذهل مزيج ما بين الناقل والهاتف! وأرقامه عبارة عـن رمـوز للعوالم! لم يفت مخترعه العبقري وضـع الرمز الخاص بعالمه، بعالمكِ يا (حنين)، ألا وهو الرقم (7)!».

حدقت (حنين) في بساط ممر الشركة القرمزي وهي تسأل (أنبل) بحزن:

- «ولكن لماذا (مرام)؟ لماذا أنا؟».

- «هذا ما سنكتشـفه أنـا و(عمر) عندما نرحـل للحاق بالوغد حيث ينتظرنا..».

- «لحظـة واحدة، أنت لا تفكر بتركـي هنا والذهاب للنيل من اللعين بمفردك!».

تدخل (عمر):

- «ليس بمفرده، فأنا معه!».

- «وأنا سآتي معكما!».

ردَّ عليها (أنبل) بنبرة قاسية:

- «لا! في قدومكِ خطر شديد يتهدد حياتك، لابد وأن تنتظري هنا..».

- «ماذا عن المفتاح؟ كيف ستذهبون من دونه؟».

- «سيتوجب عليك إعطاءنا إياه!».

- «هذا ما لن أسمح به!».

احتدت لهجة (أنبل) وهو يقول مقتربا منها:

- «تذكري أنكِ قدمتِ إلينا أولا طلبا لمساعدتنا..».

- «والآن أنا لست بحاجتها!».

قالتها باحتداد مماثل، فتدخل (عمر) بينهما قائلًا بانزعاج:

- «كفى يا رفاق! من غير المعقول أن نتشاجر في آخر المطاف بهذه الصورة المنفرة.. (حنين)، أنتِ تعلمين أن سـلامتكِ هي كل ما يهمنا الآن!».

غمغمت ساخرة:

- «كزبونة مهمة لكما؟».

- «ما الذي دعاكِ إلى قول هذا؟!».

أرادت أن تـرد بمـا يعتمـر داخلهـا وهـي تتأمـل (أنبـل) بنظراتها الغاضبة، لكن الكلمات أبت الخروج على لسانها، فقالت بتعنت:

- «سأذهب معكما، هذا المصعد لي! وأنتما تعملان لصالحي، وأنا التي تقرر هنا!».

- «نحـن لا نعمل بهذه الطريقة، نحن لا نعمل تحت إمرة أحد خصوصا إذا كانت فتاة خرقاء!».

صرخت في وجهه:

- «وعرجاء! خرقاء وعرجاء! لِمَ لا تقولها؟!».

صاح في وجهها هو الآخر:

www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/

- «لأني لم أرد قولها!!».

هتف (عمر) محاولا بيأس تهدئة الجو المتوتر:

- «يا رفاق، أرجوكما أن تكفا!».

ظل (أنبل) متأملا (حنين)..

وفي الثانية التالية كان المفتاح قد انتقل من يدها إلى يده بسرعة وخفة! فأطلقت صرخة غضب وذعر بآن واحد..

- «أعده إليّ!!».

تراجع ومعه (عمر) إلى المصعد قائلًا لها بشبح ابتسامة:

- «آسف! لكن حمايتكِ صارت من أولوياتنا!».

انفتح باب المصعد، فحدجتهما (حنين) بنظرات اليأس قبل قولها المتضرع:

- «أرجوكما! أرجوك يا (أنبل)! يجب أن أنتقم من الوغد بنفسي!».

نقل إبهامه ما بين الرقمين (1) و(3)، وقبل إغلاق الباب قال لها بحزم:

- «سننتقم بالنيابة عنكِ يا آنسة!».

ومن ثم انغلق باب المصعد.. فاقتربت (حنين) منه ببطء، وعلى بابه المعدني البارد أسندت جبهتها، هامسة لنفسها بصوت شابه أسى مرير:

- «آنسة مرة أخرى؟!».

الفصل الرابع

البعبع

www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/

17

بسيارته الصغيرة الخضراء كثيرة الأعطاب، انطلق (زياد) في شوارع البلدة الغارقة بمياه الأمطار التي لا تكاد تتوقف عن الانهمار..

ورغم خطورة ذلك لم يملك إلا أن يطلق لعقله عنان الشرود حول تلك الجريمة الشنعاء التي كان يحقق بها اليوم.. لقد قام المختل بضربة جديدة في بلدته، قام بقتل أطفال عائلة بأكملها، راح ضحية تلك الجريمة المروعة عدد من الأطفال خرجت والدتهم لشراء البقالة!

كان قد قضى معظم الوقت في تهدئة الأم التي صرخت وصرخت دونما كلل، تذكر صيحاتها الجنونية ونواحها الأليم.. كيف جنّ الناس بهذا الشكل الرهيب؟ كيف صارت الجرائم تزداد وترتكب بمثل تلك الفظاعة؟

ما الذي أصاب هذه البلدة اللعينة؟ كيف وصل بها المطاف لأن تصير أسوأ غابة تؤوي أسوأ وحش بشري على وجه البسيطة؟!

www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/

تساؤلات كثيرة ومريرة طرحها عقله ويده تنبش جيبه بحثا عن علبة سجائره.. لم يتنبه لتلك الصبية الحافية ذات الملابس البالية المتسخة، والتي عبرت الشارع ممسكة بعدد من الأوراق دون انتباه منها هي الأخرى!

هنا بوغت (زياد) بالأمر، فوثبت قدمه إلى حيث دواسة الفرامل.. لكن الارتطام الرهيب بات وشيكا!

ثم برز ذلك الشخص..

كوميض برق، اختطف الصبية وقفز للناحية المقابلة من الشارع قبل أن تسحقه مقدمة السيارة، التي توقفت بصعوبة بالغة لكثافة الأمطار المنهمرة، وترجل صاحبها منها جزعا وهو يهتف مخاطبا إياهما:

- «أأنتما بخير؟».

- «أجل.. شكرا لسؤالك..».

وصل في تلك اللحظة شاب آخر ممتلئ إلى حد ما، هتف وهو يقترب من الشاب الآخر واضعا يده على كتفه:

- «هل أنت بخير يا سنور؟».

- «أنا بخير..».

ونظر إلى الصبية.. كانت جميلة رغم وجهها وثيابها المتسخة.. إلا أن هذا لم يمنعها من منح منقذها بسمة حلوة قائلة له بعذوبة:

- «لقد أنقذتني يا سيد.. شكرا لك!».

تنمر (زياد) وهو يهتف بعصبية بالغة:

- «أنتِ (ظلال) أليس كذلك؟ هل جننتِ أيتها الفتاة؟ تعبرين الشارع ليلا لبيع أوراق اليانصيب بينما قاتل أطفال مختل يجوب المنطقة؟».

- «آسفة، كنت في طريقي للدار..».

وحيَّت (أنبل) مرة ثانية قائلة له برقة:

- «أنا مدينة لك بحياتي!».

- «لا عليكِ، سنرافقكِ إلى حيث تقطنين للتأكد من وصولكِ بالسلامة..».

رمقه (زياد) بنظرات تقطر شكا ناقلا بصره بينه وبين صاحبه، ثم تساءل:

- «أنتما غريبان عن البلدة؟».

- «أجل.. اليوم فقط وصلنا، أدعى (أنبل) وهذا صديقي (عمر)..».

مدَّ (عمر) يده طلبا للمصافحة وهو يقول بود:

- «سررت بمعرفتك!».

لكن (زياد) تجاهل اليد الممدودة وهو يقول باحتداد مخاطبا (أنبل):

www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/

- «أرجو رؤية ما يثبت هويتكما أيها السيدان..».

- «لا بأس..».

ناولـه (أنبل) بطاقة مكتبهمـا، فتأملها (زياد) قبـل تحول ملامحه للدهشة..

- «تحريان؟ سنور؟ ما هذا الهراء؟!».

- «كما ترى! نحن هنا من أجل قضية قاتل الأطفال!».

- «ومن الذي استخدمكما؟».

- «لا نستطيع الإفصـاح، إنه شـخص يهمه كثيـرا معرفة هوية القاتل..

لا تقلـق يا حضـرة المحقق، فالعدالة سـتأخذ مجراها في النهاية، والقاتل سينال القصاص العادل!».

- «وكيف عرفت أنني محقق؟».

- «ربما من الشارة والمسدس في حزامك؟».

أطال (زياد) النظر متمعنا في ملامحهما قبيل سؤاله:

- «لا تقلقا أيها السيدان بشأن العدالة.. أين تنزلان؟».

- «أخبرناك بأننا قد وصلنا توا..».

- ثمة فندق في البلدة، إنه الفندق الوحيد هنا..».

- «سنذهب إليه إذن.. شكرا!

- «أرجو ألا تثيرا المتاعب هنا!

(ظلال)! اركبي السيارة حالا، فسأقوم أنا بإيصالك!».

وركب سيارته منتظرا إياها وهو يهمس لنفسه في عصبية:

- «هذا ما كان ينقصني!».

أما (ظلال) فقد بدا الارتباك عليها وهي تقترب من (أنبل).. ناولته ورقة ياناصيب وهي تهمس خافضة بصرها في حياء:

- «هذه لك.. أرجو أن تكون الورقة الرابحة!».

وأسـرعت بالركوب إلى جـوار (زيـاد)، فانطلق الأخير بسـيارته ونظراته المتحفزة لا تكاد تتزحزح عن وجهي (أنبل) و(عمر)..

رمق (عمر) سيارة المحقق العصبي وهـي تبتعد، قبل رفع وجهه لفوق كأنما يستوثق من ميعاد توقف المطر، وبضيق قال:

- «لم يطلعنا على مكان ذلك الفندق!».

■ ■ ■

سأل الشاب الوسيم الغامض ذو الملابس السوداء الصبي الأبكم المتشرد:

- «إلى أين وبهذه العجلة أيها الصبي؟»

رفع الصبي بصره محاولا تبين ملامح الشاب، لكنه لم يتمكن من ذلك..

www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/

- «هلم أخبرني!»

ولـه ألقى بعملة فضية تلقفها الصبي متلهفا غير مصدق.. إنه دينار فضي حقيقي!

أسرع يجذب الشاب من يده، فتبسم الأخير قائلًا بنبرة كالهمس:

- «آه! ستطلعني على سرك أخيرا؟ هذه ثقة مشكورة!»

مضيـا معا في أحد الشـوارع الخلفية التابعة للأزقـة الفقيرة، حتى بلغـا بناية آيلة للسـقوط من فرط قدمها.. توقـف الصبي، ومن جيب سرواله المرقع أخرج آلة «هارمونيكا» ابتدأ العزف بها!

ألحـان سـاحرة خرجت من آلتـه، جعلت الشـاب يغمـض عينيه ويرفرف مع تلك الألحان بجناحين من وهم..

ثـم فتحهما بغتـة.. فرأى فتاة ذات وجه ملائكـي لطيف كعصفور الجنـة تطل من إحدى نوافذ البناية المتصدعة كي تنصت، ولم يخف عليه أن الفتاة عمياء، ففهم ما كان الصبي يصنعه..

وحيـن فرغ من العـزف، قامت الفتاة وأدخلـت وجهها ثم أقفلت النافذة، فانحنى الشـاب حتى صار وجهـه مواجها لوجه الصبي.. ثم قال له:

- «كان هذا أجمل عمل صنعه إنسان أيها الرجل الصغير..»

تبسم الصبي سعيدا، فقال الشاب مبتسما هو الآخر:

- «لذا سأمنحك مكافأة..»

تأمله الصبي والحيرة تملأ وجهه، فقال له الشاب:

- «أغمض عينيك..»

امتثـل الصبي للأمر شـاعرا بثقـة لا حدود لها اتجاه ذلك الشـاب الجميـل، لربما كان ملاكا من عند الله! لربما أرسـله الله إليه كي يرد له صوته الجميل الذي فقده منذ طفولته..

طال الأمر بعض الشيء.. ومن ثم شعر الصبي به.. بالألم الرهيب الـذي لا يرحم! لكنه لم ينظر إلى وجه الشـاب، أبقى بصره مغمضا، لكنـه تخيل وجهه الوسـيم الذي بدا الآن في مخيلته كشـيطان رجيم آت من أعمق هوة في قعر جهنم!

والشيطان كان يهمس بصوت ذا خدر دافئ:

- «استرخ.. حقا إنك لصبي شجاع!»

كان الألـم شـنيعا، وتمنـى الصبي الصـراخ عله يخفـف من هول الأمر، لكنه لم يتمكن من ذلك، وسـقط رأسـه بعدما همدت أنفاسـه تمامًا..

- «يمكنك فتح عينيك الآن!»

ونظر متأملا جثة الصبي، ثم أطلق ضحكة استهزاء قبل أن يهمس له باستغراب مصطنع:

- «مالـك لا تفتحهـا؟ بإمكانـك الآن رؤيـة المفاجـأة أيهـا الصبي!

www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/

أليس هذا أفضل؟ أليس أفضل من البكم والفقر والجوع والتشرد؟ أليس أفضل من هذا العالم القاسي الذي لا يرحم طفولتك ونموك وكبرك حتى الشيخوخة المهلكة؟»

ورمى الجثة جانبا قائلًا في تهكم:

- «كلهم يصنعون ذلك أولا.. ومن ثم يشكرونني لاحقا!»

ثم رفع بصره نحو النافذة التي أطلت منها الفتاة العمياء مخاطبا جثة الصبي ببسمة عريضة:

- «والآن.. ما رأيك بزيارة سريعة لصديقتك المعذبة؟»

18

في حجرة لا يوجد بها سوى سرير واحد رقد عليه (عمر) مستغرقا في نوم عميق وصوت غطيطه يرتفع، وقف (أنبل) متأملا تدفق المطر الغزير غير العادي من النافذة المطلة على ساحة البلدة الصامتة..

امتدت أمام بصره الشارد ذكريات سوداء مقبضة عن تلك الليلة المروعة التي غيرت حياته للأبد..

كانت العاصفة التي واجهها في الماضي شبيهة بهذه إلى حد بعيد، كما أن القضية مماثلة إلى حد مثير للريبة والشك..

في حجرتها ذات الرؤوس الحيوانية المعلقة مع القرون المتقاطعة على الجدران، وعلى الفراء الملقاة أرضا، تربعت (بريشا) المشعوذة الغجرية مرتدية ثيابا فضفاضة ذات ألوان فاقعة وهي تعصب رأسها كالقراصنة ومشعلة كل شموعها السوداء، وقد أغمضت عينيها متمتمة بعبارات غير مفهومة، ومخالبها تشق البخور كريهة الرائحة التي تصاعد دخانها في الهواء كالضباب..

www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/

مسّت النقش الغريب على جبهتها قبل أن تصمت..

فتحت عيناها ببطء لتلاحظ انطفاء الشموع كلها!

- «توقعت حضورك هنا الليلة..».

العاصفة تزأر بالخارج.. ضمت يداها وهي تنصت إلى صوته يقول ببرودة:

- «وأنا خمنت معرفتكِ بقدومي إليكِ!».

نظرت إلى العتمة في ركن الحجرة، فانبثق منها كيان لشخص كان يتستر به فضحه وميض البرق، ويقف عند النافذة موثقا بساعديه أمام صدره..

- «أيتها القاتلة المخبولة!».

ابتسمت ابتسامة ماكرة، كانت تتمتع بقدر غير هين من الجمال رغم تقدمها في السن، لكنها أوجدت أبشع الطرق للحفاظ عليه..

قالت وهي تستنشق عبق بخورها المقيت:

- «إذن فقد كشفتني أخيرا! حقا إنك لتحر عبقري أيها السنور كما يشاع عنك!

والآن ماذا تريد؟».

- «قتلكِ بالطبع!».

راقبت المسدس في يده وقد اتسعت بسمتها!

ودونما اكتراث قالت غير مبالية:

- «أتريد قتلي حقا أيها السنور؟».

- «استخدمتِ سحركِ في إبعاد كل شبهة عنكِ، كان لكِ كل الفضل في وقوع أبشع الجرائم في المدينة، مزقتِ أفئدة الأمهات بلا رحمة على فلذات أكبادهن! أطفال أبرياء اقتلعتِ قلوبهن خدمة لأهدافكِ الخسيسة الشخصية!

سحرتِ رجال القانون لكي يدافعوا عنكِ! استغليتِ جمالكِ الذي اكتسبته بقوة السحر في التحكم بهم وبغيرهم من زعماء العصابات الذين ركعوا تحت قدميكِ بأموالهم ورجالهم، صاروا على استعداد للتضحية بأنفسهم في سبيل عاهرة مثلك!».

- «ما هذا الحقد المكبوت أيها السنور؟

هل ستقتل امرأة بائسة وحيدة؟».

- «سأفعل مادامت يد العدالة لا تطال واحدة مثلك! العين بالعين.. والساحر يقتل.. ثم انكِ ستقاومين بكل تأكيد!».

- «أصبت!».

وبحركة مفاجئة أخرجت من كمها الواسع حية سوداء مريعة المنظر ألقت بها في وجهه!

رفع ساعده كي يحمي وجهه، فغرزت الحية أنيابها السامة فيه وبكل قوتها! انتزعها بعنف من ساعده، ورماها أرضا قبل أن يهرس رأسها بحذائه..

www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/

تأملت (بريثا) دماءه القانية التي سالت من أثر العضة باسمة بتلذذ، وهمست:

- «دماء الحقد والكراهية! دماء مناسبة للسحر الأسود!

حين تنام هانئا أيها التحري الشاب، سأستنزف دماءك كلها! كما أن قلبك سيصير من نصيبي.. إن لم تكن تمانع بالطبع!

أنت قد استحققت الهلاك الليلة! وبصفتي القاضية في هذا العالم، فقد أصدرت عليك حكمي بالإعدام!».

ولهثت وهي تتأمله وهو يتهاوى أرضا، فقالت بأنفاس متلاحقة:

- «المشعوذات الكافرات الفاجرات تلوين في النيران مطلقات أفظع الصرخات! كن ينشرن المتعة، متعة الشر الأسود القاني!

لكن مشعوذة الظلال وكاهنة الظلام الدامس لا تهزم أبدا، لأنها اكتسبت قوة الخلود من قلوب الأطفال الصغار التي التهمتها!».

كانت تتبختر أثناء حديثها موقنة من تمكنها منه.. لذا، فقد فوجئت كثيرا عندما نهض بغتة مطلقا النار على قلبها!

تأملته ساكنة متسمرة قبل أن تهمس:

- «أنت؟!».

هرش موضع العضة قائلًا ببرودة:

- «أهذا كل ما تمكنتِ من فعله؟ إذن فعليكِ بسماع هذه الحكاية الطريفة! كنت صغيرا عندما عضتني أفعى، لكنني جازفت بحياتي ولم أخبر أحدا بذلك!

ظننت أني هالك لا محالة! ولكن في صباح اليوم التالي وجدت نفسي سليما معافى كأن شيئا لم يحدث! وعندما رأيت أثر العضة أدركت أن ذلك لم يكن مجرد كابوس بل واقع حقيقي مذهل!

ثمة بشر لا يتأثرون بالسم! مثل نظيركِ في السحر (راسبوتين)! ولسوء حظكِ أنا منهم!».

- «هذا.. مستحيل!».

وفي هذه المرة تهاوت هي، فدسّ السلاح في جرابه مغمغما:

- «لقد تحققت العدالة بعد عناء وطول انتظار!».

سار مزمعا الخروج من الوكر الكريه، عندما استوقفته صيحتها الغاضبة:

- «الأمر لم ينته بعد! ساحرة الظلال لم تنته بعد!».

تبسم قائلًا بازدراء:

- «لقد انتهت مثل أي حيوان نافق!».

رمقته بنظرة بغض وهي تتلمس النقش في جبهتها بضع مرات.. وتمتمت شفتاها بكلمات غير مسموعة أو مفهومة قبل أن ترفع عقيرتها بالصياح:

www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/

- «تذكر كلماتي جيدا لأن حياتك من بعدها لن تكون أبدا كما كانت قبلها!

لن يغمض جفن للسنور حتى الممات!

سيظل يقظا يشهد المعاناة يوما بعد يوم، متمنيا الموت دون أن يناله..»

وامتقع وجهها بشدة، حتى بزغت تجاعيدها وهي تتسلل ببطء ملتهمة ملامح وجهها.. فبصق جانبا وهو يقول ممتعضا:

- «تبا لهراء الشعوذة!»

لكن هذا لم يعد رأيه بعد بضعة ليال أدرك خلالها من أنه عاجز تمامًا عن إغماض عينيه!

أحيانا يراها متجسدة أمامه تضحك، ويفاجأ بعينيها تتحولان لبياضٍ مخيف قبل ارتفاع جسدها في الهواء..

ثم - وكأنها عصا الساحر - ينفلق جسمها لجسد ثان! ثم إلى ثالث! وتحيط الأجساد الثلاثة به وهو ملتصق بالجدار شاعرا بخوف لا حدود له، بصره معلق بتلك الأجساد المروعة الدانية منه، ووجوه صاحباته ترسم ضحكات ساخرة تردد بنبرة واحدة مثيرة للفزع:

- «ستلحق بنا يا من حاولت إزالتنا عن الوجود!».

أدوية كثيرة استخدمها محاولا النيل من تلك الهلاوس على الأقل، ولكن دون فائدة ترجى.. لقد حكم على نفسه بالسجن مدى الحياة في عوالم نسجتها مخيلته وأوهامه وكوابيسه المروعة..

بعد تلك القضية أراد الاعتزال.. في الحقيقة كان قد قرر إنهاء عذابه بيده كي ينعم بنوم طويل!

في ليلة من الليالي التي انتابته فيها الهلاوس حتى لكادت أن تفقده عقله، تناول المسدس، ودفع بفوهته داخل فمه مزمعا إطلاق النار والنوم للأبد.. خيل له أن (بريثا) تنظر له عبر نافذة الشقة! كانت تنتظر بصمت وتلهف، فما كان منه إلا أن رمى بالكرسي صوب النافذة صارخا، فحطمها إلى أشلاء متناثرة، وانهار باكيا بحرقة وألم وهو يستغفر ربه حتى مطلع الفجر..

وعندما أشرقت الشمس شعر براحة لا حدود لها..

ليلة بعد ليلة كانت الهلاوس الكابوسية قد خفتت، وفي النهاية تمكن من التعايش مع واقعه الجديد والمؤلم، ولم يسمح لتلك الهلوسات بتدمير حياته من جديد، لكنه لم يتمكن من نسيان تلك الأيام التي عاش بها كشخص طبيعي يخلد للنوم كسائر البشر..

ذكريات فاضت في هذه الليلة بالذات، فكل شيء في هذه البلدة الغامضة قد ذكره بها..

www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/

ولكن، عندما عاود النظر من خلال النافذة، وجد شخصا يرتدي ثيابا سوداء ويقف تحت الأمطار الغزيرة ملوحا له بيده!

كان قد رآه من قبل..

وفي هذه الليلة المشئومة يراه من جديد!

لم يرتعب ولم ينتفض.. فقط لوح له بيده هو الآخر مغمغما:

- «ستنال العدالة منك أيها القاتل.. أقسم لك!».

■ ■ ■

عندما انتصف الليل.. كان (زياد) مندسا في فراشه وقد أمسك بجهاز التحكم الخاص بالتلفاز القديم سيء الإرسال، باحثا عن أي شيء يصلح للسهر..

كان يوما لعينا لجريمتين بشعتين وقعتا اليوم وبضربة واحدة لطفلين بريئين، أحدهما صبي أبكم يجيد العزف على «الهارمونيكا».. كان لا أحد، لا أهل له، ولم يكن ليفتقده أحد سواه، كان يعرفه، دائما كان ينقده المال كلما رآه، صبي مشرد حاله كحال معظم سكان هذه البلدة..

أما الضحية الأخرى فكانت فتاة عمياء، لا تزال صرخات ذويها تمزق له أذناه..

شعر بالدماء تخترق خلاياه باحثة عن منفذ تنطلق منه كنافورة ثائرة، فكل ما يراه في المحطات مجرد أحاديث عقيمة لا منفعة منها!

لقاء مع ممثل أو مطربة أو محلل سياسي.. كلهم في رأيه سواء، لا يملكون سوى الكلمات الفارغة، فكاد أن يهشم شاشة تلفازه بجهاز التحكم عن بعد، عندما لمح رواية بوليسية بجواره!

وقبل تناولها أعاد جولته على المحطات المملة قبل إغلاق التلفاز بضغطة زر، كانت الرواية بانتظاره عند الصفحة السادسة، ففي كل ليلة يطالع صفحة، كان هذا نمطه في القراءة مذ كان صغيرا ولم يستطع تغييره..

بعد مطالعة السطر الأول كاد يلق بالرواية من فرط الملل ويخلد للنوم، لكن أرقه مكنه من متابعة الصفحة باهتمام غير مسبق، وعلى غير العادة قلب عددا من الصفحات ملتهما سطورها التهاما، شعر مع كل صفحة يقرؤها بأنه ينفصل عن عالم الواقع كأنه في نقطة خاوية لا تحوي سواه والرواية والسرير الذي تمدد عليه!

في تلك الليلة أتم تلك الرواية، ورغم أنها المرة الأولى إلا انه لم يشعر بدهشة من أي نوع..

نظر من خلال النافذة، وقد شرد مع وميض البرق وهزيم الرعد وشرايين الأمطار المرتسمة على زجاج نافذته..

وبنبرة شاردة غمغم:

- «ستنال العدالة منك أيها القاتل.. أقسم لك!»

www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/

19

قال السيد (عزام) في حزن عميق وهو يتنهد كمن أثقلته الدنيا بالهموم:

- «ماتت (جميلة)، ابنتي الحبيبة.. قتلها الوغد المخبول بالسم!

كنا نحسبها نائمة، كانت تبدو كذلك، نائمة بدعة وسلام.. لم نتوقع أن تكون..».

ارتجف وهو يشهق، فربت (عمر) على يد الرجل قائلًا له بشفقة:

- «فليتغمدها الله برحمته..».

تماسك الرجل مردفا:

- «منذ وفاة ابنتي الوحيدة ووالدتها ترقد في مستشفى، المسكينة المكلومة سقطت فريسة غيبوبة..

قد دمرنا الوغد تمامًا! دمَّر سعاد أسرة!».

كفَّ (أنبل) عن تأمل الحديقة الغناء عبر نافذة الفيلا الفخمة، ملتفتا للرجل وهو يسأله:

- «ألديك فكرة عن كيفية دخوله الفيلا؟».

- «دخل متنكرًا على هيئة بستاني! فقد كنا بحاجة إلى واحد.. كانت هيئته هيئة رجل عجوز أفطس الأنف محدودب الظهر كث اللحية، وقد ترك عدة التنكر بجوار سرير (جميلة) كي يخبرنا عن مدى غبائنا، وكيف أنه خدعنا وهرب!

ابنتي كانت تنزل أحيانا لمساعدة الحقير في الحديقة! كان يتظاهر بالأبوة والحنو معها! لازلت أذكر كلمات ابنتي التي تمتدحه، فقد كان يعلمها الكثير عن الأزهار والأشجار وأنواع الحشرات! الخائن القذر!».

وبدا شبه منهار وهو يتأمل قبضة يده المضمومة..

- «رباه كم أتمنى القصاص العاجل منه! دم ابنتي! زوجتي المسكينة! أريد أن ألطخ قبضتي هذه بدمه القذر!».

ونظر إليهما قائلًا بقسوة:

- «أشعر أن بإمكاني الثقة بكما، فعجلة العدالة هنا تدور ببطء الحلزون! سأدفع لكما كل ما تريدانه لإيجاد الوغد! ولكن أرجوكما ألا تسلماه للشرطة..

أريد أن يتعذب الحيوان ببطء قبل قتله كأي جرذ مجارير!».

www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/

قال (أنبل) متحركا باتجاه الباب:

- «شكرا لك على الوقت الذي منحتنا إياه يا سيد (عزام)..».

خرجا من الفيلا، وسارا في الحديقة قبل أن يقول (عمر) لأنبل بتجهم:

- «هل تنوي تسليمه للعدالة؟».

- «لا!».

- «ستقتله كما صنعت مع المشعوذة إذن؟».

- «هذا واجبي..».

- «بل واجب الشرطة!».

- «إنه قاتل أطفال..».

- «لقد منيت بلعنة لعناء في المرة الأولى يا (أنبل)، ماذا تتصور أن يحدث هذه المرة؟».

- «لا أكترث..».

وتنهد بعمق وحرارة متأملا البوابة الفولاذية المفتوحة التي يتوجهان إليها.. وبوجوم غمغم:

- «الفتاة (حنين).. لم تكن سوى فخ للإيقاع بي يا (عمر)!».

نظر إليه متسائلا والدهشة تغمره:

- «ماذا تقصد؟».

- «تلك الليلة، وبعد مواجهتي الشرسة مع (بريشا).. قمت بتنبيش أغراضها تمهيدا لحرقها، فتخلصت من كل شيء عدا غرض واحد..».

تأمله (عمر) وهو يتوقف بمكانه مكررا التساؤل بفضول:

- «عن أي غرض تتحدث؟».

- «صورة فوتوغرافية قديمة.. صورة تذكرتها الآن، وتذكرت ملابسات جرائم قاتلنا وكم تشابه جرائم المشعوذة الغجرية الهالكة.. لا أملك الآن سوى فرضية، لكن شيئا ما في داخلي يخبرني أنها فرضية في محلها الصحيح!».

- «(أنبل).. لمن كانت الصورة بحق الله؟».

نظر إليه (أنبل)، ثم قال بنبرة خفيضة:

- «كانت لبريشا.. جالسة على كرسي وقد وقف بجوارها فتى وسيم يحمل ذات النقش المرسوم على جبهتها وذات ملامحها.. ملامح والدته!».

■ ■ ■

دفع الباب برفق ودخل.. فوجد فتاة جاثية على ركبتيها وقد انهمكت في تنظيف الأرضية بخرقة مبلولة، وتوقفت عما تفعله لما وقع بصرها عليه..

www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/

- «لابد وأن الباب كان مفتوحا كي تتمكن من الدخول..»

- «ربما..»

وتأمل وجهها البديع الذي عاود تأمل الأرضية المتسخة، وسمعها تقول شاردة:

- «هل تعرف طيور السنونو؟ بالتأكيد تعرفها.. إنها طيور رائعة لأنهـا تحلق مهاجرة، والتحليق هو فـرار من زوج أمي الذي لا يكف كل ليلة عن مَسـي! عن تهديدي بالقتـل! حولني لخادمة تلبي أوامره وترضي له نزواته المنحرفة!».

وأجهشت المسكينة بالبكاء مردفة:

- «أرجو أن تكون ملاكا جاء كي ينقذني من هذا العذاب!».

بقي صامتًا، فمسحت دموعها مبتسمة بعبوس وهي تقول:

- «أو أنك لص جاء لسرقة هذه الدار التعسة!

نصيحتـي لك أن ترحل.. ارحل لأن زوج أمي القاسـي سيقتلك حتما لو رآك!».

- «لست لصا..».

- «إذن ماذا تريد؟».

- «أريد مساعدتكِ!».

- «أهو حلم جميل؟».

- «لا، ليس حلما.. ما اسمكِ؟».

- «(سناء)..».

- «إنكِ لجميلة ورقيقة يا (سناء)!».

اقترب منها قبل أن يميل بوجهه نحوها هامسا بدعة:

- «قـد لا أتمكـن من تحويلـكِ إلى سـنونو يا (سـناء)، لكنني سأحاول مساعدتكِ قدر المستطاع!».

- «هل.. هل أنت ملاك؟».

- «لا، لست ملاكا..».

- «إذن لن تتمكن من مساعدتي..».

- «دعيني أحاول..».

كانت مأخوذة تمامًا بعينيه الغريبتين.. خيل لها أن إحداهما زرقاء، والأخرى خضراء!

لابد وأنه ملاك حتى وإن أنكر هو ذلك!

www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/

20

سار (زياد) في شوارع بلدته ساهما حزينا، بعد معاينته لجريمة بشعة جديدة راحت ضحيتها فتاة يتيمة تقطن عند زوج أمها..

ما زالت تلك الرتابة المستفزة قابعة بين الناس في ممارساتهم الدنيوية، فكأنهم أبطال عرض سينمائي يعاد عرضه يوميا!

في منتصف الطريق أبصر حادثة تصادم.. شاب طائش سكير صدم بسيارة والده عجوزا حاول العبور..

كان الجمع محتشدا حول الجثة، يتأملونها ببؤس وهم يتهامسون فيما بينهم..

- «المسكين! كان يعبر ببطء السلحفاة!».

- «ما ذنبه إذا كان هذا الفتى ثملا ومنطلقا بسيارته كالطلقة؟».

- «على أية حال من الواضح أن الرجل لا يملك ما يخسره سوى حياته!».

- «حتى الحياة لا قيمة لها هنا!».

وأمام الشرطي وقف الشاب متعاليا في وقفته متغطرسا في إجاباته متكبرا في وقفته.. كان (زياد) يعرفه، يعرف أباه، يعرف ذلك الصنف الموغل بالفساد في الأرض!

اتجه إليه بغل وغيظ مكبوتين، ولما بلغه أرسل قبضة ماحقة ناحية أنفه!

كانت لكمة قوية ألقت بالفتى أرضا، وجعلته يفيق من سكرته مبهوتا مذهولا، وابتعد (زياد) وصوت الشاب يطارده بجنون:

- «ألا تعلم من أنا؟ سأدمرك! سأزيلك عن الوجود يا حشرة!».

لكنه تجاهله متنفسا الصعداء..

كالعادة يبحث المشردون في القمامة عما يؤكل.. ما أكثرهم هنا! إنهم أكثر من النمل!

وكعادته كلما خرج، انتقى (زياد) متشردا يجلس منعزلا كي يعطيه بعض المال، فاقترب منه ليجده متدثرا بخرق بالية اتقاء للبرد القارص.. لكم أسف على حاله أشد الأسف..

ولكن ما إن مدَّ يده ببعض النقود ليعطيها له، حتى فوجئ بقبضة المتشرد الخشنة تلتف حول ساعده بعنف!

جفل (زياد) محاولا إبعادها وهو يهتف بالرجل:

- «ماذا تريد مني يا هذا؟!».

- «أنت تهوي! تهوي كطير بلا أجنحة!».

www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/

تلفظ المتشرد بكلماته تلك وقد ارتجف رجفة غامضة أجبرت بدن (زياد) على الارتعاش!

- «ومن تكون بحق الله؟».

- «مجرد متشرد آخر.. لا أحد بإمكانه تمييزنا عن بعض.. كلنا سواء في نظركم!».

تخلص من قبضة الرجل بصعوبة بالغة، وتراجع للوراء بارتباك تاركا إياه بخطوات سريعة.. لقد ازداد عدد المجانين في هذه البلدة الملعونة!

■ ■ ■

أسند (أنبل) ظهره للجدار في غرفته بالفندق، مداعبا بأصابعه قداحته التي تلازمه أينما حل، وقال لنفسه متأملا السقف المتشقق:

- «ليتني أتمكن من سماع بعض الموسيقى!»

في تلك اللحظة دخل (عمر) حاملا عددا من الأكياس قائلًا:

- «الغداء..»

- «لا شهية لدي..»

- «نحن لم نأكل منذ البارحة..».

لكن (أنبل) تجاهل كلامه.. كان شاردا يفكر، فسأله (عمر):

- «تفكر بابن (بريثا)؟».

- «أجل..».

- «أتعتقد حقا أن (بريثا) كان لها ابن؟».

- «أنا لا أعتقد.. أنا متأكد تمامًا!».

- «إذن فكل تلك الجرائم كانت بدافع..».

عضَّ على لسانه قبل أن يكمل، فتبسم (أنبل) بسمة حزينة وهو يرد نيابة عنه:

- «الانتقام؟ لِمَ لم تقلها؟ لِمَ لم تنطق بها؟ أتخشى أن أقول بأنني سبب وقوع كل تلك الجرائم اللعينة؟ بأن ابن (بريثا) ينتقم لوالدته المشعوذة مني؟!».

صمت (عمر) دون أن يدر كيف يرد..

وهنا سمعا صوتا يقول بارتباك من وراء (عمر):

- «عذرا على المقاطعة!».

التفت (عمر) للخلف مندهشا، فوقع بصره على (زياد) الواقف عند الباب، وقد دسَّ ملفا أسودًا تحت إبطه!

- «تفضل بالدخول!».

قالها (أنبل) بلهجة المنتصر، فبدا تردد على (زياد) قبل أن يحسم أمره ويندفع للداخل قائلًا:

- «ليس من عادتي فعل هذا لكن..».

- «لكن الأمر يفوق الاحتمال!».

- «بالضبط! أريد إيقاف ذلك المعتوه بأية وسيلة مهما كانت!».

www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/

- «وأنا متفق معك..».

ابتسم (عمر) مغلقا الباب وهو يسأل الزائر:

- «ما قولك في أن تتناول الغداء معنا؟».

- «لا شهية لدي، شكرا..».

- «وكذلك أنت؟ ماذا أفعل؟ هل آكل وحدي إذن؟».

تجاهل (أنبل) كلام (عمر) قائلًا باهتمام لزياد وبصره معلق بالملف الذي جلبه:

- «هذا ملف جرائم القاتل، أليس كذلك؟».

فتحه (زياد) مجيبا:

- «أجل.. يسمونه في هذه النواحي (البعبع)!».

قال (عمر) مستنكرا وهو يفض ما بداخل الأكياس:

- «بعبع؟!».

ناول (زياد) عددا من الصور لأنبل قائلًا له وسبابته تشير لمواضع فيها:

- «الضحية الأولى، (أسماء).. كانت تزور جدتها المريضة عندما ظهر لها القاتل..

الشقيقان التوأمان (مازن) و(منار)، فقدا قبل فترة طويلة، وبحثنا عنهما مطولا دون العثور لهما على أثر واحد..».

- «ولماذا تفترض أنه القاتل؟».

- «إنه شعور لغاية الآن.. حدس لا أكثر!».

- «وأنا أظنه في محله!».

- «الجريمة الثالثة كانت متعلقة بابنة السيد (عزام غالب) أثرى أثرياء البلدة، ابنته (جميلة) قتلت بنوع خاص من السم جعل والدها يحسبها نائمة، لكنه اكتشف الفاجعة فيما بعد!».

- «قمنا بزيارته البارحة أنا و(عمر)..».

- «يبدو وأنك زرت مواقع الجريمة كلها البارحة!».

- «ويبدو وأنك كنت تراقبنا!».

لاح شبح ابتسامة باهتة على ثغر (زياد) متسائلا:

- «ماذا عن الجريمة التي وقعت اليوم؟».

- «أتقصد جريمة الفتاة اليتيمة؟».

- «هأنتذا تعلم!».

داعبت أصابع (أنبل) القداحة مطلقا الشرر منها مجددا وهو يقول راسما على شفتيه شبح ابتسامة:

- «الأمور باتت واضحة الآن!».

- «ماذا تعني؟».

ولكن وقبل أن ينطق (أنبل).. شقت صرخة مروعة الأرجاء، وقد كان مصدر انبعاثها من الخارج، في ساحة البلدة..

www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/

21

عنـد أحد الجدران ذات الطلاء المشـقق، وجدت امرأة جثة لفتاة مقتولة..

تجمع الأهالي والخوف مرتسـم على وجوههم، وقال رجل كهل وهو يخفي وجهه بيديه المعروقتين:

- «ألا لعنة الله على البعبع المجرم!».

وقـف (زيـاد) و(أنبل) و(عمر) وسـط الحشـد المتجمـع قبل أن يخترقوه وصـولا إلى ذلك الجدار، وأمامه وقفوا سـاكنين والغضب يتملك ثلاثتهم..

- «إنها (ظلال)!».

أومأ (أنبل) برأسه وهو يتفحص الكتابة المدونة على الجدار، في حين تساءل (عمر) بحيرة:

- «ماذا يعني الوغد بحق الله؟».

تفحص (أنبل) الكتابة بيده قائلًا:

- دوَّن الرسالة بدم ضحيته:

«أنا الآن سعيدة لأنني سألقى جدتي أخيرا في السماء!».

تمتم (زياد) من بين أسنانه:

- «يا للوضيع المهووس! إنه يحاول بث الرهبة في نفوسنا..»

نظر (أنبل) إلى جثة الفتاة قائلًا بحزن:

- «الأمـور باتت واضحة الآن! بتنا نعرف هوية البعبع وسـبب استخدامه لكل تلك الوسائل الغريبة في اقتناص ضحاياه!»

صاح (عمر) و(زياد) بآن واحد:

- «ماذا؟».

جثـا (أنبـل) علـى ركبة واحـدة، وبحنو مسـح على خصلة شـعر تهدلـت من جبيـن الفتاة القتيلة، قبل أن يخـرج ورقة الياناصيب التي منحته إياها قبلا، ويدسها بيدها هامسا بحزن:

- «أنا آسف!».

وضع (عمر) يده على كتف رفيقه، في حين تساءل (زياد) منفعلا:

- «ماذا في جعبتك؟ أرجوك أخبرني!».

- «دعونا نبتعد من هنا أولا..».

وعلـى بعد مسـافة من الجثة والحشـد الذي تجمهـر حولها، نظر (أنبل) إلى رفيقيه قائلًا:

www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/

- «في الجريمة الأولى تربص البعبع بفتاة كانت ذاهبة لزيارة جدتها.. ألا يذكركم هذا الموقف بشيء ما؟ حكاية مثلا؟».

- «حكاية؟!».

- «حكاية (ليلى) والذئب! أو القبعة الحمراء والذئب! في الحكاية تذهب (ليلى) لزيارة جدتها، وفي الطريق يخرج لها الذئب مقنعا إياها باتخاذ وجهة أخرى ريثما يفرغ من جدتها، ثم يقبع بانتظارها هناك تمهيدا لالتهامها هي الأخرى!».

- «يا له من هراء! أهذا هو استنتاجك العبقري؟».

- «وفي الجريمة الثانية لدينا شقيقان توأمان تاها عن المنزل.. ألا يذكركما ذلك بهنسل وغريتل؟».

صمت (زياد) غير مصدق لما يسمعه، في حين أكمل (أنبل) معاودا مداعبة قداحته:

- «فتاة قتلت بالسم، قتلها رجلنا متنكرا على هيئة بستاني، وظنها أهلها نائمة..».

قال (زياد) متهكما:

- «ماذا؟ الأميرة والأقزام السبعة؟».

صاح (عمر) متحمسا:

- «بل الجميلة النائمة!».

أشار له (أنبل) باسما بمعنى «أصبت"! فقال (زياد) واجما:

- فتاة يتيمة يعذبها زوج والدتها.. أكاد لا أجد تشابها بينها وبين أية حكاية خرافية سمعنا بها..

نظر إليه (أنبل) قائلًا:

- «بالطبع ثمة حكاية، بل وحكاية شهيرة أيضًا..

حكاية (سندريلا)! الفتاة اليتيمة التي كانت زوجة أبيها الراحل تعذبها في المنزل! لقد أجاد الوغد اختيار ضحيته التي تحمل اسم (سناء) أيضًا!».

- «ماذا عن المتشرد الأبكم والفتاة العمياء؟».

- «في قضية الأبكم وجدت جثته مغمورة في مياه بحيرة قريبة وحوله كمية هائلة من الجرذان الغارقة! الصبي كان موسيقيا أيضًا..

عندما شرّحت الجثة وجدت أن القاتل قد مزق حنجرة الصبي المسكين منتزعا أوتاره الصوتية، فلماذا يتجشم عناء حمله ورميه في البحيرة مع كل تلك الجرذان؟

أما الفتاة العمياء، فقد كانت مخنوقة بحبل عبارة عن ضفيرة طويلة ومجدَّلة من شعر البنات! قام القاتل بلفها حول عنقها وخنقها، ومن ثم ربط جسمها مثبتا إياه، قبل استخدامه لتلك الضفيرة في التدلي والهبوط من النافذة!

www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/

مجددا.. لماذا تجشم كل ذلك العناء؟ كان بإمكانه استخدام الباب الذي دخل منه، لكنه وعوضا عن ذلك هرب من النافذة مستخدما ذلك الأسلوب العجيب!».

أسرع (عمر) يقول منذهلا:

– «الناي السحري!».

تلفت إليه (زياد) مشدوها، فقال (أنبل) وهو يحك ذقنه:

– «أصبت! ففي جريمة الصبي الأبكم كانت هنالك محاكاة لحكاية عازف الناي، الذي أنقذ بلدة «هاملن» من وباء الجرذان باجتذابها وإغراقها في البحيرة عن طريق ألحانه السحرية!».

هتف (زياد) محتدا:

– «والفتاة؟ والضفيرة؟!».

– «إنها الحكاية الشهيرة التي نعرفها باسم "قرة العين"! تلك الفتاة التي حُبست في برج شاهق العلو عن طريق مشعوذة كانت تصعد إليها مستعملة ضفيرتها الطويلة كحبل متين!

وأخيرا.. (ظلال) التي كانت تبيع أوراق اليانصيب!

فعندما قضت بائعة الكبريت الصغيرة نحبها بردا في حكاية (هانز كريستيان أندرسن) الشهيرة ماتت سعيدة، لأنها تمكنت أخيرا من الرحيل مع جدتها إلى السماء!».

– «يا للهول! ما حكاية ذلك المخبول؟ أكان يفتقد هدهدات أمه وحكايات ما قبل النوم التي كانت تسردها عليه؟!».

انشغل (أنبل) عن الرد بتأمل ساعة يده، قبل رفع بصره إليه قائلًا ببسمة انتصار:

– «ربما! ولكن كن متأكدا من أنه مخبول!».

– «أنا متأكد من هذا على الأقل!».

ونفخ (زياد) الهواء مخففا عن صدره، ومن ثم غمغم باهتمام:

– «قلت أنك تعلم من يكون البعبع..».

– «ليس هذا فحسب.. بل أنا أعلم مكانه الآن!».

تصاعد ذهول (عمر) و(زياد) للذروة، وصاح الأخير:

– «كيف؟!».

– «بل أين! هلما بنا للامساك بالوغد حالا!».

■ ■ ■

على الربوة المرتفعة والمطلة على البلدة بأسرها، شيّد المسرح القديم الذي شقت سيارة (زياد) المتهالكة طريقها نحوه..

قال محاذرا الارتطام بإحدى الصخور المتناثرة على الطريق:

– «مسرح الأضواء الذي بناه آل (حريش) الشهير! لقد أجاد الماكر اختيار وكر اختبائه!»

www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/

سـأله (عمر) متحسسـا جبهتـه التي ارتطمـت قبل قليـل بالمقعد الذي يجلس (أنبل) عليه أمامه:

- «وما حكايتهم أيضًا؟»

- «حكاية مروعة.. فصاحب المسـرح الثري (عاصم حريش) كان رجـلا مزواجـا، تـزوج بأكثـر مـن امـرأة، فقـد كانت عينـه على ممثلات مسـرحه طيلة الوقت، ما إن يقع في هوى واحدة حتى يطلق إحدى زوجاته الأربع ويسـارع بالزواج منها! أو أن هذا ما كنا نحسبه جميعا!».

- «ماذا تعني؟».

- «أعني أن الرجل لم يكتف بتطليق نسائه، بل لم يدع إحداهن تفارق مسرحه المروع حية!».

قال (أنبل) بضجر وبصره معلق بجهاز صغير إلتمعت نقطة حمراء مضيئة على شاشته:

- «تذكر.. حكاية (ذو اللحية الزرقاء)!».

- «آه!».

ومدَّ (عمر) وجهه متأملا شاشة الجهاز، وبريبة تساءل:

- «ولكن أليس هذا..».

- «أجـل، جهاز التعقـب الذي قمـت أنت بتصميمـه، اختراع عبقري أهنئك عليه!».

- «كيف استخدمته؟ لابد من زرع رقاقة التعقب أولا، ثم..».

صمت بغتة وقد اتسعت حدقتاه، وبريبة همس:

- «أتقصد أن (حنين)..».

- «تمامًـا! كنـت أعلـم أن الوغد سـيرجع لاختطافهـا! فقمت بـزرع رقاقـة تعقب الأثر علـى مؤخر عنقهـا خفية، عندمـا كنا داخل المصعد قبل إيصالها إلى شركتها!

الرقاقة كما تعلم متصلة بسـاعتي، التي أعطت إشـارة على وجود (حنين) في هذا العالم!».

تدخل (زياد) مستغربا:

- «هذا العالم؟!».

تجاهله (أنبل) مكملا:

- «وهذا يعني أن البعبع قد ذهب لاختطافها وعاد بها إلى هنا، ولدى تشغيل جهاز تعقب الرقاقة توفر لدينا مكانه بدقة!».

غمغم (عمر) بقلق:

- «لكن هذا يعني أن (حنين) في خطر محدق يا سنور..».

- «لذا يتحتم علينا الإسراع لنجدتها..».

نظـر (عمر) إلى صاحبـه دون أن يوجه له كلمـة انتقاد كان يرغب بذكرهـا له، فقد شـعر أن أسـلوبه في معالجة هـذه القضية مختلف.. لقد بدا قاسـيا وجافا اتجاه شـخوصها، ولم يبد أي اهتمام بخصوص

www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/

سلامة (حنين)، وكأنها مجرد طعم لا قيمة له سوى باجتذاب القاتل الذي يريد النيل منه بكل السبل الممكنة.. فهل تغير السنور حقا مذ ألقت عليه تلك الغجرية بلعنتها؟

تأمل (عمر) عبر نافذة السيارة المسرح الذي لاح من بعيد كقصر مسكون بالذكريات المروعة والأشباح الضالة، وبنبرة واجمة دمدم:

- «لابد وأنه قد رأى السيارة..».

- «إنه يتوقع قدومنا، فهو داهية ماكر!».

- «ألا تلزمنا خطة؟».

- «لاشيء سوى الارتجال منذ الآن! هل مسدسك بحوزتك؟».

كان يوجِّه حديثه لزياد الذي أجاب مبرزا جراب سلاحه:

- «لا يفارقني أبدا!».

لم يكن يشعر بالقوة وهو يحمل ذلك المسدس..

لطالما اعتقد منذ الصغر أن حمل سلاح من أي نوع وشهره باتجاه معين كفيل بمنح حامله الشجاعة والإقدام!

هاهو ذا يحمل سلاحا حقيقيا الآن، لكنه متوتر، مرتعب.. إنه يشعر بالأسوأ في الطريق إليه!

استغرقته تلك الخواطر في اللحظة التي قال بها (أنبل):

- «ممتاز، هلما بنا الآن، وكونا حذرين من ألاعيب ذلك الثعبان، فأنا أتوقع فخا منصوبا لنا..».

22

توقف ثلاثتهم أمام مدخل المسرح القديم..

كانت أبصارهم ترصد على الأرض أمامهم هرا مسكينا خيطت جزمتان صغيرتان طويلتا الرقبة بقسوة إلى ساقيه الخلفيتين، فكان يجرهما وراءه كعربة بعجلتين من فرط ثقلهما!

أثار المشهد انزعاج (عمر) وتقززه، فقال مهموما:

- «حتى الحيوانات المسكينة لم تسلم من أذاه!».

- «هلما بنا ندخل، إنه بانتظارنا على الأرجح!».

كان المكان الواسع رطبا من الداخل.. مقاعده شبه محطمة ومتسخة للغاية، حيث تلاعبت الجرذان بكل ركن منها، في حين نسجت العناكب خيوط شباكها في كل زاوية من زوايا الجدران..

- «يا له من مكان نتن!».

قال (زياد) متوترا دون النظر إلى (عمر):

- «ماذا كنت تتوقع؟ أن يقطن عزبة؟».

www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/

- «ولِمَ لا؟».

صوّب (زياد) سلاحه للأمام وهو يتوقف بغتة..

- «ثمة جسد مرتم هناك!».

- «أين؟».

ووجه (عمر) ضوء مصباحه جهة خشبة المسرح قبل أن يهتف:

- «(حنين)!».

خفَّ إليها يتبعه (أنبل) الذي قال:

- «كن حذرا!».

لكن ثلاثتهم فوجئوا بها تعتدل واقفة، وسمعوا صوتا ذكوريا متهكما يهتف:

- «مرحبا بكم!».

رأوا (حنين) تلوح لهم بذراعها اليمنى كالدمية! فتمتم (أنبل) بشك:

- «ثمة شيء ليس على ما يرام..».

وتعالى صوت البعبع مرة أخرى:

- «كيف حالك أيها السنور؟ أهنئك على وصولك إلى هنا!».

- «أشكر لك ترحيبك الحار بنا! والآن أطلق سراح الفتاة..».

- «لكنها حرة كما ترى!».

رفع (أنبل) وجهه لفوق قائلًا بلهجة محتدة:

- «لا، ليست كذلك!».

- «إذن فقد لاحظت!».

وهنا وثبت (حنين) وثبة هائلة قبل أن تلتف حول نفسها برشاقة راقصات الباليه! فتبين لزياد و(عمر) الخيوط الدقيقة والمتينة التي ربطت إلى ربلتيها وساقيها، وحتى ذراعيها ويديها! ولم يفت (أنبل) ملاحظة الحذاء الأحمر البراق الذي كانت - رغما عنها وبكل تأكيد- تنتعله في قدميها!

- «أنظر إلى هذا الإبداع يا سنور! ثمة في رقصها ما يحرك شيئا استكان منذ زمن في نفسك المتحجرة! في كيانك الحالك كظلمة الليل!».

كانت مكممة الفاه، ورأى (أنبل) دموعا أليمة في عينيها المستسلمتين، فانتابته ثورة نجح في كبتها بمعجزة خارقة..

قال دون أن يرفع بصره لفوق مثبتا إياه على عيني (حنين):

- «أطلق سراحها فالأمر بيني وبينك!».

- «طبعا لدينا حساب يجب تصفيته، لكنها طرف من اللعبة الممتعة! لا تحاول شيئا لإنقاذها، فالخيط في عنقها مختلف عن البقية لأنه حاد كالشفرة! فلا تضطرني إلى جز عنقها الجميل!».

ساحر الكتب
fb.com/Sa7er.Elkotob/
www.sa7eralkutub.com

www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/

لاحظ (أنبل) بالفعل خيطا رفيعا دمويا يسيل من عنق (حنين) حيث ربط الخيط الحاد، فأسرع يقول:

- «ماذا الآن؟ أتريد أن نجلس ونستمتع بهذا العرض الراقص؟».

- «ولِمَ لا؟ اتخذوا مقاعدكم للجلوس والاستمتاع بالعرض! تحركوا!».

همس (زياد):

- «إنه مخبول حقيقي!».

- «لذا يتوجب علينا الانصياع لأوامره..».

وهكذا جلس ثلاثتهم على المقاعد الأمامية، وابتدأت وصلة الرقص البارعة وعقيرة البعبع ترتفع بلحن يشابه ألحان السيرك، وهم يتابعونها بمشاعر متباينة ما بين برودة (أنبل)، واحتداد (عمر)، وتوتر (زياد) الظاهر..

- «هل أطلق النار على الخيط؟».

كذا قال (زياد) بصوت منخفض، فهمس (أنبل):

- «ستكون أكبر حماقة نرتكبها!».

- «لماذا؟ أنا بارع بالتصويب!».

- «ماذا لو أخطأت؟ معذرة لكنني لا أثق بمهارتك إلى هذا الحد!».

قال (عمر) وهو يغلي:

- «إذن نجلس ونتفرج عليه وهو يعذبها بجنونه؟».

- «دعه يرض غروره قليلا..».

وعاود تأمل الرقص الذي استمر دقائق قبل انتهائه أخيرا، فصفق بيديه تصفيقا حادا وهو يتأملهما بنظرات تطالبهما التمثل به، فصنعا كما يصنع والدهشة تستحوذ عليهما!

- «برافو! عمل رائع! فن جميل! إبداع لا مثيل له! أهو من تعليم والدتك؟».

تصاعدت ضحكات جعلتهم يجفلون ويلتفتون للخلف، فأبصروه واقفا هناك على عدد من المقاعد، وقد تبدت لهم أوشمة زخرفية سوداء عجيبة الأشكال على سائر أنحاء جذعه العاري!

تمتم (زياد) مشدوها:

- «ولكن كيف كان..؟!».

صاح البعبع وهو يسير برشاقة على تلك المقاعد اتجاههم:

- «والدتي علمتني كل ما أحتاجه في حياتي.. أنا مدين لها بكل شيء، وبخاصة القصاص لها من قاتلها!».

أسرع (زياد) يصوب سلاحه إليه، فرفع البعبع إصبعا مهددة وهو يقول:

- «حذار من التهور وإلا ضاع عنقها!».

www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/

التفتوا بسرعة إلى (حنين)، ولشدة دهشتهم وجدوا الخيط الحاد يرتفع ببطء ومعه رأسها كدمية «الماريونيت"! فوضع (أنبل) يده على سلاح (زياد) خافضا إياه، ثم قال مخاطبا غريمه:

- «إذا أردت الانتقام فبإمكانك الآن فعل ذلك..».

ابتسم البعبع بسمة واسعة وهو يهمس:

- «أتظن الأمر بهذه البساطة؟ أتظن انتقامي سيمر مرور الكرام دون أن أراك تتعذب؟».

- «تريد تعذيبي؟ لن أقاومك إذن!».

قام البعبع بثني ظهره جاثيا على ركبتيه، وبتؤدة قال وبصره لا يكاد ينزاح عن (أنبل):

- «ليس الآن..».

وطرقع بإصبعيه قبل أن ينفلت جسم (حنين) وكأن خيوطها قد انقطعت دفعة واحدة، وهبَّ (عمر) واقفا وهو ينظر باتجاهها، في حين وثب البعبع للوراء ورصاص (زياد) ينطلق بعنف مطاردا إياه، لكنه لم يفلح في إصابته، ورآه يتوارى خلف المقاعد وكأنه سقط في هوة هنالك!

أسرع (عمر) باتجاه (حنين)، فحلَّ أولا الخيط الحاد عن عنقها قبل أن يزيل الكمامة عن فمها قائلًا بتلهف:

- «هل أنتِ بخير؟».

أجهشت بالبكاء وهي تخفي وجهها بيديها، فأسرع (زياد) نحوهما صائحا:

- «أهي بخير؟».

- «أجل..».

- «حمدا لله..».

في حين أتاهما صوت (أنبل) يقول:

- «لقد اختفى!».

كان واقفا في ذات البقعة التي توارى بها البعبع، فغمغم (زياد) مرتابا:

- «أهو عفريت؟».

- «لقد ورث الشعوذة عن والدته الغجرية!».

- «إذن فقد كنا نتوهم وجوده!».

اقترب (أنبل) قائلًا بوجه متجهم:

- «ربما، لا أستطيع إدراك ألاعيب ذلك الوغد، لكنني فهمت أن معركتنا لم تنته بعد..».

- «إذن فسيواصل القتل..».

- «ربما، لكن ليس هنا!».

- «ماذا تقصد؟».

www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/

تنفس (أنبل) بعمق قبل أن يرد مهموما:

- «لقد انتهى عملنا هنا!».

■ ■ ■

- «أمتأكد مما تود فعله؟»

- «أجل..»

وقبل أن يتردد أكثر ألقى (أنبل) بالقداحة على السائل الممتد إلى داخل المسرح، وبشرود تأمل رقصة النيران التي اندلعت لتلتهم كل شيء..

تأمل (زياد) المشهد قائلًا:

- «أعتقد أنها خطوة سليمة..»

- «إنها للاحتياط فحسب، لكنني أظن صاحبنا قد اكتفى من هذا العالم!»

- «موضوع المصعد الذي يتنقل من مكان لآخر مثل العربة الزمنية موضوع جنوني! لكنني مستعد لتصديقه خصوصا بعد المساعدة التي حظيت بها منكم!

أعتقد أن هذه البلدة ستعرف الأمان مجددا، وبأن أطفالها سينامون ليال طويلة هانئة بسلام..».

والتفت إلى (حنين) قائلًا بابتسامة:

- «أنا حقا آسف على كل ما عانيته يا آنسة..».

زينت بسمة متزنة شفتيها، قائلة وهي ترمق (أنبل) بنظرة طويلة:

- «وأنا سعيدة لإسهامي بشيء لإنقاذ الأطفال الأبرياء، وإن كنت قد لعبت دور رهينة الغفلة التي لا تدر ما يدور حولها!».

قال (عمر) باسما:

- «المهم أننا استعدناكِ على قيد الحياة..».

ردَّت واجمة:

- «المهم أنني من الآن فصاعدا سأرافقكما حتى نوقع بذلك المجرم! والآن إليّ بالمفتاح!».

ناولها (أنبل) مفتاح المصعد دون أن يرد، وقد انشغل عنها بمراقبة النيران التي أتت على كل شبر من مسرح الرعب..

ناداه (عمر) كي يعجلوا بالرحيل، فركب إلى جوار (زياد) قبل أن تنطلق السيارة بهم قاطعة رحلة طويلة إلى حد ما، حتى بلغوا منطقة شبه منعزلة من البلدة..

ترجل ثلاثتهم من السيارة، وبحرارة صافحهم (زياد) متسائلا:

- «هل ستكونون بخير؟».

- «لا تقلق، لقد تدبرنا أمورنا معا بصورة جيدة حتى الآن!».

- «شكرا لكم على كل شيء..».

- «ولك أيضًا..».

www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/

وانطلق (زياد) بسيارته مخرجا ذراعه من نافذته وملوحا لهم، فبادلته (حنين) التلويح بحرارة، في حين تابع (عمر) ببصره شريكه الذي نظر إلى مدخل لبناء قديم من طابق واحد قائلًا ببسمة شاحبة:

- «المصعد بانتظارنا!».

وأمام المصعد بالداخل، وقفت (حنين) تقول متهكمة وهي تدس مفتاحه في ثقب اللوح المعدني:

- «يبدو وأنكما قد أتيتما لهذا العالم من تحت الأرض!».

- «إنه مصعدكِ! وهو يلق بنا في أماكن غريبة حقا!».

انفتح باب المصعد داعيا إياهم للولوج، فدخل ثلاثتهم ووقفوا بانتظار القرار النهائي بشأن الرحلة القادمة..

ضغط (أنبل) زر الرقم (9)، فقال (عمر) بدهشة:

- «لكن هذه ديارنا!».

- «أعلم هذا، ألم تشتق لشقتنا؟».

- «وماذا عن البعبع ؟».

- «لا يمكننا مجرد تحزير مكانه، علينا انتظار رسالة أخرى منه تعلمنا بمكانه..».

قالت (حنين) محتدة:

- «تعني جثة جديدة تعلمنا بمكانه!».

أجابها بجفاء:

- «تمامًا!».

قال (عمر) مخاطبا إياهما بآن واحد:

- «ثمة خطب ما..».

نظرا له بدهشة قبل أن ينظرا إلى لوحة الأزرار التي كان يتأملها.. كانت شاشة الأرقام تتنقل بينها بسرعة جنونية حتى تصاعد الدخان منها!

وفوجئوا بارتجاج مروع وكأنه حادث تصادم طرحهم أرضا بعنف، ومن ثم اندلع الشرر والدخان الضبابي من المصعد قبل أن يسكن وينفتح بابه ببطء!

سعلوا بشدة وهم يفتحون أعينهم، عندما تسمروا بأماكنهم لدى سماع تلك الصرخة الصارمة:

- «لا أحد يتحرك!».

كان النطق باللغة الانجليزية، ففتحوا أبصارهم ببطء ليجدوا أنفسهم في مواجهة عددٍ من الأسلحة الرشاشة المصوبة إلى صدورهم!

www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/

الفصل الخامس

رقعة شطرنج

www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/

23

أثنى كثير من العملاء على اختيار (راوهونا) كمدير لوحدة مكافحة الإرهاب، واستحسنوا أداءه في منصبه الجديد والهام..

كان حاخاما قبيل عمله في مكاتب مكافحة الإرهاب، من أشد الرجال بأسا رغم هزاله الملحوظ، لكن اللقب اللعين التصق به كالغراء.. لقب «صاحب الساق الفولاذية»! وهو لقب غير مجازي، لأن ساقه اليمنى كانت مصنوعة من «التيتانيوم» المعدّل، بعد فقدانه ساقه الطبيعية إثر انفجار في عملية قادها للقضاء على منظمة متهمة بالإرهاب، مما سبب له عرجا بسيطا لا يكاد يلاحظ، ورغم ذلك صار يدعى بـ «صاحب الساق الفولاذية»!

ومع مرور الزمن لم يعد اللقب يهمه، بل إنه استساغه! فقد أدرك أن الجميع في الإدارة يرهبونه ويحسبون له ألف حساب، فهو رجل يستطيع فعل أي شيء.. قاس لا يرحم.. داهية لا يمكن هزيمته بسهولة..

www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/

شخص واحد فقط لم يكن يرتجف في حضرته، ذلك العميل الشاب الأشقر الوسيم، الذي لا يهاب الخطر ولو كمن له في عقر داره!

كان (راوهونا) يرشف قهوته متأملا شاشة الحاسوب الخاص به، عندما طرق الباب، ودخل الشاب الخطر قائلًا بروتينية:

- «العميل (سيمون لاكيش) في خدمتك أدوناي..»

تجاهله (راوهونا) متعمدا، فصمت (لاكيش) منتظرا سماع الأوامر..

- «طلبتك لأمر عاجل»..

وأنهى ما تبقى من القهوة قبل أن يضع القدح جانبا وهو يردف:

- «الوقت من ذهب، والعملية التي سنقوم بها دقيقة جدا.. أتراك سمعت بالكولونيل (جيروم زايسون)؟»

- «سمعت به..»

- «الرجل تألق نجمه رغم انضمامه إلينا منذ مدة بسيطة، إنه غامض وغريب الأطوار إلى حد بعيد، ورغم صغر سنه إلا أنه أثبت جدارته بحق..».

- «لقد تتبعت أخبار حملاته الناجحة التي شنها على أوكار الإرهاب، فوجدت بأنها مذهلة..».

- «دعك من هذا وأخبرني.. ألديك فكرة عن صاحب هذه الصورة؟».

وضغط واحدة من أزرار لوحة المفاتيح، فتأمل (لاكيش) الشاشة قبل أن يجيب:

- «هذه أول مرة أراه!».

- «هذه الصورة من ملف كامل قدمه (زايسون) لنا، حسب المعلومات بالملف فإن هذا الشخص المعروف بالسنور إرهابي دولي، فهو المسؤول الأول عن كل عمليات التفجير التي تمت ما بين العامين 2014 و2021! التحق بداية بشبكة ذات تمويل ضئيل، ومن ثم صار من أهم وأخطر عملائها، كان هذا قبل أن يصير قائدها الأوحد.. وهي الشبكة التي نعرفها نحن باسم (غرناطة)!».

تبدت دهشة في ملامح (لاكيش) وهو يقول:

- «هل الكولونيل متأكد؟».

- «كل التأكيد.. في الواقع لقد تم القبض على هذا السنور قبل دقائق بناء على إرشادات من الكولونيل (زايسون) نفسه!».

- «حقا؟».

- «أجل، ولكن خمن أين؟».

وأرجع برأسه مريحا ظهره على المقعد، وابتسم منتظرا إجابة..

- «في القطاع (12) أو القطاع (28) حتما..».

www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/

تبدت بسمة (راوهونا) واجمة قائلًا:

- «لا هـذا ولا ذاك.. لقد قبضنا عليه داخـل هذا البناء! رجالنا كانوا بانتظار خروجه من أحد مصاعدنا، وقد قبضوا عليه ومعه شاب وفتاة من أعوانه!».

تبدى ذهول مبين على وجه (لاكيش) وهو يقول:

- «ماذا؟!».

- «كمـا سـمعت! كان قائـد واحـدة مـن أخطـر التنظيمـات الإرهابية يتسكع داخل أخطر مبنى على سطح الكرة الأرضية!».

وببطء نهـض (راوهونا).. ارتسـم تعبيـر مفزع علـى وجهه وهو يهمس مخاطبا (لاكيش):

- «كيف وصل شـخص خطر مثله إلى هـذا المبنى؟ أليس من المفتـرض أن يكـون المبنـى رقـم واحد فـي العالم مـن ناحية الأمن والحماية؟».

- «إنه للغز محير حقا..».

- «وهل أنت جاهز لحل هذا اللغز المحير؟».

- «بكل تأكيد يا سيدي!».

ران عليهمـا الصمت برهة هرش خلالها (راوهونا) خدَّه الخشـن قائلًا:

- «أعلم بأنك تعتبر (زايسـون) خصما شـخصيا لك منذ قضية نسف المجمع التجاري، حيث تصادف وجود زوجتك هناك!».

بدا (لاكيش) شاحبا قبل أن يتمتم شاردا:

- «أنا لا أمزج بين عملي وعواطفي..».

- «ألهذا أنكرت معرفتك التامة بزايسون؟».

- «قلت بأني سمعت به..».

راقـب (راوهونا) كل خلجة من خلجـات (لاكيش) قبل أن يقول له بنبرة قاسية:

- «هنالـك خيـط يـا فتى، خيـط رفيع يفصـل ما بين المشـاعر والواجب.. وأنا أكره المشاعر في مكتبي! بل في مبناي بأسره!».

كان «صاحب الساق الفولاذية» قاسيا قسوة لا توصف في كلامه.. لكـن هذا لـم يؤثر في (لاكيش)، الذي لم ولن ينس بتاتا مقتل زوجته الرقيقـة الجميلة التي كانـت تبكي لمجرد رؤيـة وردة ذابلة.. زوجته التـي قتلها مع عدد من الأبرياء شـيطان آدمـي ادعى أن الأمن القومي هو جل اهتمامه!

بقـت تلك الأفكار الكابوسـية مصطرعة داخـل ذهنه، حتى أيقظه منها صوت (راوهونا) القائل:

www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/

- «والآن بعد أن فهمنا بعضنا بصورة جيدة.. فقد شوهد المدعو (مالبور) في البلاد عن طريق أحد عملائنا، الوغد عاد رغم جرائمه، وسيغادر غدا في الساعة العاشرة ليلا على متن طائرة..

أتوقع منك أن تكون هناك بانتظاره!».

اشتدت دهشة (لاكيش) لما قال:

- «ولكن ماذا عن قضية قائد غرناطة؟!».

ابتسم (راوهونا) بمكر قائلًا:

- «لا، سأدع (زايسون) يكملها حتى النهاية، لا أحسبك مستعدا لها!».

شعر (لاكيش) بالدم الحار يكاد يتدفق خارج صدغه، لكنه تماسك متظاهرا باللامبالاة..

مال (راوهونا) بوجهه صوب (لاكيش) قائلًا له:

- «تذكر أنك تقوم بواجبك قبل كل شيء، ومحاولة الثأر التافهة قد تدمر كل ما بنيناه..».

ورفع كفه قائلًا ومعلنا انتهاء المقابلة:

- «هذا كل شيء..».

نظر (لاكيش) إلى عيني «ذو الساق الفولاذية».. هل أصبح الثأر لزوجة أحبها وأحبته تافها كما يقول؟ هراء!

إن (راوهونا) مجرد آلة باردة لا ترحم ولا تهتم لفقدان شخص عزيز، لم يجرب الوغد النوم عن طريق المهدئات، والبكاء الأليم ومحاولات الانتحار الفاشلة!

إنه حيوان سافك للدماء يريد تحقيق الانتصار بكل السبل والوسائل الوضيعة..

■ ■ ■

في تلك الليلة، عاد (لاكيش) إلى شقته المتواضعة مفكرا في المواجهة القادمة..

وعندما أشعل الضوء سمع صوت جرس بابه يتردد، فاستدار لفتحه، وما إن فعل حتى طالعه وجه ابنة جاره المراهقة (شيا)..

كانت تبتسم في خجل وهي تحمل بين ذراعيها قطا رمادي اللون ظريف الشكل، ما إن وقع بصر (لاكيش) عليه حتى تناوله منها باسما، وشرع يداعب رقبته قائلًا:

- «أيها المشاغب الصغير! هل اشتقت إليّ؟»

والتفت للفتاة التي كاد وجهها ينفجر من شدة احمراره قائلًا لها بامتنان:

- «أشكركِ جدا على رعاية (سيزار) يا (شيا)..»

- «أنت تعلم أنني.. أنني مستعدة لفعل أي شيء لأجلك أدون (لاكيش)!»

www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/

- «أرجو ألا يكون والداكِ متضايقان أو..».
- «لا! لا! بتاتا! إنهما يرحبان بك في أية لحظة!».
- «هذا أمر جيد، ليلا توف إذن يا (شيا)..».

رمقته بنظرة حانية وهي تهمس بنبرة متهدجة:

- «ليلا توف أدون (لاكيش)..».

أغلق الباب عقب رحيلها، وحمل قطه إلى المطبخ، حيث صبَّ له بعض الحليب في وعائه الخاص، ثم صبَّ لنفسه قليلا من الشراب في كأس حملها معه إلى غرفة النوم..

رمى ببدلته جانبا، وحلَّ ربطة عنقه العنابية متذكرا زوجه التي كانت تصنع له ذلك ما إن يرجع لها من مهمة شاقة..

ارتشف القليل من شرابه وهو يجلس مواجها لخزانة الملابس، ثم وضع الكأس على «الكومودينو» وفتح باب الخزانة على مصراعيها..

أخرج كل البدل وربطات العنق منها حتى أصبحت خالية تمامًا، ثم فكَّ العامود المعدني الذي يعلق عليه الربطات، وهزه من أحد جانبيه ليسقط في راحة يده جهاز صغير مزود بسماعة لأذن واحدة..

ثم هز العامود من طرفه الآخر فأسقط جهازا آخر ألصقه بالجهاز الأول، فاشتعل ضوء زيتوني يعلن عن تجهيز الجهاز للإرسال، فوضع السماعة الوحيدة على أذنه، وضغط الزر الوحيد الموجود بالجهاز هامسا:

- «عيرف توف، (ليفي) يتكلم!».

أتاه صوت أنثوي يقول بالعبرية:

- «(ليفي)! ما شلومخا؟».
- «تودا لإيل.. توف.. كيف حال (أرييه)؟».
- «إنه مشتاق، سيكون عندك غدا..».
- «غدا؟ لا أظن ذلك يناسبني.. أرجو المعذرة! هلا تبلغينه بأن يؤجل سفره؟ لدي ارتباطات..».

ران الصمت على الطرف الآخر قبل أن يستأنف حديثه:

- «سيحزن (أرييه) لذلك، فهو مشتاق إليك كثيرا..».
- «متستاعير، ربما في المرة القادمة.. نكافيه شنرئيه!».
- «لهتراؤوت.. براخوت لفافيوت!».

وعقب إنهاء الاتصال المريب، تنفس الصعداء وهو يتمدد مسترخيا على سريره بحذاءيه وكامل ثيابه..

تأمل السقف بصمت، فقد تولى عقله عملية الكلام بدلا عن فمه..

من تراه يكون ذلك السنور بحق الله؟!

www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/

24

سارع جميع العاملين في معتقل «الشاباك» بتأدية التحية العسكرية حتى قبل أن يبلغهم الكولونيل (جيروم زايسون)..

الكل يعرف طباع «الكولونيل التمثال» أو «الرجل بلا قلب» في مقر القيادة حيث يعمل أخطر رجال المخابرات، والكل يعلم تاريخه القصير لكن الحافل بالمنجزات الوحشية التي يشيب لهولها الولدان في بطون أمهاتهم، كما أن أساليبه التي يتبعها مع المعتقلين تدفع بالحجر للنطق!

كان وسيما، فتيا، يملك عينان إحداهما زرقاء والأخرى خضراء، فتبدى للبعض كالشيطان، خصوصا بعد عملياته الدموية - الناجحة رغم هذا-، والتي شنها على حركات المقاومة الثلاث المتبقية..

في ذلك اليوم الكئيب وصل إلى المعتقل ذائع الصيت بسمعته السيئة.. الجميع كان واقفا لاستقباله كالمعتاد وبالتحية العسكرية، فتبسم بغرور بيِّن وهو يثب من الطائرة المروحية التي حطت على

سطح البناء شاهق الارتفاع، ودنا من أحد العملاء الذين كانوا بانتظاره والذي قال له:

- «الكل يهنئك على نجاح عملية إمساك السنور يا حضرة الكولونيل..».

- «أين هو؟».

قالها بهدوء مثير للتوجسات، فابتلع الرجل ريقه مجيبا:

- «في زنزانته الخاصة تحت الأرض..».

تأمله (زايسون) بطريقة كادت توقف دقات قلبه قبل شعر رأسه، وقد تبدت بسمة رضا على ثغره الجاف مرددا:

- «يافيه! يافيه!».

وسار وخلفه عدد من رجاله قبل توقفه المباغت، فتسمروا في أماكنهم..

- «ماذا عن الفتاة والشاب اللذين كانا معه؟».

- «لا زالا داخل الحجز في مبنى مكافحة الإرهاب، تمامًا كما أمرت!».

- «والمتعلقات؟».

- «أرسلناها إلى مكتبك كما أمرت..».

- «أطلقوا سراحهما!».

- «سيدي؟!».

www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/

التفت (زايسون) رامقا إياهم بنظرات مفزعة، جعلت العميل المرافق له يسرع بالقول:

- «أمرك سيدي!».

نظر إليه (زايسون) قبل أن يقول له بجفاء:

- «وأحضر السجين الخطر إلى مكتبي حالا..».

- «أمرك سيدي..».

بعد دقائق، كان جالسا في مكتبه المطل على ساحة السجن.. نظر من خلال نافذته إلى العلم الذي فرد على طول أحد أبراج المراقبة باسما باستهزاء..

كان العلم أسودًا، رسم عليه طير جارح أزرق يفرد جناحي خفاش، وقد تدلى من أسفله ذنب ملتف كالثعبان..

وفي منتصف ذلك الشعار الغريب رسمت دائرة بمنتصفها نجمة «داوود» قرمزية اللون!

انبعث لحن شهير لباخ من الحاسوب المحمول على سطح المكتب، فضغط زر الدخول قبل ظهور وجه (راوهونا) عليه.. بدا متيبس الملامح وهو يقول باحتداد:

- «بلغني أنك أمرت بإطلاق سراح الفتاة والشاب!».

- «أجل..».

- «ما قصدك من هذه الخطوة المريبة يا كولونيل؟».

ابتسم (زايسون) بسمة متهكمة وهو يرد:

- «الإيقاع بالمنظمات الثلاث! دفعة واحدة!».

- «كيف؟!».

- «دع الخطة تختمر أدوناي، وأنا أعدك بسماع نتائج طيبة عما قريب..».

صمت (راوهونا) لبعض الوقت، ومن ثم تبدى شبح بسمة على شفتيه الجافتين قائلًا بجفاء:

- «فخامة رئيس الوزراء معجب بك كثيرا..».

لم ينطق (زايسون) وهو يصب الشراب في كأسه، فاسترسل (راوهونا) بوجه خال من المشاعر:

- «سيقابلك عما قريب..».

وأنهى الاتصال مع (زايسون)، الذي التفت متأملا الأغراض على سطح مكتبه.. ثلاث ساعات ومحافظ، قلم وجهاز صغير يبدو كجهاز تعقب، والأهم من ذلك كله مفتاح صغير فضي يشابه «السونكي»، التقطه وقلبه بين أصابعه قائلًا باستهزاء:

- «تبا لك ولحكومتك أيها الخنزير!».

■ ■ ■

من بعيد، أوقف (مالبور) سيارته أمام مدخل الملهى الليلي الذي يمتلكه، والذي ينتظر مزيدا من زبائنه الكثر خارجا..

www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/

مجموعة من الشبان القاصرين حاولوا ولوجه، لكن حاجب المدخل القوي كان لهم بالمرصاد..

تنحى جانبا كي يدع رئيسه في العمل يدخل وهو يعطيه إشارة معينة بأصابعه، فدخل (مالبور) على عجل وسيجارته لا تزال في فمه..

ووسط صخب الموسيقى والرقص والدخان الخانق أسرع (مالبور) بصعود السلالم المؤدية إلى حيث يقع مكتبه، هناك دخل متأملا رواد ملهاه عبر النافذة العاكسة، وشرع يمتص الدخان من العقب الذي شارف على النفاد مستشعرا أعراض الصداع..

صبَّ لنفسه بعض الشراب عندما فتح الباب ودخلت حسناء شقراء قصيرة الشعر، ترتدي ثوبا عنابيا يكشف عن ساقين بضتين، وتحمل بين الإبهام والسبابة سيجارة ذات مبسم أسود..

قبّلته وهي تهمس في أذنه:

- «اشتقت إليك!»

اتسعت عيناه لدى سماعه عبارتها، فجلس وراء مكتبه قائلًا ببسمة:

- «كيف حال العم (هورم)؟»

- «يبلغك تحياته.. ويتمنى أن تشاركه رحلة الصيد في البحيرة هذا العام..»

- «سأفكر بالأمر، فمشاغل الملهى كثيرة..».

وفي تلك اللحظة، دلف شخص ثالث عريض المنكبين، قال ماسحا العرق عن جبينه:

- «لا بأس، لدينا رجل وفتاة يمتلكان ذات صوتيكما، وهما يتحدثان الآن بمواضيع تافهة أمام أجهزة التنصت التي وجدناها! حولت الميكروفونات إلى حجرة أخرى، وبإمكاننا التحدث بحرية الآن!».

تنفست الفتاة الصعداء، في حين وضع (ماليبور) سيجارة جديدة بين شفتيه متمتما بعصبية:

- «الأوغاد! يضيقون الخناق علينا أكثر يوما بعد يوم!».

قال الرجل هارشا لحيته الصهباء المشذبة بعناية فائقة:

- «لا عليك، ولكن يتوجب علينا أن نكون حذرين أكثر في المعركة القادمة!».

- «المعركة القادمة؟».

جلس الرجل على الأريكة المريحة قائلًا وهو يشبك أصابعه ببعضها:

- «(الخليفة) اتصل!».

قفز (مالبور) من مكانه ووجهه يعكس ذهولا عارما، في حين نهضت الحسناء ببطء قائلة كالمأخوذة:

- «الخليفة؟!».

- «لدينا مهمة دقيقة، بل هي مهمة خطرة، الأخطر على الإطلاق.. إنها ساعة الصفر بالنسبة لحركتنا يا سادة!».

www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/

- «يا إلهي!».

أنهى (مالبور) سيجارته في ثوان، ثم أشعل واحدة جديدة متسائلا وقلبه يخفق بشدة:

- «زمن ومكان الاجتماع؟».

- «ثلاثة، ثمانية! الجميع سيكون حاضرا، وأنا أعني بذلك.. الجميع!».

- «القادة!».

قالتها الحسناء بصوت متهدج، في حين نفث (مالبور) دخان سيجارته هامسا بتوتر لا حدود له:

- «يجب أن نكون يقظين أكثر من ذي قبل، لن نريد أبدا تخييب ظن الخليفة بنا!».

- «بكل تأكيد، لذلك علينا مجابهة مشكلة من نوع جديد..».

- «ألا وهي؟».

- «أنظر بنفسك!».

ووقف الرجل أمام شاشات المراقبة مشيرا إلى شاب يجالس فتاة على إحدى الطاولات، فهمست الفتاة متسائلة:

- «جاسوسان؟».

- «ربما حليفان! لا يمكن التأكد ولكن..».

- «ماذا تخفي يا (إتيوب)؟».

- «في الساعة السادسة من مساء اليوم تم إلقاء القبض على شخص ملقب بالسنور! من المفترض أن يكون قائد غرناطة!».

- «هذا كذب واضح!».

- «وهنا تكمن المشكلة، جاسوسنا من الداخل يقول أن فتاة وشابا كانا معه تم إطلاق سراحهما اليوم، أما السنور فهو في ضيافة الكولونيل (زايسون)..».

- «التمثال؟!».

- «لماذا يدعون أن ذلك السنور قائد غرناطة؟ ليس لخداعنا بالطبع!».

أسند (مالبور) ذقنه على إصبعيه هامسا:

- «ربما يحسبونه القائد!».

- «أو أن هذا ما يحاولون إيهامنا به لدس هذين وسطنا!».

- «كل شيء جائز..».

- «ماذا ترى إذن؟».

تأمل المشتبه بهما عبر شاشاته مفكرا.. لا! لن يجازف أبدا، فساعة الصفر قد اقتربت!

- «للأسف.. سيتوجب علينا قتلهما، لن نترك شيئا للمصادفة أبدا!».

www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/

25

اقتيد (أنبل) بقسوة بهيمية متعطشة للدماء والألم عبر الممر المؤدي إلى حجرة قائد المعتقل..

سال الدم القاني بغزارة من منخريه وجبهته وشدقيه، وقد قيدت يداه إلى ما وراء ظهره بأغلال فولاذية، في حين يجره حارسان بعنف كما لو كانا يجران حيوانا بنية ذبحه.. وقبل توقفهما أمام الباب في نهاية ذلك الممر المعتم، وجّها آخر لكماتهما صوب بداية النخاع الشوكي مباشرة، فأجبراه بذلك على الانحناء قليلا، من ثم قام أحدهما بطرق الباب وفتحه، وبمعاونة زميله أجبرا أسيرهما على الولوج..

كان الكولونيل (زايسون) عاكفا على إشعال سيجارة مسترخيا على مقعد الضابط المساعد الواقف إلى جواره بصمت واحترام، وقد مدد ساقيه على سطح المكتب طلبا لمزيد من الاسترخاء..

تأمل سجنة (أنبل) بتمعن، ونظر في عينيه الذابلتين.. نظر طويلا جدا..

- «دعونا لوحدنا!».

- «ولكن..».

- «نفذ!».

- «أمرك سيدي!».

ثم خرج المساعد بامتعاض يرافقه الحارسان..

تناول (زايسون) نفسا من السيجارة قبل نفخ الدخان المر كالعلقم في الهواء، وبالعربية نطق قائلًا:

- «السجائر مضرة، لكن القدر يأبى إلا أن أعجل مصرعي بتناولها..».

ونهض متابعا حديثه بهدوء بدا شديد الاستفزاز:

- «كيف كانت رحلتك إلى معتقلنا؟ مريحة بالطبع!».

أطرق (أنبل) برأسه أرضا، فسأله (زايسون) باهتمام:

- «هل أنت واع يا سنور؟ أم أن تلك اللكمات قد حطمت قوة شكيمتك تمامًا؟ لا تخيب ظني بك، فأنا أعلم بأنك أقوى من ذلك!».

بقي (أنبل) على صمته، فتبسم الكولونيل مقربا وجهه من وجه غريمه هامسا:

www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/

- «هل تعرفتني أيها السنور؟».

نظر (أنبل) إلى عينيه الزرقاء والخضراء، وبكلمات متلعثمة قليلا من أثر الضرب تساءل:

- «أين (عمر) و(حنين)؟».

- «بخير! أترى؟ لا ضغينة بيني وبينهما! أنا أريدك أنت فحسب!».

بصق (أنبل) الدم المتدفق داخل فمه، وبصعوبة قال:

- «كيف وصلنا إلى هنا؟ كان من المفترض أن نكون في عالمي..».

- «هذا ما يحدث لدى العبث بحاسوب المصعد، وهو - بالمناسبة- موجود وراء لوحة أزرار أرقامه! أنتم هنا لأني من أراد وجودكم هنا!».

- «أيها الوغد الماكر!».

وسعل قليلا قبل أن يبتلع لعابه الملطخ بالدم متمتما:

- «أين أنا بالضبط؟».

- «في معتقل الشاباك!».

- «أين؟».

أشار (زايسون) إلى شعار ذهبي للطير الجارح الأفعواني المجنح الذي علقه على صدره، حيث نجمة داوود..

- «في إسرائيل!».

- «إسرائيل؟ أتعني أننا في فلسطين؟».

أبعد (زايسون) وجهه ببطء هامسا:

- «لا، نحن في الأرض التي نعرفها باسم الولايات المتحدة الأمريكية!».

- «ماذا؟!».

- «إنه العالم الأمثل يا سنور! العالم الذي اخترته من بين كل العوالم التي زرتها لكي يكون منبع طموحاتي!

هنا لن تجد حربا حقيقية، فقد تحقق السلام منذ مدة طويلة!».

- «ماذا تقصد؟!».

- «إنه تاريخ كامل يختلف تمام الاختلاف عن التاريخ المعلوم لديك! ففي هذا العالم الجميل ستجد أن إسرائيل هي القوة الأولى في العالم بأسره!».

- «لم نختلف كثيرا!».

- «بل ثمة اختلاف! لقد صار الماء سلعة منافسة للنفط، واشتهرت إسرائيل كأكبر الدول المصدرة للمياه في العالم بأسره! والتطور الخطير قفز بها إلى مراحل هامة للغاية..

هنا لا وجود للولايات المتحدة الأمريكية، ولا لأوروبا وآسيا وأفريقيا!

www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/

هنا لا وجود للوطن العربي، ولا وجود للعربي والعربي المسلم تحديدا! أتدرك ما يعنيه هذا؟».

توقع ألا يرد (أنبل)، فأكمل بحماسة منقطعة النظير ويده تعابث خصلات شعره الطويلة:

- «الإبادة!».

رفع (أنبل) وجها خاليا من التعبيرات، فركز (زايسون) بصره عليه قائلًا بانفعال حماسي:

- «الإبادة التامة لكل العرب والمسلمين! مذبحة أسطورية! هولوكوست حقيقي! محارق في طول البلاد وعرضها! حرب عالمية ثالثة حقيقية كان الهدف منها إبادة العرب إبادة تامة!

لا وجود لعربي مسلم واحد على وجه هذه البسيطة يا (أنبل).. إنك وحيد تمامًا في هذا العالم!».

■ ■ ■

- «أنت تهذي!»

التفت بحركة مباغتة إلى (أنبل) قائلًا بهمس منفعل:

- «ولِمَ لا؟ لسنا في واقعنا المعلوم يا عزيزي السنور! هنا تجد الأمر مختلفا تمام الاختلاف، وأنا لا أتحدث عن تغيير طفيف، بل تجسيد كامل متكامل للحلم الإسرائيلي!

ففي عام 1948م كان التاريخ مماثلا للتاريخ الذي نعرفه، ولكن وفي بدايات السبعينات، ظهرت حملة ثلاثية من أمريكا وإسرائيل وبريطانيا هدفها الإغارة على لبنان وسوريا والعراق، ثم تحول الأمر برمته إلى حملة صليبية جديدة هدفها غزو الوطن العربي بأكمله! تخيل معي هذا! حملة كاملة لغزو الوطن العربي وإبادة سكانه من العرب والمسلمين!

وفي التسعينات كانت الحرب في أوجها! وانضمت غالبية أوروبا للحرب العالمية الجديدة لتنال نصيبها من ثروات الوطن العربي، وتحولت إسرائيل إلى ألمانيا النازية في إبادتها لليهود، ولكن في حالتهم كانوا يبيدون العرب بذات الطريقة، بل أجرؤ على القول بأن طرقهم كانت أبشع!

صنعوا حجرات استخدموا فيها الغاز السام! في هذا العالم لم تظهر ألمانيا النازية أبدا! كانت الأفكار خالصة من عند اليهود، وقد راح ضحايا محتشدات غاز «زيكلون بي» المطور ملايين العرب والمسلمين، وعن طريق محارق حقيقية في روسيا والصين تم التخلص من جثثهم!

ولدى دخول إسرائيل الألفية الجديدة، كان العالم قد طهر تمامًا من العرب!»

- «هذا مستحيل أيها المعتوه!»

www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/

- «القصة لم تنته عند ذلك الحد، فقد ظهر قادة إسرائيل الذين عملوا في الظل في أوروبا واستراليا وأمريكا!

وبكل يسر استولوا على كل شيء! وأظهروا قوتهم الحقيقية في أمريكا أولا، حيث استولوا على قوتها وثكناتها العسكرية، ومن ثم ظهروا في أوروبا، بهما فحسب أعلنوا ظهور عرق جديد، عرق شعب الله المختار! العرق اليهودي الذي أتى ليرث الأرض وكل من وما عليها!».

- «إذن فهو عالم جنوني!».

- «أنت الوحيد الذي بإمكانه قول ذلك، أتعلم السبب؟ أتذكر عندما كانت الحكومة الإسرائيلية تسمع بوجود ضابط أو حتى جندي نازي لا يزال على قيد الحياة؟

هذا هو وضعك الحالي!

لكن اطمئن! سرك في بئر عميق! معي!».

- «إذن.. أنا هنا بصفتي..؟».

- «أحد القادة الثلاثة لأخطر ثلاث مجموعات مقاومة متبقية!».

- «إذن فهنالك مقاومة!».

- «بالتأكيد! فبعد الهيمنة الكبرى، ضربت الحكومة الجديدة بيد من حديد كل الأجناس التي لا تمت بصلة لليهود! حولوهم إلى

عبيد لهم في كل أنحاء العالم! وعندها فقط ظهر افتقاد للمسلمين العرب من قبل أصحاب الجنسيات والديانات الأخرى!».

تبسم (أنبل) قائلًا باستهزاء مر:

- «أي أنهم اكتشفوا كم كنا نعاني! وبأننا كنا على حق منذ البداية بشأن اليهود!».

- «لذا قاموا بتكريمكم نوعا! وأسموا حركات المقاومة بـ«غرناطة» و«قرطبة» و«الأندلس»! أسماء آخر أعظم ممالك المسلمين في إسبانيا قبل سقوطها على يد «أرغون» و«قشتالة"!».

- «شاعري حقا!».

- «أفضل من لا شيء! يقال أن قادة المقاومة الثلاثة عرب مسلمون! لكنها مجرد إشاعة لبث الأمل في نفوس البشر من أصحاب الديانات الأخرى! وكل من اعتنق الإسلام محاولا إحياءه من جديد أعدم ومن دون محاكمة.. إنه القانون!».

- «أتدري؟ أظن أن هذا العالم سيروق لي!».

- «وأنا ظننت ذلك! على العموم أيام حركات المقاومة على شفير الانتهاء! فالحمقى لم يحسبوا حساب قوة عملاء هذه الوحدة التي أنشأها الموساد عقب حلول الألفية الجديدة!».

- «أتعني أن لديكم جواسيس داخل تلك الحركات؟».

- «جاسوس واحد داخل حركة واحدة!».

www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/

– «حقا إنه لجهاز خطير!».

– «واصل تهكمك فأنا أستمتع به كثيرا في الواقع!».

– «وأنت؟ ما مكانتك في هذا العالم الكريه بالضبط؟».

– «هذا سر فلا تخبر أحدا! فحين أتيت إلى هنا قمت بقتل وانتحال شخصية ضابط إسرائيلي! وبقدراتي السحرية الخاصة أوهمت الجميع أنني هو!

لقد حققت من المنجزات ما رفعني وبسرعة البرق إلى رتبة كولونيل! إن نجمي هنا ساطع لا حدود لضوئه!».

وتبسم بسمة واسعة قائلًا وهو يجلس على طرف المكتب:

– «والآن حان وقت العمل! نريد فقط معرفة أسماء أفراد التنظيم الذي تقوده وأماكن اختبائهم! بالطبع إذا تعاونت معنا فسنخفف عنك حكم الموت إلى السجن المؤبد! إن أفراد تلك العصابات التي يسمون أنفسهم مقاومة كالزئبق! يصعب الإمساك بهم إن شئت الصدق!».

– «يا لك من أحمق!».

– «أتعلم؟ لدي فكرة لا بأس بها.. لماذا لا تنضم إلينا؟ صدقا! ذكاؤك الذي تتمتع به قد يساعدنا في كشف أوكار أولئك الجرذان وسحقهم عن بكرة أبيهم! إذن فالحل يكمن بعملك لحسابنا! فما قولك؟».

وأمسك بكتفي (أنبل) قائلًا بهمس محتقن:

– «لابد وأنك موافق! لا تضع على نفسك الفرصة من أجلي! وأنا مستعد تمامًا لنسيان فكرة الانتقام لوالدتي الراحلة! سنكون ثنائيا رائعا أنا وأنت! فما قولك؟».

ردَّ عليه بجمود:

– «بالنسبة لي أنت مجرد قاتل مخبول يجب أن ينال جزاءه!».

ثم بصق في وجهه! فتراجع الأخير ضاحكا رغم ذلك، قبل أن يمسح أثر البصقة عن وجهه ومعها دموع الضحك عن مقلتيه، وبدا منبسط الأسارير وهو يقول:

– «إذن فكلكم كذلك؟! لا بأس يا صديقي، أنا كذلك أمقت الخونة!».

ومسح على شعره قبل أن يفتح الباب ويستدعي مساعده من الخارج..

– «كونوا على أهبة الاستعداد لنقله إلى عريني، إلى حجرة الاستجواب! سأستخدم هناك أساليب تجعله يثرثر بلا انقطاع..».

دخل الحارسان ليجذبا (أنبل) بعنف إلى خارج المكتب، فالتفت الضابط المساعد إلى (زايسون) سائلا إياه باهتمام:

– «يبدو عنيدا متيبس الرأس.. أتتوقع الحصول على شيء منه؟».

www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/

ردَّ (زايسون) دون أن يلتفت إليه:

- «لا ضير من المحاولة، كما أنها ستكون مسلية!».

في تلك الأثناء أدخل (أنبل) زنزانة كئيبة تعاني الظلام والرطوبة، وأضاء واحد من الحارسين مصباحا شاحب الضوء بدد قليلا من الظلمة، في حين قام الآخر بإجلاس (أنبل) على مقعد خشبي عتيق..

قيده بالأغلال في رسغيه وقدميه.. وبعد مرور فترة بسيطة من الزمن دخل إلى الزنزانة الكولونيل ومساعده ورجل ثالث متبلد النظرات يحمل صندوقا كبير الحجم وضعه على المائدة العريضة في زاوية الزنزانة، ثم وقف ينتظر أوامره كصخرة جامدة..

خلع (زايسون) بدلته العسكرية قائلًا وهو يناولها لمساعده:

- «هنا أنا الملك وهؤلاء الحاشية، هل راقت لك الصورة؟».

قام بغسل يديه من صنبور للمياه وسيجارته في فمه، ثم فتح الصندوق الذي يرقد على المائدة، وابتدأ بإفراغ محتوياته قائلًا كمن يخاطب نفسه:

- «لو أنك بقيت تهتم بشؤونك! لو بقيت تساعد والدتك العجوز في حلب البقرة، وأعنت والدك المريض في الحقل كي تواصلوا العيش بدلا من لعب دور الثائر! لماذا تقحم نفسك في لعبة خاسرة؟

ربما لو طلبت الصفح مني وقلت بأنك أخطأت! ربما عندها سأعفو عنك وعن طيب خاطر أيضًا! ما قولك؟ إن الحياة حافلة أحيانا بالمفاجآت السارة، والشعور بوجود طوق للنجاة شعور لن أحرمك منه!».

والتفت إليه قائلًا بتلهف:

- «أجل! اطلب الصفح مني وسأسامحك في الحال! قل بأنك قد أخطأت!».

ثم قبض فجأة على شعر (أنبل) بعنف وهو يصرخ ثائرا:

- «لن تحتمل وطأة التعذيب أبدا! ستجثو على ركبتيك طلبا للرحمة، وسيكون منظرا مهينا فأنا أكره الجبناء!».

أفلته لاهثا لبرهة قبل استعادته بسمته، قائلًا وهو يستدير للعبث بمحتوى الصندوق:

- «كنت واثقا من اختيارك الطريق الأصعب! هنيئا لك! وأرجو ألا تخذلني!

فكا قيوده حالا..».

أذعن حراسه للأمر على الفور، أما (زايسون) فقد رفع وجهه للسقف كما لو كان يحاول تذكر أمر قد نسيه..

ولم يشعر (أنبل) إلا وقد انقض عليه (زايسون) بحبل أخفاه بين يديه وطوق به عنقه!

www.sa7eralkutub.com

www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/

كانت التفاتته مفاجئة، وانتفض (أنبل) وقد تحشرج صوته محاولا النهوض، لكن (زايسون) زاد من قوة ضغطه للحبل، فاعتصره أكثر وهو يقول من بين أسنانه للجنديين:

- «قيداه إلى ذلك العامود حالا! تبا! إنه جامح كالفحل البري!».

وواصل اعتصار الحبل بقسوة أشد وقد ارتعد بدنه من فرط الانتشاء السادي الذي عربد داخل أوتار جهازه العصبي، في حين اخذ (أنبل) يركل الهواء بساقيه ووجهه محتقن بشدة وقد شارف على الهلاك..

دفعه (زايسون) بمعونة الجنديان إلى العامود الخشبي، فقيدوه بسرعة متجاهلين مقاومته المستميتة حتى فرغوا، عندها فقط أفلته (زايسون) وهو يتراجع للوراء لاهثا في خلاص:

- «مثل ثيران حلبة الروديو!».

ومسح أنفه وهو يردف:

- «مجرد تذكار بسيط!».

ثم تبسم مضيفا وهو يلهث منتشيا ولسانه يلعق شفته السفلى:

- «المرحلة الأولى ستكون الجلد بالسوط معدني الأطراف، وهي أتفه وسائلي، مجرد فاتح للشهية لا أكثر!».

وبإشارة منه تقدم الرجل المتبلد ليمزق قميص (أنبل) كاشفا عن ظهره..

دنا (زايسون) من (أنبل)، ووضع سبابته في منتصف ظهره العاري متمتما بحقد:

- «آخر عربي مسلم وقع في قبضتهم كان من ضمن المقاومة.. الأوغاد كانوا كالأحجار الصماء، لا يمكن انتزاع كلمة منهم حتى ولو أشعلت النار في أجسادهم المسلوخة! أتدري لماذا؟».

وقبض بيده على فم (أنبل)، فاعتصره حتى أجبره على فتحه قائلًا بحدة:

- «لأنهم كانوا يقطعون ألسنتهم حتى لا ينطقوا بكلمة!».

وابتسم مردفا وبصره في اتساع:

- «أخبرتك بأنني سأجعلك تتعذب كثيرا، وهأنذا عند وعدي! اجلده يا (بيرد) بالسوط المعدني، لكن حذار من أن يموت.. لدي هدية له متى رجعت!».

وخرج من الزنزانة بصحبة قائد المعتقل، فتناول (بيرد) السوط هامسا ببسمة بدت على ثغره كالسراب:

- «مرحبا بك!».

وبكل قوته هوى بالسوط على ظهر (أنبل) بأعنف ضربة قدر عليها، فكان الألم رهيبا إلى حد الذهول، دار رأس (أنبل) له وقد

www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/

شعر بشرايينه تتمزق بأسرها.. أطبق أسنانه وكزّ عليها بكل ما أوتي من قوة حتى كاد يحطمها، عضلاته تتقلص مستميتة محاولة تحمل الجلدة المروعة، لكن المجند عاجله بجلدة ثانية في موضع آخر من ظهره، وألحق بها الثالثة، ثم الرابعة فالخامسة..

ضرب في كل شبر من ظهره، الذي تحول الآن إلى خريطة دموية موضحة للسادية والعنف، وشعر جلاده ببعض التعب في ذراعه، فأنزلها أخيرا قائلًا لضحيته المتهالكة بتهكم:

- «يا لك من حيوان! ألم تصرخ بعد؟».

وهنا انتصبت قامته مؤديا التحية العسكرية مع الحارسين، عندما دخل الكولونيل وقائد المعتقل الزنزانة من جديد..

نظر (زايسون) للجسد الدامي المنهار قائلًا باستهزاء:

- «هل اعترف الأسير بشيء؟».
- «لا سيدي..».
- «هل صرخ على الأقل؟».
- «لا سيدي..».
- «أعيدوه إلى زنزانته إذن، فلا فائدة ترجى منه..».

قام الجنديان بفك قيوده، فترنح جسم المسكين، وكاد يسقط لولا إمساكهما بذراعيه، وسحبا سحباه على الممر القذر مسافة طويلة لإرجاعه..

زنزانة نتنة ومنفردة تقبع في العتمة الدامسة، ألقي (أنبل) داخلها كشوال الطحين، وأوصد الباب عليه بإحكام، فسعل بضع مرات محاولا النهوض لكي يسند ظهره للجدار حتى نجح في ذلك، كان عاجزا عن فتح عينيه الذابلتين المجهدتين، مع مرور الوقت تمكن من فتحهما ببطء فلم يبصر شيئا.. ظن بادئ الأمر أنه قد فقد بصره، لكنهما اعتادتا الظلمة بعد مرور لحظات حتى باتتا تميزان كل شيء..

اشتم رائحة كرائحة القيء، ثمة صحن وسكين تآكلهما الصدأ بجواره، فتناول السكين وشرع يقلبه بين أصابعه.. تمنى فرصة، فرصة واحدة فقط يغرز بها هذا المعدن الفاسد في رقبة ذلك اللعين المجنون عاشق الذبح والتعذيب..

تحرك الجوع في أحشائه ليقرضها بلا رحمة، فتذكر أنه بلا طعام أو شراب منذ مدة الله وحده أعلم بها، ومن الواضح ألا نية لدى جنود السفاح لإطعامه ولو قمامة، ومع مرور الوقت شعر أنه سيهلك من الجوع، لولا إبصاره ذلك الجرذ الذي خرج من شق في الجدار، تحرك ثم توقف، ثم تحرك حتى بات قريبا جدا منه..

فجأة هوى بالسكين على عنق الجرذ فأصابه في مقتل، ثم رفعه من ذيله إلى أسنانه، وشرع بالتهامه متلهفا ومشمئزا في الوقت نفسه وبطريقة ممزقة لنياط الأفئدة..

بعدما فرغ من وجبته المقززة تلفت حوله، فلمح خطوطا بحد السكين محفورة على الجدار المواجه له، مكونة بعسر كلمات تقرأ:

www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/

I’ m going to die like any rotten rat

تحسس الحفر بأنامله صامتًا..

لم يدر متى نام، ولم يدر متى استيقظ..

ظن بادئ الأمر أنه مجرد كابوس لما أفاق على صوت باب زنزانته يفتح بغتة، ليدخل المدعو (بيرد)، يصحبه مجند آخر ضخم الجثة نافر العروق أصلع الرأس، شفته السفلى متدلية كاشفة عن أسنانه السفلية المتفرقة وكأنها ممزقة..

قام ذلك الثور بسحب (أنبل) من ساقيه، وبقسوة جره للخارج على ظهره المتسلخ متجاهلا أنين الألم الذي انبعث منه..

في الخارج كان (زايسون) بالانتظار ويداه وراء ظهره.. ساروا في الممر المظلم باستخدام كشاف بحوزة (بيرد)..

بلغوا بابا حديديا ترعرع به الصدأ، فمدَّ (بيرد) يده دافعا إياه لينفتح ببطء.. المكان أسوأ بمراحل من الزنزانة، فالجو خانق والرطوبة شديدة، وبلغت رائحة عضوية خبيثة لا تطاق أنف (أنبل)..

أشار (زايسون) إلى حفرة على الأرض مغلقة بغطاء معدني قائلًا:

- «أتدري أن أسوأ كوابيسك على الإطلاق كامنة داخل هذه الحفرة؟

هل سمعت بالكوابيس؟ إنها التي يراها المرء أثناء نومه! أتذكر النوم يا سنور؟».

كان وجه (أنبل) مطرقا للأرض من فرط الألم والإعياء، فلم يسمع ما قاله (زايسون) الذي قبض على شعره وجذبه رافعا رأسه للأعلى وهو يهمس له:

- «انظر إليّ حين أخاطبك!».

فتح (أنبل) عينيه لينظر في عيني الكولونيل، الذي ابتسم قائلا وهو يضع قدمه على غطاء الحفرة:

- «ستبقى داخل هذه الحفرة حتى تتعفن كالجرذ وتموت..».

وأومأ برأسه لبيرد، فسارع الأخير بفتح الغطاء المعدني الثقيل..

أفعمت الرائحة البشعة أنوفهم بشكل أقوى، في حين قرب المجند سجينه من الحفرة قبل دفعه داخلها، ورمى (بيرد) بكشافه كذلك قائلًا بجذل:

- «أحلاما سعيدة!».

كانت مسافة الهبوط قصيرة بعض الشيء، وشعر (أنبل) ببدنه يغوص حتى الصدر في بركة لزجة ملأى بأجساد صلبة، فأصيب بهلع لا حدود له، وبصق بعضا مما دخل فمه من ذلك السائل اللزج الكريه ليكتشف أنه دم!

أنار له الكشاف أرجاء الحفرة الضيقة، فاكتشف الفاجعة المروعة..

fb.com/Sa7er.Elkotob/
www.sa7eralkutub.com

www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/

أطلق المسكين أعتى صرخاته وهو يخوض في بركة الدماء، وقد تبين له ماهية تلك الأجساد التي اصطدم بها.. لقد كانت جثث ضحايا الجزار! وجوه أطل الموت بأبشع صوره من بقايا ملامحها، بعضها شبه متحلل والبعض الآخر مبقور البطن مندلق الأحشاء أو مبتور الأطراف، وأكثرها كانت ذات وجوه مقتلعة الأعين مجدوعة الأنوف وحتى الآذان!

صرخ (أنبل) وصرخ، وانتحب بحرقة أليمة وقد انهارت أعصابه أخيرا..

ثم ضحك! ضحك وضحك متأملا الوجوه التي شوهها الوحش، ورددت الجدران صدى ضحكه الأليم..

أراد فقدان الوعي، تمناه من سويداء قلبه، لكن اللعنة السوداء التي أنزلتها والدة اللعين المشعوذة اللعينة عليه كانت تقضي بألا ينام أو يفقد الوعي أبدا!

ورويدا رويدا غاص الكشاف في البركة الدموية وبين الجثث، حتى ساد الظلام أرجاء الحفرة تمامًا..

26

تلفتت (حنين) من حولها قائلة بعصبية لا حدود لها:

- «هذه الأجواء الصاخبة لا تناسبني بتاتا!».

هتف (عمر) منزعجا:

- «وأنا الذي يعشق الصخب والرقص؟ أنا لا أجيد الرقص حتى!

علينا بالتحمل وإلا فقدنا السنور للأبد..».

في تلك اللحظة ظهر لهما ((إتيوب)).. اقترب منهما قبل أن يوجه كلامه لعمر مراقبا ملامح وجه (حنين):

- «أهلا بكما في ملهى (مالبور) الليلي، اسمحا لي أن أعرض عليكما..».

- «شكرا، لا نريد مشروبات كحولية..».

- «لدينا مياه غازية..».

www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/

- «ستفي بالغرض..».

- «ستشربانها بضيافة صاحب الملهى السيد (مالبور)، إنه بانتظارنا في مكتبه بالأعلى..».

- «لا شكرا، سنشربها هنا..».

- «أنا مُصر!».

وأراهما سلاحه القابع في جراب جلدي خفية، فتنهد (عمر) قائلًا:

- «وهو كذلك..».

وهكذا نهضا برفقة الرجل القوي، فصعدا معه السلالم المعدنية حتى بلغا مكتب مضيفهما، الذي استقبلهما بابتسامة روتينية لدى دخولهما عليه..

- «مرحبا بكما في ملهاي! هل راق لكما؟».

قالت (حنين) وهي تتأمل الحسناء التي ترمقها بنظرات مزعجة:

- «لا بأس به..».

ومدَّ (عمر) يده طلبا للمصافحة قائلًا:

- «شكرا لك على حسن الضيافة يا سيد (مالبور)، أدعى (عمر)، وهذه (حنين)، وقد وصلنا قبل فترة وجيزة إلى هنا..».

غمرته الحيرة لدى ملاحظته وجوه الثلاثة الممتقعة، وبنبرة صوت حانقة تساءل (مالبور):

- «أهي مزحة سخيفة؟».

وبانفعال غاضب هتفت الفتاة:

- «هذه وقاحة صريحة!».

- «ماذا هنالك؟ هل أخطأت في شيء؟».

وهنا نطقت (حنين) بالعربية قائلة بخوف:

- «تريث يا (عمر)، لربما كان وجود العرب هنا خطر! ففي عالمي تهمة الإرهاب ملتصقة بكل عربي كالغراء، وهؤلاء أناس أجانب!».

- «إرهاب؟! هل حكموا علي بالإرهاب لكوني عربيا؟! ما هذا السخف؟».

هبَّ (مالبور) واقفا وهو يقول بذهول:

- «أنتما.. تتحدثان العربية!».

- «يا للهول! لقد ضعنا!».

وجمت (حنين) لما اكتشفت فهم الرجل للغتهما، فأسرعت تقول ملوحة بكلتا يديها:

- «تريث قليلا، نحن جئنا في سلام!».

أخرجت الفتاة مسدسا فضيا صغيرا أطبقته بصدغ (حنين) صائحة:

- «هذه خدعة دنيئة من (زايسون)!».

www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/

- «أنجدني يا (عمر)!!».

تقدم (عمر) باتجاههما صائحا:

- «كفوا عن الحماقة! نحن مجرد..».

تسمر في مكانه عندما حدق في ثقب مسدس (إتيوب)، في حين عاودت الفتاة الصياح بغضب:

- «أيتها الجاسوسة الوقحة!».

- «(فلير)!!».

ترددت صيحة (مالبور) المجلجلة، ومن ثم رفع أصابع يده المرتعدة هامسا:

- «اهدئي أرجوك! دعينا نفهم الحكاية بالضبط!».

- «إنهما يحاولان خداعنا يا (مالبور)! ألم تفهم ذلك بعد؟!».

تجاهلها (مالبور) تمامًا وهو يسأل (عمر) بغلظة:

- «أخبراني ما الذي أتى بكما إلى هذا المكان بالذات..».

- «لقد تم إلقاء القبض علينا اليوم! وقاموا باحتجاز صديقنا لديهم وإطلاق سراحي أنا و(حنين)، ثم أعطونا عنوان هذا الملهى، وطلبوا منا زيارته والسؤال عمن يدعى (مالبور) وإلا أعدموا رفيقنا المحتجز!».

- «أهذا كل شيء؟ أتتوقع منا تصديق هذا الهراء؟».

- «إنها الحقيقة! أقسم بالله العظيم أنها كذلك!».

هتف (إتيوب) محتدا:

- «دعنا نقتلهما يا (مالبور)! لا تسمح لهما بخداعك!».

- «انتظر قليلا..».

ونظر إلى (عمر) بحدقتين خاويتين قبل أن يهمس له:

- «ماذا قلت؟».

- «قلت أنهم قد قبضوا علينا! حتى أنهم لم يطلعونا على حقيقتهم! ربما كانوا من الحكومة..».

- لا.. لقد قلت: «أقسم بالله العظيم"!

تأمله (عمر) مندهشا، وللمرة الأولى اكتشف نطقه لتلك العبارة باللغة العربية بدل الانجليزية!

تزايد اهتمام (مالبور) وهو يسأله:

- «قل لي.. أأنت عربي مسلم؟».

- «أجل! لِمَ كل هذا الاندهاش؟».

- «رباه!».

قال (إتيوب) بعصبية:

- «إنها مجرد خدعة!».

تبدى الحبور على وجه (مالبور)، وتألقت عيناه هامسا:

www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/

- «لا أظن! هذا الشاب كان مقبلا على الهلاك! وقد نطق بتلك العبارة الرائعة بشكل عفوي صادق!».

قالت (فلير) بريبة:

- «إنهم الصهاينة يا (مالبور)! أخباث دهاة كالثعالب! لابد وأنهم دربوه على تلك اللحظة! وأراهن بحياتي على ذلك!».

- «يجب التيقن من أمرهما، فإن كان صحيحا ستكون معجزة..».

- «وإن لم يكن؟».

- «عندئذ..».

وفي تلك اللحظة، قاطعه صوت لأعيرة نارية تصاعد بعنف من وسط الملهى!

■ ■ ■

دخل الملهى شاب هزيل يرافقه عملاق..

يرتديان ثيابا سوداء أنيقة وربطات عنق حريرية وقفازات جلدية..

الرجل طويل الشعر مشذب اللحية، يرتدي نظارات سوداء على شكل حلقة محيطة بالوجه والرأس.. أما الشاب فكان وسيما يضع قرطا فضيا في أذنه اليسرى، وشعره ثائر دموي!

اقتربا من طاولة رقد عليها زبون سكير كان يدفن وجهه داخل ذراعيه المطوقتين على سطح الطاولة غائبا في عالم آخر.. فجلس الشاب قبالته قبل أن يضع يده على خده قائلًا دون أن يلتفت للزبون:

- «أين هم؟»

- «فوق!»

- «توف!».

وتناول كأسا صب داخلها من زجاجة السكير الذي يتظاهر أنه كذلك، عندما فتح باب الملهى بعنف مباغت، ودلف رجلان عريضان توقفا أمام طاولته قبل أن يصيح أحدهما بغلظة:

- «أين الحاجب الذي كان في الخارج؟».

- «لا أعلم!».

- «كاذب! ماذا فعلت به؟!».

- «كان يعترض طريقي! والآن لم يعد يفعل!».

ورفع يده بالكأس باسما، وارتشف منها..

- «أيها الصعلوك!».

ووضع يده الثقيلة على كتف الشاب، لكن الأخير باغته بالزجاجة، فهشمها على وجهه..

وفي الثانية التالية، رفع كل واحد منهما سلاحه في الوجوه، وانبثقت الرصاصات بغزارة مياه الأمطار!

www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/

ظهر حراس ورجال الملهى من كل حدب وصوب رافعين أسلحتهم، فصوب الشاب سلاحه الأوتوماتيكي ضاحكا..

- «يا لهم من هواة سذج!».

وتحولت ساحة الرقص إلى ساحة وغى حقيقية! ثم استحالت مذبحة دموية راح ضحيتها رجال الملهى الذين تساقطوا كالذباب!

وفي الأعلى رمق (إتيوب) المعركة الدائرة صائحا بهلع:

- «(بالتزار) و(نوكترون)!».

- «حضر خدام الموت إذن!».

قالتها (فلير) وهي تفتح خزنة سرية من وراء إحدى اللوحات عن طريق ضغط أزرار أرقامها، ومن داخلها جذبت ذراعا معدنية جعلت جزءًا من الجدار يكشف عن ممر خفي..

- «بسرعة! فهما لا يطلقان طلقة واحدة في غير محلها، إنهما من سلاح القناصة!».

أسرع كل من (حنين) و(عمر) بدخول الممر، وتبعهما (مالبور) ومن ورائه (فلير) و(إتيوب) الذي قال:

- «لقد كشفوا غطاءنا أخيرا!».

قالت (فلير) بنبرة قاسية وبصرها معلق بالوافدين الجديدين:

- «وعما قريب سيكشفون الحركات الثلاث وقادتها!».

والتفتت إلى (مالبور) مضيفة:

- «والسبب خدعة مكشوفة!».

لكن (مالبور) تجاهلها وهو يقول مخاطبا (عمر):

- «عما قريب سنكون خارج الملهى..».

همست (حنين) له وهي تجاهد في السير بسبب خطواتها العرجاء:

- «شكرا لك!».

- «أنا لا أصنع ذلك لأجلكما، بل لأجل المستقبل!».

وعقب فترة، هبطا سلالم معدنية مؤدية للخارج، حيث كانت سيارتان بانتظارهم..

ركب (عمر) و(حنين) مع (مالبور) في السيارة الأولى، واستقل (إتيوب) و(فلير) الثانية قبل انطلاقتهما المندفعة والسريعة بعيدا عن المكان..

وبعد ثوان ظهر (بالتزار) ملوحا بسلاحه كمضرب الجولف! وتبعه (نوكترون) الذي رفع يده بهاتف نقال قال عبره بكلمات رخيمة:

- «لقد هربوا..».

ومن ثم أضاف متأملا ابتعادهم:

- «والخطة تسير على خير ما يرام!».

www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/

فـي تلـك الأثناء كان (مالبـور) يضغط بقدمه دواسـة البنزين بكل مـا أوتي من قوة، فصاحت به (حنين) بذعر من الخلف وهي تسـارع بربط حزام الأمان:

- «خفف السرعة أرجوك!».

- «لا تقلقي، فأنا سائق ممتاز!».

- «إلى أين تأخذنا الآن؟».

- «إلى مكان آمن بالطبع!».

نظـر (عمر) إلـى (مالبور) وهو يسـأله باهتمـام دون اكتراثه لتلك السرعة الجنونية:

- «ماذا يحدث هنا بالضبط يا (مالبور)؟».

- «ماذا تعني؟».

- «بداية، من اللذين كانا في الملهى؟ لحساب من يعملان؟».

- «إنهما يتبعان (الدياسبورا)!».

- «من؟».

أسرعت (حنين) تجيب محاولة الكف عن الاهتزاز:

- «الدياسـبورا هـو أدب المنفى والشـتات لدى اليهـود! ماذا تعني بحق الله؟!».

- «بـل ما الـذي تعنينه أنـت؟ عـن أي أدب وهـراء تتحدثين؟ الدياسـبورا هـو جهـاز نشـط للاغتيـالات، قـام بانشـائه الكولونيـل (جيروم زايسون) عقب الألفية الجديدة مباشرة!».

- «ومن يكون (زايسون) هذا؟ تتحدثون عنه وكأنه شيطان من نوع ما!».

- «ربمـا كانـت مقابلة الشـيطان أكثـر رحمة! حتى الشـياطين تهاب (زايسون)!».

- «إلى هذه الدرجة؟».

وشـردت (حنين) ببصرها من خـلال النافذة مفكـرة بأنبل، الذي يجلس الآن في ضيافة رجل كذلك الرجل الرهيب..

قطعت السيارتان شوطا طويلا حتى بلغتا مستودعا قديما يحيط به حاجز من الشباك المعدنية، ويحرسه كلب أسود شرس لا يكاد يكف عن النباح، لكنه مقيد إلى عامود الكهرباء لحسن الحظ..

اتجهـوا جميعهـم إلـى بوابة المسـتودع، حيث اسـتقبلهم شـاب بوهيمي الشعر والذقن، يرتدي نظارات طبية دقيقة..

كان المكان عبارة عن مخزن عامر بلوحات الإعلانات المرسومة، بعضها مكتمل والبعض الآخر لا..

أسرع بفتح بوابة مستودعه قائلًا لمالبور:

- «أهلا بك في المرسم!».

www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/

- «الغطاء انكشف..».

- «هلم للداخل أنت ومن معك..».

دلفوا جميعهم قبل أن يغلق الرسام البوابة، ويلتفت إليهم قائلًا بابتسامة واجمة:

- «العملاء يتوغلون أكثر فأكثر، هذا ليس جيدا..».

- «لا عليك، ثمة حلول دائما..».

- «من هذين؟».

- «إنها مفاجأة!».

أسرعت (فلير) تقول بعصبية:

- «ليس الآن! علينا بتنبيشهما بحثا عن حشرات!».

- «حشرات؟!».

قالتها (حنين) مستنكرة، فهمس (عمر) لها:

- «تقصد أجهزة تنصت!».

- «آه!».

جرَّ الرسام لوحا ضخما، يبدو كشاشة عرض على عجلات وتخرج منه أسلاك شائكة، وبتؤدة قال مخاطبا (عمر) و(حنين):

- «اقتربا مني رجاء..».

فعلا كما أمر، فتناول جهازا يشابه كاشف الأسلحة مشغلا اللوح، وباستخدامه شرع يمرره على جسميهما شبرا شبرا قبل ظهورهما على اللوح كصورتين هيكليتين رسمهما حاسوب خاص جلس (إتيوب) أمام شاشته..

- «بنظافة الأحصنة!».

تبسم (عمر) متسائلا:

- «وهل الأحصنة نظيفة؟».

رمقه الرسام بنظرة قاسية قبل أن يرد:

- «دائما!».

ارتفع في تلك اللحظة صوت أجش لكنه لأنثى..

- «من عندك يا (ماني)؟».

- «زوار يا جدتي!».

- «آه! أيودون بعض القهوة؟».

نظر إليهم متسائلا بسحنة عابسة:

- «أترغبون بالقهوة؟».

أرجح الجميع رؤوسهم، فقد كانت ليلة صعبة..

- «أجل.. لستة أشخاص..».

- «بسكر أم بدون؟».

www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/

- «بسكر..».

- «بالقشدة أم بدون؟».

نفخ البوهيمي الهواء قائلًا بنفاد صبر:

- «بالقشدة!».

ولم يعترض أحد فقد كان هذا يناسبهم جميعا..

جلس (مالبور) على الأريكة القريبة قائلًا بصوت منهك:

- «علينا الاتصال بالقادة بأسرع وقت ممكن..».

ردَّ عليه (ماني):

- «كل شيء سيتحقق بأوانه..».

قالت (فلير) محتدة وهي تراقب (عمر) و(حنين) واضعة قبضتها اليمنى عند خاصرتها:

- «كل الأمور اندلعت دفعة واحدة لدى وصولهما إلى الملهى!».

هزَّت (حنين) رأسها هامسة لعمر:

- «هذه الحمقاء لن تهدأ قبل قتلنا أنا وأنت!».

ارتفع صوت الجدة في تلك اللحظة:

- «(ماني)! التلفاز!».

سارع البوهيمي بتشغيل شاشة حاسوبه، فظهرت مذيعة حسناء تتحدث العبرية، وقد ظهرت ترجمة باللغة الانجليزية أسفل الشاشة:

- «أعدم اليوم في تمام الساعة الواحدة بعد منتصف الليل عدد من المنتمين لحركتي «غرناطة» و«قرطبة»، وقد اعترف الجناة بارتكاب عملية التخريب التي وقعت في فندق «هاأفيف»، والتي راح ضحيتها عدد من اليهود..».

قال (اتيوب) بأسى:

- «فليحفظ الرب أرواحهم في السماء.. كانوا شجعانا!».

همست (حنين) لعمر مرة أخرى:

- «يا للطرافة! في عالمنا يعتبرون مرتكب مثل تلك العملية إرهابي!».

- «نحن الآن مع المقاومة، وفي عالم مخالف لعالمك!».

وتابعت المذيعة التي أعلنت نقل بث حي ومباشر لكلمة سيلقيها رئيس الوزراء الإسرائيلي (يهوذا هاناسي)..

قال (مالبور) واضعا إبهامه أسفل شفته السفلى:

- «الطاغية سيتحدث عن القادة وحتمية تصفيتهم..».

وبعد قليل ظهرت على الشاشة منصة ارتسم على الجدار الخلفي لها شعار مضخم للطير الجارح إياه، وقد وقف أمام ميكروفوناتها المتعددة رجل كث اللحية أعور العين اليسرى..

www.sa7eralkutub.com

www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/

قال بصوت رخيم:

- «دعونا نستهل هذه الكلمة بكوداشيم على أرواح قتلانا الشجعان والأحبة..».

ووضع الطاقية على مؤخر رأسه مبتدئا الصلاة..

- «صلاة الغراب على الجثث التي نخرها بمنقاره!».

التفتوا جميعهم ليجدوا الجدة تدنو حاملة القهوة في صينية عريضة بدت أكبر حجما منها، فقد كانت ضئيلة ذات قامة قصيرة، وجهها متغضن وشعرها استحال ثلجا..

تناولوا منها الأقداح شاكرين، في حين دمدمت بغضب وهي تتأمل صورة الرجل في الشاشة:

- «فليرحمنا الرب! لقد أسأنا للمسلمين كثيرا، المساكين نعتناهم بأبشع النعوت، واتهمناهم بأبشع الاتهامات.. دافعنا عن أولاد الأوباش الخنازير هؤلاء حتى استحوذوا على كل شيء وجعلوا منا عبيدا لهم!».

وقبضت على صليب فضي معلق على جيدها بقبضة معروقة..

- «منذ مقتل زوجي وأنا أعيش في كنف حفيدي (ماني).. قتله الحقراء لأنه كتب عنهم في إحدى الصحف، كان نقدا بسيطا يتحدث عن المساواة وحقوق الإنسان، فجن جنونهم..».

وتبسمت ابتسامة حزينة وهي تقول:

- «كنت لا أزال شابة عندما اعدموا آخر قديسة مسلمة على وجه الأرض! أتدرون كيف أعدمها الأوباش؟».

قال (ماني) في لامبالاة وهو يشرب قهوته على مهل:

- «أخبرتنا مرات عديدة بتلك القصة يا جدتي!».

لكنها تجاهلته مردفة بانفعال جارف:

- «لقد أوثقوها إلى عامود وقاموا بإحراقها! تمامًا مثل (جان دارك)!

كانت البلاد كئيبة وحزينة في ذلك اليوم.. لم يكن المرض والموت مثل الآن.. كان ذلك قبل سنوات بعدد شعر الرأس، في يونيو، والليلة كانت ماطرة، فصنع الأوباش مظلة فوق جسد المسكينة كي لا يطفئ المطر المحرقة! كيف أتذكر؟ لأني اعتدت تدوين مذكراتي مذ كنت صبية صغيرة، والحقيقة أن ما كتبته لهو أقرب إلى كتابات ربان السفينة التي شارفت على الغرق.. أرضنا شارفت على الفناء! والرسالة التي سجلتها في آخر ورقة من مفكرتي بمثابة رسالة للأجيال القادمة، التي ستعيش على رمادنا وبقايانا التي خلفتها محارق اليهود المعدة خصيصا لأجلنا!».

وهنا أنهى رئيس الوزراء اليهودي صلاته، فابتدأ إلقاء خطابه..

www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/

- «يسرني إعلام جميع مواطنينا الأعزاء بتمكننا أخيرا من إلقاء القبض على قائد واحدة من أخطر المنظمات الإرهابية الثلاث، تمت العملية الناجحة بقيادة الكولونيل (جيروم زايسون)..

وسيتم إعدام القائد الشهير بلقب السنور غدا فجرا في تمام الساعة الخامسة ومن دون محاكمة، ليكون عبرة لسواه من المخربين الذين يحاولون اغتيال الأطفال والنساء، وزرع الرعب في قلوب الأبرياء..».

شهق (عمر)، وامتقع وجه (حنين) وهي تتهاوى على مقعدها..

في حين قالت العجوز بنبرة حزينة وهي تمشي بخطى كالزحف راجعة أدراجها للمطبخ:

- «سيحرقونه.. تمامًا مثل (جان دارك)!».

27

انفتح غطاء الحفرة ليطل وجه (بيرد) القميء قائلًا بنبرة استهزاء:

- «بوكر توف! أرى أنك قد ارتحت في نومك!».

وابتعد عن مجال رؤيته ليدخله الجندي العملاق الذي مدَّ ذراعيه المزخرفتين بالعروق لينتشل جسد (أنبل)، فأحس الأخير بآلام مروعة في كل شبر من جسده، لكن ضعفه منعه من الصراخ ألما، وسمع متهالكا صوت (بيرد) يهتف مشمئزا:

- «اللعنة! رائحته أنتن من الظربان! احمله..».

حمله المجند الثور على ظهره، كان (أنبل) غارقا بالدماء النتنة.. وسار المجند وراء (بيرد) وكأنه رجل كهف يحمل وجبة الغداء..

في الطريق تأمل (بيرد) جسد (أنبل) قائلًا له باستهزاء:

- «تحمل يا بني، فقريبا سنريحك من آلامك!».

بلغوا حمامات المعتقل القذرة، فأشار (بيرد) للثور قائلًا له:

- «اغسله جيدا يا (عزرا)..».

www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/

كانـت الرائحـة مقيتـة، والمغاسـل كلهـا مـلأى بالميـاه الملوثـة بالشـحوم، فقـام (عزرا) بدفـع رأس (أنبـل) إلى داخـل إحدى تلك المغاسل، قائلًا ببلاهة المعتوهين:

- «الرجل أمرني بغسلك!».

قاوم البائس محاولا إخراج رأسـه من المياه القذرة، لكن الإنهاك كان قـد نـال منه تمامًا، كمـا أن قوة الرجل بدت كمقـدرة البغل على حمل الأثقال الهائلة..

وحيـن رفع رأسـه أخيرا عـن طريق جذب شـعره بهمجية، ناضل (أنبـل) باسـتماتة لالتقـاط الهـواء وهـو يلهـث دونمـا توقـف، لكن الشـيطان لم يمهله، بل دفـع بوجهه داخل المياه، وأبقـاه داخلها مدة أطول قبل رفعه مجددا مكررا ببلادة:

- «الرجل أمرني بغسلك!».

هكذا اسـتمر المجند الإسـرائيلي في عمله البشع لفترة، ثم انتهى عندمـا ألقـاه أرضـا، وتناول خرطـوم الميـاه البـاردة كالثلـج، ففتح الصنبور وطفق ينظف بدن (أنبل) الذي لم يكف عن الشهيق المرتاع للحظة!

بعـد إتمام عمله قـام بحمل (أنبـل) إلى (بيرد)، الذي اسـتقبلهما قائلًا لعزرا:

- «عمل جيد..».

بعد ذلك قاما بتعريته من ثيابه وإلباسه بيجامة بالية ذات لون أزرق سماوي تفوح منها رائحة العرق.. ومن ثم سارا حتى الخارج، حيث المعتقل الذي اكتظ بالمسـاجين الذين كلفوا بأعمال شـاقة كتحطيم الصخـور بالمعـاول وبنـاء السـياج.. توقفـوا جميعهـم عـن مزاولة أعمالهم متأملين المشـهد، بـدوا كاليرقات الخانعـة لمناقير الطيور، أرواح ذليلة ووجوه منكسرة.. الجميع يرتدي ذات البيجامات البالية ذات اللون الموحد.. والكل يحمل رقما من جهة القلب..

وفـي زنزانة فتح (بيـرد) بابها بواحـدة من المفاتيـح التي يحملها رمى بجسـد (أنبل).. ومسح المجند الوحش أنفه بطريقة استفزازية، ثم غادر تاركا (بيرد) يقول للجسد المكوم كالحطام:

- «ليـس ذنبي أن يتقرر تأجيل موعد إعدامـك للغد، إن نظرية الكولونيل أنك سـتعاود التفكير في العرض الذي قدمه لك، أما عني فأتمنى حقيقة أن تظل مصرا على موقفك المتعنت، حتى يصير عنقك من نصيب حبل المشنقة التي نصبت لأمثالك من المخربين!».

ثم أوصد الباب بالمفتاح..

كان شـعور (أنبـل) بالظمأ فـي جوفه كجفـاف صحـراء قاحلة.. تمنى لو أنه شـرب من مياه المغسـلة الملوثة بالشـحوم حين سنحت له الفرصة!

■ ■ ■

www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/

توقفت السيارة السوداء أمام مبنى ضخم بدا كالفنادق الفاخرة.. وترجل منها الرجال الثلاثة قبل تحركهم للداخل..

كان المكان يعج برجال الأمن الذين تفحصوا الزوار بأجهزة المسح الحديثة، ورغم وجود أسلحة بحوزة ثلاثتهم إلا أنهم تلقوا أوامر ألا بأس بإدخالها معهم..

قال (زايسون) لبالتزار متأملا تماثيل النساء المثيرة في كل زاوية:

- «يبدو وأن فخامته زير نساء من الدرجة الأولى!»

ابتسم (بالتزار) دون نطقه بحرف..

ساروا حتى توقفوا أمام مصعد انفتح بابه لهم من دون ضغط أية أزرار، فولجوه قبل إقفال بابه وصعوده بهم تلقائيا.. عقب ثوان توقف وانفتح ليخرجوا إلى ممر طويل ساروا فيه حتى بلغوا بوابة خشبية بديعة النقوش، فوقف (نوكترون) كحارس عليها، في حين فتح (بالتزار) البوابة، وأشار باحترام لزايسون كي يدخل، ففعل الأخير في لامبالاة..

كانت قاعة مظلمة إلى حد ما، بلاطها مصقول جدا، وسقفها عبارة عن لوحة زخرفية شديدة التعقيد..

في منتصف القاعة مائدة طويلة كموائد قصور ملوك فرنسا القدامى، في منتصفها شمعدان سداسي فضي عملاق.. وعلى

الكرسي بنهايتها جلس رجل لم يتمكن (زايسون) من تبين ملامحه الغارقة في العتمة الدامسة!

- «الطاعون بقي سنوات سبع.. لكن الذي لم تحن منيته لم يمت!»
- «ماذا قلت؟!».
- «لا عليك.. إنها الرؤى الكريهة التي تنتابني معظم الأحيان!».
- «السيد الكبير حسبما اعتقد؟».
- «بشحمه ولحمه!».

لم يمنع (زايسون) البسمة عن شفتيه لما دمدم:

- «ولِمَ العتمة؟ جميعنا نعرف ملامح وجهك!».
- «أفضل الجلوس في الظلام، فقد بت فيه سنين عديدة!».
- «لماذا؟ هل كنت مسجونا؟».
- «يمكنك أن تقول ذلك!».
- «ما معنى الذي ذكرته قبل قليل؟».
- «عن الطاعون؟».
- «أجل..».

www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/

- «قلت لا عليك، أحيانا لا أفهم تلك الرؤى أنا الآخر! في الواقع هي حكمة من حكم التلمود المقدس، لا أعلم كيف وثبت في خاطري فجأة ما إن رأيتك!».

هزّ (زايسون) رأسه، وإن اعتمرت الأفكار المبهمة رأسه كالقبعة، في حين عاد الرجل يقول بصوته الرخيم:

- «(جيروم آندرو زايسون).. هذا ليس اسمك الحقيقي أليس كذلك؟».

- «يمكنك أن تقول ذلك!».

- «إرهابي دولي في زمن قياسي! تبدو كأنك خرجت من العدم! وفي غضون سنوات قليلة صرت أشهر من نار على علم!

كنت المسئول عن جميع عمليات التفجير التي تمت بين عامي 2014 و2021، في بيروت وواشنطن ولندن والقدس ومدن أخرى!».

- «جميل أنك تحفظ تاريخي المجيد..».

- «بداياتك كانت التحاقك بشبكة ذات تمويل يهودي للمخدرات، هدفها ترويج بضاعتها في الوطن العربي على وجه الخصوص، ثم صرت بعدها من أخطر عملائها..».

- «يبدو وأنك تعرفت على رفاق الكفاح كي تجمع كل تلك المعلومات الدقيقة عني.. مجهود لا بأس به!».

- «أحقا؟ ماذا عن تاريخك الحقيقي إذن؟!».

صمت (زايسون) رامقا الرجل المخيف بنظرات مفعمة بالتساؤلات، في حين استرسل الرجل بنبرة ذات برودة مخيفة:

- «تحب حكايات (هانز كريستيان أندرسن) والأخوين (جريم) وكل ما يتعلق بأدب الصغار، تمقت اليهود! لكنك لا تمانع أبدا التعامل معهم لأن الاقتصاد والقوة العسكرية بأيديهم الآن..».

شعر بالعرق يسيل من مسامات جلده للمرة الأولى، وبضحكة متحشرجة دمدم:

- «ما هذا الهراء الذي تقوله؟!».

- «حين كنت بسن المراهقة، تلقيت طعنة في معدتك من مطواة شاب كان فردا في عصابة سطو، فاشتريت مطواة أنت الآخر من مال محفظة وجدتها على قارعة الطريق، وبها مزقت حنجرة الفتى، وفي مكان مقفر قمت بدفنه كي لا تكتشف عصابته جريمتك وتقوم بالقصاص له منك!».

عبس وجه (زايسون) وقد نال منه الخرس، واسترسل الرجل المخيف ونبرة صوته لا تتغير وكأنها مبرمجة:

- «كانت والدتك المشعوذة الغجرية الوحيدة التي أحبتك، كان هذا طبعا قبل مقدم الشخص المسمى بالسنور وقيامه بسلبها منك!».

www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/

بدا (زايسون) بأسوأ حالاته النفسية..

إن هـذا السـيد الكبير يعرف قطعا أدق التفاصيـل عن حياته وكأنه عايشها بنفسه، أو كأنه يعيش بداخله!

– «أين أصابتها طلقة سلاحه؟ في قلبها على ما أظن؟».

هنا قفز (زايسون) فوق المائدة وتعبير وحشي مرتسم في سحنته، وانطلق يجري عليها حتى بلغ السيد الكبير، فحاول الانقضاض عليه ليمـزق له حنجرته بأسـنانه، لكنـه توقف عند ذلك الحـد عاجزا عن التقدم أكثر!

خيل إليه أن جسـده قد اسـتحال لحجر، ووجد نفسه مرغما على الجثـو على ركبتيـه فاقدا حماسـته الزائـدة، ورفع وجهـا يتفصد منه العـرق الغزيـر مواجها به وجه غريمه الذي تخللتـه الظلال المخيفة، قبل سماعه صوته الآمر لكن بنبرة رقيقة:

– «أرجو أن تهدأ.. هل أطلب لك كوب ماء؟».

نظر (زايسـون) إلى عينيه البراقتين، بدتا كعيني ذئب أو ضبع قابع وسـط الظلام، ولهث وهو يهبط من فوق المائدة شـاعرا بصعوبة في التقاط أنفاسه..

– «كيـف تعـرف كل تلك المعلومـات عني؟ أتقـرأ الأفكار أم ماذا؟!».

– «ليس هذا مهما، المهم هو لماذا أعرف كل هذا عنك!».

– «ولماذا تعرف كل هذا عني؟».

– «سـؤال عملي أخيرا! كما ترى يا (زايسـون) – أو مهما كان اسـمك– أنـا عليم بكل شـيء ومطلـع على كل سـر! قد تجـده أمرا غريبـا، وقد تجده مرعبا، لكنني أطلب منك في كلا الحالتين التغلب على مشاعرك والتركيز على عمل ما هو بصالحك فحسب!».

– «وكيف يكون ذلك بحق جهنم؟».

– «الحقيقـة أنني بحاجة إلـى داهية مثلك، رجـل بإمكانه فهم الخطـر والتعايش معه، رجـل محنك يتحرك عقلـه دائما في أصعب المواقف، شديد الخطورة والقساوة، واسع الحيلة متقد البديهة!».

مرر (زايسون) أصابعه على جبهته لإزالة بعض العرق متمتما:

– «ولكن.. كيف تعرف كل تلك المعلومات عني وأنا..».

وصمـت عاجـزا عن الاسترسـال، ممـا دعا السـيد الكبيـر للقيام بذلك نيابة عنه:

– «وأنت لست من هذا العالم؟».

وعندما قهقه بعقيرة مرتفعة، شـعر (زايسـون) برهبة مقبضة تعتمر داخله!

www.sa7eralkutub.com

www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/

28

عندما فتح (أنبل) بصره وتحركت شفتاه، شعر ببلل بارد ينساب على جبهته..

أبصر شابا هزيلا وسيما ذا ذقن نابتة يمسح له جبينه بخرقة مبلولة..

تأمله مطولا قبيل سماعه يخاطبه بهمس:

- «هل أنت بخير؟».

لم يجبه، فوضع الشاب الخرقة داخل وعاء الماء متمتما:

- «جسدك منهك من فرط التعذيب، لكنك قوي وستعيش بإذن الله..».

- «هل أنت مسلم؟».

نظر الشاب له باسما باستغراب، ومن ثم أجاب:

- «أنا؟ لا.. لا وجود لمسلم على هذه الأرض! اليهود عملوا على ضمان ذلك.. لكننا من حين لآخر نهمس بذات عباراتهم كي نتذكرهم!».

تجاهل (أنبل) آلامه وهو ينهض متسائلا:

- «أين نحن؟».

- «في معتقل «Ravenous»، حيث نداس كالديدان الحقيرة كل يوم..».

تناهى لمسامعهما صوت أعيرة نارية تتردد، فأردف الشاب بنبرة حزن:

- «ونقتل كالذباب دون أن نملك حق الذود عن أنفسنا..».

- «يا له من جحيم!».

- «أعتقد أن الجحيم أكثر رأفة!».

- «وما هي تهمتك؟».

- «لن تجد معتقلا واحدا هنا سجن بتهمة حقيقية، نحن هنا بهدف الإبادة، نحن مجرد دروس عظة للذين يقاومون أو يقولون لا..».

- «كم سجينا داخل هذا المعتقل؟».

- «حوالي الألف!».

- «يا للهول! ألهذه الدرجة أرواحكم رخيصة؟!».

- «لا يوجد ما هو أغلى من روح اليهودي، ومقارنة به نحن لا شيء!».

ورغم ما عاناه، ابتسم (أنبل) بسمة استهزاء!

www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/

قال وهو ينهض مستندا على كتف الفتى:

- «ما اسمك؟».
- «(جانيكو)..».
- «ألا تخشى أن يقتلوك لأنك تساعدني؟».
- «يجب أن أفعل، فقد سمعت بأنك..».

وخفض من نبرة صوته لما قال وبحذر:

- «قائد مقاومة غرناطة!».
- «لست قائدها! ثق بما أقوله لك!».
- «أنت تمزح!».
- «نظرا لوضعي الراهن فلا أظن!».
- «لماذا إذن..؟!».
- «لغاية في نفس يعقوب..».
- «ماذا؟!».
- «لا عليك.. أخرجني من هنا..».
- «من هنا؟!».

تأمله (أنبل) قبل أن يقول له باسما بإنهاك:

- «قصدت من هذه الزنزانة!».
- «معذرة، فأنا هنا منذ مدة طويلة وعليه..».

- «لا عليك..».

وهكذا خرجا معا إلى ساحة المعتقل، حيث السجناء يحطمون الصخور بمعاول صدئة، وجوههم شاحبة صفراء، وأبدانهم هزيلة مريضة.. كان بعضهم يستند للجدران، البعض الآخر انهمك في نقل كميات من الماء إلى مبنى يحمل أرقاما بالعبرية..

فجأة، تطايرت شظايا دماغ أحد السجناء الذين أراحوا ظهورهم على الجدار قبل سقوطه جثة إثر طلقة صائبة! فعاود الباقون العمل والذعر متبد على وجوههم!

شده (أنبل) لما حصل، فقال (جانيكو) بحزن:

- «يجب أن تسعد له، فقد ارتاح المسكين من هذا العذاب!».
- «ماذا حدث؟».
- «الكولونيل (زايسون)! إنه يمارس هوايته المحببة في إصابة الرؤوس ببندقية قنص، نوع من رياضة صيد البط لا أكثر!».
- «يا للهول! هذه الأمور الرهيبة شاهدتها في فيلم يتحدث عن معاناة اليهود!».
- «معاناة اليهود؟! يبدو وأن التعذيب قد أضر بعقلك يا صاحبي!».

وهنا سارع (أنبل) بخفض رأس الفتى للأسفل صارخا:

- «احترس!!».

www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/

في تلك اللحظة تطايرت قطع من فتات الجدار الإسمنتي الذي وقفا بالقرب منه.. رفع (جانيكو) رأسه ببطء، فوجد فجوة تناسب طلقة بندقية وقد استقرت في نفس موضع رأسه على الجدار!

بدا مهزوزا ممتقع الوجه لما همس:

- «ابن العاهرة! كاد أن يصيبني!».

- «إنها عناية الله..».

- «لولاك لمزقت الطلقة رأسي! لقد أنقذتني!».

- «عليك بمراقبة انعكاس ضوء الشمس على عدسة سلاح القناصة، تذكر ذلك!».

قالها (أنبل) متأملا بوجه صارم المبنى الذي أتت منه الطلقة..

■ ■ ■

أمام أحد الشواهد في المقبرة حيث يرقد الموتى بصمت في مثواهم الأخير، وقف (سيمون لاكيش) في صمت بارد.. عيناه تعلقتا بكتابة على الشاهد الرخامي الأسود..

«سيلينا إليعازر سِلع».. 1995م - 2024م

بتؤدة متهدجة همس الشاب متأثرا:

- «كيف حالكِ يا (إميليا)؟ ها قد عدت إليكِ كما وعدت!»

ثم مسَّ الشاهد بأطراف أصابعه هامسا بحنو:

- «اشتقت إليكِ كثيرا يا عزيزتي، كنت ولازلت أفكر بكِ.. دائما وأبدا!

سنوات سود قضيتها متظاهرا بأنني شخص آخر، شخص لا وجود له، شخص ينتمي لأولئك الأوغاد!

لكنني.. لكنني الآن بخير! ما يثير ألمي وحنقي هو دفنكِ باسم آخر، بهوية وديانة أخرى! كنت مضطرا.. أرجوكِ اغفري لي!»

وعاد إلى صمته الطويل وذكرياته ثانية..

عندما التقاها أول مرة أدرك أنها مبتغاه، وحين تزوجا كانا أسعد زوجين.. لم يعلما أبدا أنهما مقبلان على التعاسة، وبأن رحلته مع تلك الملاك الرقيقة قدر لها أن تكون رحلة خوف ومعاناة وألم..

لقد آذوه كثيرا، وآذوا زوجته أكثر منه..

وضع باقة الزهور في يده على الشاهد، وتأمل الجو الرمادي كثيف الغيوم.. لقد حان وقت الرحيل..

انطلق بسيارته في شارع نصف مزدحم من شوارع العاصمة، متأملا الشبان الذين ساروا أو وقفوا على الأرصفة بثيابهم السوداء وقبعاتهم البيضاوية وجدائلهم الزنبركية المتدلية على جوانب رؤوسهم.. لو قاموا ببناء مجمع تجاري هائل أمام البناية التي يقطن إحدى شققها لما تنبه بتاتا.. إنه الخواء الذي دخل عالمه منذ رحيل زوجته الغالية عن الوجود..

www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/

ابتدأ الازدحام يخفت شيئا فشيئا حتى تلاشى أو كاد.. لم يلاحظ ذلك أيضًا، فهو حقا يحيا داخل عالمه الخاص والحزين..

شيء واحد لاحظه فقط..

ذلك الشاب أحمر البشرة الذي يضع نظارات طبية، حليق الوجه، يرتدي معطفا بنيا ويبتسم بمودة!

كان يقف عند مدخل بنايته، فتوقف بسيارته، وأدلى نافذتها قائلًا لذلك الشاب دون النظر إليه:

- «ماذا تفعل هنا؟»

- «كيف حالك يا (ألبير)؟ ألا زلت هائما في عوالم زوجتك الميتة؟»

تنمر (لاكيش) من داخله، لكنه لم يظهر انفعالاته الحقيقية على وجهه عندما همس:

- «هل جننت؟! أنا هنا (سيمون لاكيش)، أم تراك نسيت هذا؟ ماذا تريد؟».

- «يا لها من لهجة تخاطب بها صديقا قديما! لِمَ كل هذا الجفاء؟».

- «ماذا دهاك يا (جوليو)؟ أأصاب عقلك شيء؟!».

ابتسم (جوليو) بسمة عريضة قائلًا وهو يحك خده بمكر:

- «ألن تدعوني للصعود إلى شقتك؟».

- «يجب أن ترحل من هنا حالا!».

- «أنا مصر!».

رمقه (لاكيش) بوجوم، ثم ترجل من السيارة مشيرا له بأن يتبعه..

وفي الشقة جلسا بالقرب من النافذة و(لاكيش) يتأمل ضيفه قائلًا باحتداد:

- «ما الخطب إذن؟ وكيف تحضر دون موعد مسبق؟».

- «شقة جميلة!».

- «ماذا تريد يا (جوليو)؟ هلاكي؟!».

- «لا تكن قاسيا عليّ هكذا! نحن أصدقاء منذ متى؟».

- «قل ما عندك وإلا فغادر حالا..».

- «أرسلني الخليفة إليك!».

- «الخليفة؟!».

- «أجل، مهمتك سيتم إلغاؤها..».

- «ماذا تقول؟!».

- «ساعة الصفر آتية لا ريب، ولا يمكن السماح لهم بكشفنا..».

وهنا سحب (سيمون) من وراء ظهره مسدسا صوبه إلى وجه (جوليو) صارخا:

www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/

- «خائن!!».

شده (جوليو) وهو يصيح بذعر ملوحا بيديه في الهواء:

- «(ألبير)!!».

- «الصلة الوحيدة التي بإمكانها التراسل معي هو الخليفة نفسه! وقد أوضح لي قبل البدء أن صوته سيكون الوحيد الذي سأسمعه، وأي شخص آخر يدعي بأنه قادم من طرفه هو شخص كاذب يجب أن يقتل دون مناقشة!».

وفي تلك اللحظة، طار سلاح (لاكيش) إثر طلقة صائبة صدرت من إحدى زوايا الشقة، إذ كان بانتظاره الشاب صاحب القرط الفضي والشعر الأحمر الثائر كأشواك القنفذ!

- «(بالتزار)!».

ابتسم الشاب بسمة ماكرة وهو يؤرجح سلاحه، في حين لهث (جوليو) قائلًا بغضب:

- «كاد الوغد يقتلني!».

نظر له (لاكيش) هامسا ببغضاء:

- «أيها الخائن الحقير! كم أتمنى اقتلاع لسانك من منبته الكريه..».

- «لا تكن متحمسا لهذه الدرجة يا (ألبير)، فاختيارك للفريق الخاسر فيه مدعاة للشفقة!».

- «ماذا عن فريقك؟ فريقك الحقيقي؟».

- «نحن نتحدث عن الحكومة ها هنا يا أحمق! مجنون وابن مجنون من يحاول نطح الحكومة برأسه الفارغ، هذا ليس مجرد فريق، بل ملعب كامل يتحكم بكل شيء..».

- «رفاقنا أيها الوغد! رفاقنا الذين أرسلتهم إلى غرف الإعدام!».

- «كان لابد من إثبات ولائي الحقيقي، أنت كذلك لديك الفرصة السانحة، لكنك ستعمل لصالحهم هذه المرة يا (ألبير)، فلا تتردد واقبل العرض، فالانتماء لأولئك الحمقى الذين يخربون معتقدين أنها مقاومة هم الخونة الحقيقيون!».

رمقه (لاكيش) بكراهية حقة قبيل غمغمته:

- «أراك في الجحيم يا (جوليو)!».

وبسرعة قام بابتلاع قرص كان في يده، وبثوان سقط كدمية مزقت خيوط تحريكها..

أسرع (بالتزار) يفحصه و(جوليو) يهتف ملهوفا:

- «ماذا حدث؟».

- «ابتلع حبة دواء قاتل..».

- «ومن أين أتى بها بحق الشيطان؟!».

www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/

- «كانت داخل تجويف سري بساعته، محفوظة للحالات الطارئة، كهذه الحالة!».

- «الأحمق!».

وركل (جوليو) الجثة بغل، في حين دسّ (بالتزار) سلاحه في الجراب أسفل إبطه مدمدما ببرودة:

- «عد إلى جماعتك وانتظر منا أوامر جديدة..».

29

تساءل (عمر) محاولا ألا يتلفت كثيرا:

- «هل وصلنا؟».

لكن أحدا من المرافقين معه في السيارة لم ينبس ببنت شفة..

كانوا قد غطوا رأسه بكيس أسود حجب عليه الرؤية تمامًا، لكن ما أثار طمأنينته هو موافقتهم على جلوس (حنين) إلى جواره ويدها في يده..

أخيرا توقفت السيارة، وتناهى لمسامع كل منهما أصوات نعيق غربان، فخمنا معا أنهما في مكان ناء ومهجور..

ترجلوا جميعهم من السيارة، وساروا حتى ولجوا مدخلا لبناء رطب الجو، حيث صعدوا درجات حجرية لفوق، جعلت أنفاس كل من (عمر) و(حنين) تتلاحق من كثرتها.. كم من التساؤلات ملأت رأسيهما، لكنهما احتفظا بها لنفسيهما كي لا يثيرا شكا أو توترا، خصوصا وأن الصمت كان الآمر الناهي في كل السبل التي سلكوها،

www.sa7eralkutub.com

www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/

حتى توقف الجميع أخيرا عن السير، وسمعا صوتا أنثويا حازما ينطق آمرا:

- «أريد رؤية وجهيهما!».

أخيرا تحررا من الكيسين، فأبصرا بأعين ضائقة من أثر المصباح المتدلي من السقف عددا من الأشخاص المسلحين يقفون بمواجهتهم كالتماثيل الحجرية.. فهمس (عمر) متسائلا وهو يحجب بكفه الضوء المزعج:

- «أين نحن؟».

- «في مقر قيادة حركة (الأندلس)!».

ولما اعتادت عيناه ضوء المصباح تمكن من رؤية فتاة نحيلة ذات شعر قصير لكنها جذابة، تتوسط الرجال وقد تمنطقت بمسدس ضخم لا يتناسب مع نحولها الملحوظ..

- «ومن تكونين بحق الله؟».

أجابه (إتيوب) الواقف إلى جواره بمهابة وإجلال وبصره معلق بالفتاة:

- «أقدم لكما الخليفة! قائدتنا (سيلاج) التي نفديها جميعا بأرواحنا!».

- «الخليفة؟ وأنثى؟!».

- «صه! القائدة تسأل وأنت عليك بالإجابة فقط..».

رمقتهما (سيلاج) بنظرات نارية، ثم سألت (عمر) وبصرها معلق بحنين:

- «ما حكاية السنور الذي أطل علينا من العدم؟».

- «إنه صديقنا..».

أسرعت (حنين) تهتف:

- «هل تعرفين مكانه؟».

- «صه!».

وعاودت القائدة (سيلاج) السؤال:

- «هل ما سمعناه عنكم صحيح؟».

- «ماذا سمعتم؟».

- «بأن ثلاثتكم على دين حسبناه قد انقرض؟».

- «صحيح بالطبع..».

هتف أحد الرجال محتدا:

- «يا له من كذب صريح!».

حدَّجه (عمر) بنظرة متنمرة قبل أن يقول:

- «نحن لا نكذب بشأن ديانتنا!».

- «ربما اعتنقتم الإسلام منذ مدة وجيزة..».

- «بل ولدنا ونحن مسلمون..».

www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/

- «إذن فقد حافظتم على سرية ديانتكم الحقيقية..».

قال رجل آخر بشك:

- «أو أنهم جواسيس يهدفون للوصول إلينا ومن ثم..».
- «يجب أن نتأكد، لن نتسرع بالحكم عليهما..».
- «الوضع بات خطرا، وساعة الصفر قد دنت..».
- «لن نحمل دماء الأبرياء على عواتقنا أبدا..».

تساءل (عمر) باهتمام:

- «هل أنتِ مسلمة؟».
- «ليس هذا من شأنك..».
- «لستِ أمريكية أو أوروبية قطعا..».
- «أنا بوسنية!».
- «بوسنية؟! لربما أنتِ إذن..».
- «صه!».

سكت (عمر) وإن أدارت الأفكار رأسه تدويرا، في حين همست (حنين) راجفة:

- «عليكِ بتصديقنا..».

- «ما يجعلنا نتردد بخصوصكم أن صاحبكم السنور محتجز في أسوأ مكان على وجه الأرض، وقد نال حصة مضاعفة من التعذيب كما تناهى لعملائنا بالداخل..

ولكن فور وصولكم انكشف غطاء أهم عملائنا على الإطلاق، وقد فقدناه للأسف..».

- «أمر مؤسف حقا، فكيف السبيل إلى معرفة الحقيقة؟».
- «سيتم اختباركما من قبلي شخصيا، كل منكما على حدة سيكون معي في حجرة مغلقة، حيث أوجه له أسئلة متعلقة بالديانة التي تزعمان أنكما تعتنقانها..».
- «وهو كذلك..».
- «والويل لكما لو أخفقتما!».

شعرت (حنين) بتوتر لا حدود له عند هذه النقطة، فهي لم تكن متدينة قط، ولم تحفظ سوى سورة أو اثنتين من القرآن بفضل عم (رشيد)!

■ ■ ■

- «ما الذي يشغل تفكيرك؟»

كذا تساءل (جانيكو) وهو واقف إلى جوار (أنبل) حتى كاد أن يلتصق به، وكأنما يلوذ به من طلقات القناصة بعد أن أدرك حدة حواسه التي بإمكانها إنقاذه كلما انطلق عيار ناري غادر..

www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/

لكن (أنبل) لم يجب سوى بالصمت المطبق.. كان يتأمل حركة السجناء واضطهاد الحراس لهم، حيث يضربونهم بكعوب البنادق ويبصقون على وجوههم كلما سنحت لهم الفرصة، ومن ثم حول ببصره صوب غرف المراجل والحمامات الخاصة بالسجناء وأصابعه تقلب حجرا صغيرا التقطه من على الأرض..

وهنا تمتم بغتة:

- «إلى متى يسع السجناء التسكع في ساحة المعتقل؟»

- «نستيقظ حوالي الساعة الثالثة فجرا، ونعمل حتى الساعة الحادية عشرة ليلا..

وعندما نرجع للعنابر تبدأ كلاب الحراسة تجوالها، الكشافات عملها في تمام الساعة الثامنة، كما أن رجال القناصة يتناوبون فوق الأبراج طيلة الوقت..».

وتبسم مخرجا سيجارة مهترئة من وراء أذنه، ناولها لأنبل سائلا إياه:

- «والآن.. أمازلت تفكر بالهرب من هنا؟!».

- «ولِمَ لا؟».

كذا ردَّ (أنبل) رافضا السيجارة بإشارة من يده، فدسها (جانيكو) بين شفتيه الجافتين هامسا ببسمة اندهاش:

- «لِمَ لا؟! لأن الفرار من جهنم أيسر! لم ينل معتقل «Ravenous» سمعته السيئة من العدم، بل لأن درجاته المكتسبة في الأمن عالية، عالية لحد الكمال يا صديقي!».

- «لماذا؟ أحاول أحدكم الهرب قبلا؟».

- «وهل نملك ترف التفكير بالهرب؟ أنظر حولك! أخبرني عن ثقب إبرة يمكننا من العبور خلاله! الحراس والكلاب والقناصة ينتشرون في كل مكان، وأضواء الكشافات تنقب كل جانب بمساحات شاسعة، فأين المفر؟!».

- «لا ضير من المحاولة!».

- «تقولها وكأنها محاولة ياناصيب!».

- «ربما كانت كذلك..».

وتأمل بعض السجناء الذين حملوا كمية هائلة من الملابس في عربات، تمهيدا لأخذها إلى كابينة حيث ينقعونها في ماء وصابون استعملا من قبل عشرات المرات..

- «أيسمح لأي سجين بدخول حجرات المراجل وكابينة غسيل الثياب؟».

- «يسمح، فهم يثقون بمستوى الأمن لديهم..».

وتبدت بسمة (جانيكو) مفعمة بالمرارة هذه المرة وهو يعجل بالقول:

ساحر الكتب
fb.com/Sa7er.Elkotob/

www.sa7eralkutub.com

www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/

- «ماذا تتوقع أن تجد هناك؟ الأرض من الإسفلت لا تصلح للحفر، كما أن سجناءً يعملون لصالح الحراس يقومون بمراقبة زملائهم، وتبليغ الحراس عن كل شاردة وواردة طمعا بالامتيازات..».

- «امتيازات؟».

- «سجائر، فراش خال من البق، طعام جيد.. الخ».

- «ألا يخافون من انتقام السجناء؟».

- «عن أي انتقام تتحدث؟ ألا ترى الكل خانع هنا كالشاة المنتظرة دورها في الذبح؟».

- «يا له من أمر مؤسف.. هل تعرف أولئك السجناء الذين يحظون بامتيازات لدى الحراس؟».

- «الكل هنا يعرفهم واحدا واحدا..».

في تلك اللحظة، عبرت طلقة قناصة الجدار إلى جوار رأس (أنبل) تمامًا، ففتت أجزاء صغيرة منه، مما دعا (جانيكو) إلى أن يخفض رأسه بسرعة وذعر..

لكن (أنبل) ظلَّ واقفا باردا دون أن تهتز له شعرة، وهو يواصل تقليب الحجر الصغير بين أصابعه، وبصره مثبت على الضوء المنعكس عن زجاج بندقية القناصة، التي انطلقت من فوهتها تلك الرصاصة!

30

طافت عينا (حنين) أركان الحجرة الموصدة التي جلست داخلها على مقعد خشبي قديم، وقد وقفت بثبات أمامها قائدة حركة «الأندلس»، وبين أصابعها سيجارة يتصاعد من طرفها خيط سريالي شفاف من الدخان..

كانت القائدة قد استجوبت (عمر) بادئ ذي بدء، وبعدها أعلنت نجاحه بالاختبار..

- «تهانينا، أنت مسلم بحق!».

وتركته وسط رفاقها الذين تحلقوا حوله مظهرين انبهارهم الشديد بوجود مسلم لا يزال على قيد الحياة، في حين أشارت لحنين كي تتبعها إلى داخل الحجرة، ففعلت الأخيرة ويدها موضوعة على قلبها الخافق بسرعة وعنف..

www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/

في الداخل انبعثت من «غراموفون» متهالك ألحان سيمفونية «زواج فيغارو» الشهيرة لموزارت، فأنصتت (سيلاج) بهيام قبيل تساؤلها بشرود ذهن:

- «أتحبين الموسيقى؟»

- «أعشقها..»

ومن ثم عقبت بابتسامة موتورة:

- «طبعا لو كان لهذا شأن بعقيدتنا فإن..».

- «أعلم، النفس وما تهوى، ثم أن الموسيقى ليست كالخمرة والقمار!».

وتبسمت قائلة وقد لاح الشرود في قسماتها:

- «الصهاينة يعتبرون الإنصات للموسيقى جريمة كذلك، حتى الكتابة والعزف والرسم، والعقوبة هي الإعدام الفوري!».

وعرضت على (حنين) سيجارة، فرفضتها الأخيرة بهزة من رأسها..

تأملتها (سيلاج) بنظر نافذ، وبتؤدة قالت لها:

- «أنتِ جميلة..».

- «شكرا..».

- «لكنكِ تعرجين..».

- «من شلل الأطفال..».

- «شلل الأطفال انقرض منذ بداية الثمانينات، فكيف يصيبكِ أنتِ دونا عن جميع الخلائق؟».

- «حكمة رب العالمين!».

تبدت دهشة على ملامح (سيلاج)، ومن ثم تبسمت برضا قائلة:

- «أتصلين؟».

أجابت كاذبة:

- «نعم..».

- «لله؟».

- «طبعا..».

- «وهل ترين الله؟».

- «طبعا لا..».

- «كيف تصلين له إذن؟».

- «الصلاة عماد الدين..».

- «يبدو لي كشعار كشافة!».

- «لكنه ليس كذلك بالنسبة لنا..».

- «كيف تعلمين أن الله موجود؟ كيف تعلمين أنه ليس لوحده وبأن (يسوع) ابنه؟».

- «تسألين أسئلة مرهقة، لا أظن كل مسلم يمتلك الإجابة..».

www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/

- «إذا فأنتِ تصلين كالرجل الآلي، بمعلومات مختزلة في البرنامج من دون تفكير..».

- «لا أحتاج للتفكير مطولا في حقائق..».

- «حقائق لا دليل عليها..».

- «إنها فطرة الإنسان..».

- ليست فطرتي حتما أو فطرة (مالبور) أو (إتيوب)!».

- «كل إنسان على الفطرة حتى..».

- «حتى ماذا؟».

حاولت تذكر الحديث الشريف، لكنها فشلت، فقالت بعصبية بالغة:

- «أهله من يطمسون فطرته بالخزعبلات..».

- «كالمسيحية؟ كاليهودية؟ كالإسلام؟».

- «لم أقصد هذا بالضبط، وإنما..».

- «وهل أنتِ مستعدة للموت في سبيل معتقداتك؟».

- «أحيانا أجد الحياة جميلة..».

- «وأحيانا؟».

- «أجد الموت رحمة!».

شهرت (سيلاج) بغتة السلاح في وجهها قائلة بصرامة مفزعة:

- «وإذا أرحتكِ من الحياة؟».

صاحت (حنين) مرتعبة:

- «بأي حق؟».

- «لا توجد حقوق هنا، نحن في عالم الاضطهاد هو الكلمة الأسمى فيه..».

- «أنتِ لا تختلفين عنهم إذن!».

- «من أنتِ كي تحكمي علي؟».

- «أنا فتاة لا حول لها ولا قوة، بينما أنتِ تمتلكين قوة السلاح!».

- «ماذا؟ أتودين منازلتي؟».

- «لا! أريد فقط الخلاص من كل هذا الجنون والعودة إلى منزلي!».

ونهنهت (حنين) مغطية وجهها بكفيها، فخفضت (سيلاج) سلاحها مغمغمة بازدراء:

- «إذا كنتِ مسلمة فتلك كارثة!».

- «لماذا؟ لأني جبانة؟».

- «لم أقابل مسلما جبانا من قبل، قد كان بعضهم يشرب أو يقامر، لكنهم لم يكونوا أبدا جبناء..».

- «إذن فهنالك مسلمون لا زالوا على قيد الحياة!».

www.sa7eralkutub.com

www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/

- «كان خطيبي آخرهم!».

وتبدت نظرة مفعمة بالكراهية في حدقتيها.. فشعرت (حنين) بشفقة اتجاهها..

- «قتلوه؟».
- «لا شأن لكِ! تذكري لِمَ نحن هنا..».
- «ماذا أفعل كي أقنعكِ؟».
- «أنا لم أقتنع مع الأسف..».

وفتحت الباب مستدعية رجالها، فحضروا ومعهم (عمر) الذي قال بابتسامة عريضة:

- «انتهى الاختبار؟».
- «انتهى، وصديقتك فشلت به مع الأسف..».
- «ماذا؟!».
- «آسفة، لكن روح صديقتك قلقة زيادة عن اللزوم، قد تكون مسلمة وقد لا تكون، ليس بإمكاني التأكد!».
- «هذا غير معقول، هل سألتها ذات الأسئلة التي سألتها لي؟».
- «بل سألت أسئلة أخرى، فالفرق بينكما أنك أقنعتني دون الاضطرار إلى الانتقال لمزيد من الأسئلة.. أما عنها فقد أثارت شكي، إنها تعتنق الديانة بشكل ظاهري فقط.. وتلك مشكلة!».

- «ما الحل إذن؟».
- «الحل يكمن في حبسها إلى أن نتأكد لاحقا!».

تبدى شحوب على وجه (حنين) وهي تهتف:

- «هذا ليس عدلا، من أنتِ كي تحاكمينني على هواكِ؟».
- «أنا القائدة هنا، ولا أستطيع المجازفة بأرواح رجالي لمجرد أنكِ قلقة روحانيا!».

قال (عمر) واجما:

- «أنا أضمنها لكِ! إنها صديقتنا، وأنا أثق بها..».
- «آسفة، لا يمكن المجازفة قطعا.. خذوها!».

شهر الرجال أسلحتهم وهم يقتربون من (حنين) التي تراجعت حتى التصق ظهرها بالجدار، مناشدة (عمر) بنظرات ملؤها اليأس والتضرع..

تقدم (عمر) واضعا يده على ساعد أحد الرجال محاولا منعه، فالتفت الأخير إليه وقد ارتسم تعبير حاد على وجهه، وبمباغتة ذات عصبية كال له لكمة قاسية على وجهه، فطارت نظارات (عمر) في الهواء..

لكن ما تفاجأ به الرجل بحق هو أن جزءًا من وجه (عمر) قد التصق بقبضته، فتأملها قائلًا بدهشة عارمة ملتقطا بأصابعه ذلك الجزء:

- «ما هذا بحق جهنم؟!».

www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/

ووسط ذهولهم العارم انتزع (عمر) أجزاء من كرشه ووجهه، فاكتشفوا أنه يرتدي قناعا بشريا متقن الصنع، ويضع أوزانا اصطناعية من الإسفنج!

– «بحق الله ماذا يحدث؟!».

كذا تمتمت (حنين) كالمأخوذة، في حين نزع (عمر) البقية الباقية من قناعه، فتبدى لهم وجه حسن الملامح، لكنه يحمل في طيات نظراته المكر والدهاء!

وبابتسامة عريضة لوح بساعديه مخاطبا الجميع:

– «مفاجأة أليس كذلك؟».

خرجت (سيلاج) أخيرا عن صمتها وذهولها، فصاحت:

– «الجاسوس! أطلقوا النار!».

صوبوا أسلحتهم نحوه، لكنه نزع من حزامه سلسلة طوح بها صوب أسلحتهم، ففوجئوا بها تتطاير من أياديهم ملتصقة بقطعة معدنية كالمخلب كانت على طرف سلسلته، ثم رمى بها أرضا، وتقدم ببطء من (سيلاج)..

حاول أحد الرجال طعنه بمدية، لكن سرعة غريمهم كانت عجيبة ومذهلة، وبثوان معدودة وجد الرجل نفسه ملقى أرضا يئن من آلام ظهره، وبالمدية تنتقل من يده إلى يد (عمر)، الذي بلغ قائدتهم ووضع نصل المدية على نحرها مطوقا ساعدها خلف ظهرها!

حدث كل شيء بسرعة مذهلة، ولما أفاقوا جميعا من هول الصدمة سمعوا صوته يأمرهم:

– «والآن اخرجوا جميعا وأغلقوا الباب، فلدي اجتماع مصغر مع «خليفتكم» هذه!».

– «محال!».

– «لا تجبروني على فعل ما أكره..».

وشدد من ضغط النصل على أوردة عنقها، فأومأت لرجالها كي ينفذوا الأمر..

قال (مالبور) وسلاحه لا يزال مصوبا ناحية (حنين):

– «لا أستطيع فعل ذلك..».

قالت (سيلاج) ببرودة:

– «انتظر بالخارج يا (مالبور)، هذا أمر..».

بدا التردد على (مالبور) قبل اتجاهه نحو الباب لاحقا بزملائه، لكنه لوح بالسلاح صوب (عمر) مهددا وهو يقول بحزم:

– «لا مخرج لك من هنا أيها اللعين، فإياك ومس شعرة من رأسها..».

وعندما خرج قال (عمر) مخاطبا (حنين):

– «أسرعي بإقفال الباب بالترباس..».

تنبه إلى أنها متسمرة كالتمثال، فهتف بها باسما:

www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/

- «هلمي!».

صنعت كما طلب، فأفلت أخيرا القائدة (سيلاج) ملوحا بسلاحها وهو يتمتم بابتسامته:

- «آسف، سأضطر لإبقاء هذا معي لبعض الوقت..».

- «لن تتمكن من الهرب أيها الجاسوس، فالحجرة بلا منافذ، ورجالي ينتظرون خارجا كي يمزقوك إربا..».

- «لا بأس، محادثة سريعة وينتهي الأمر، اجلسي أرجوكِ.. اجلسي يا (حنين)..».

أخيرا خرجت (حنين) عن صمتها، فنطقت قائلة بصوت مبحوح من فرط التعجب والاندهاش:

- «من أنت؟ حقيقة؟!».

رمقها بنظرة طويلة وقد نال منه الصمت أخيرا..

■ ■ ■

كان (أنبل) يعكف على دفع عربة الملابس الفارغة عائدا من مصبغة السجناء، فاستقبله (جانيكو) قائلًا واللهفة تملأ عينيه:

- «بشِّر!»

تبسم (أنبل) متسائلا:

- «بماذا؟»

- «هل وجدت طريقة ما؟»

- «لا زلت أبحث..».

تبدت خيبة أمل هائلة على وجه (جانيكو) قبل أن يغمغم بكآبة:

- «ألم أقل لك؟».

- «البحث عن طريق للهرب لا يأت ما بين ليلة وضحاها يا (جانيكو)..».

- «أعلم هذا..».

وضع (أنبل) العربة في المكان المخصص لها، ثم يده على كتف زميله قائلًا له:

- «سنخرج من هنا بإذن الله..».

- «ألا تعرف اليأس..

- «أبدا..».

- «لابد وأنك مسلم إذن!».

- «ألم تصدقني بعد؟».

- «عذرا يا سنور، لكن ما رأيته وسمعته..».

- «لا عليك..».

ارتفع في تلك اللحظة نداء صارم بالانجليزية يأمر السجناء بالعودة لعنابرهم، فسارا باتجاهها صامتين كأن على رأسيهما الطير..

www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/

لم يطلعه (أنبل) على ما دار في خلده.. فقد قام بتفقد كل ركن من المصبغة، وكذلك الحمامات.. هؤلاء القوم دهاة حقا، لم تسكرهم نشوة الانتصار، بل باتوا حذرين أكثر، فلم يتركوا فتحة واحدة تسمح بمرور جرذ حتى، والأمن لديهم محكم ومسيطر عليه تمامًا..

كما أنه حاول التقرب من أحد السجناء ذوي الامتيازات الخاصة، لكن الرجل تجاهله تمامًا!

للمرة الأولى يخامر (أنبل) شعور اليأس.. لكنه لم ولن يصارح (جانيكو) بذلك الشعور أبدا..

داخل الزنزانة، استلقى على ظهره منهكا من جراء العمل المتواصل..

سأل جانيكو متأملا السقف بعينين شاردتين:

- «ألديك أحد بالخارج ينتظرك يا (جانيكو)؟».

سمعه من السرير الذي أسفله يقول بنبرة حزن:

- «أنا؟ ربما أنا الأكثر وحدة في هذا المعتقل، قبل دخوله وبعد!».

- «أين أهلك يا (جانيكو)؟».

- «قتلوا! جميعهم قضوا نحبهم في قصف غادر.. والدي المسن، والدتي المقعدة، شقيقتي الصغيرة.. حتى كلبي!».

- «يا له من كابوس!».

- «كل ليلة أحلم بهم، أرى وجوههم، في الحلم أراهم في منزلنا، نحيا معا حياة طبيعية لا تشوبها شائبة..

الحلم هو واقعي الذي أتمناه يا سنور، والواقع هو كابوسي الذي أتمنى الفرار منه يوما..».

- «وستخرج، ستخرج حتما وبإذن الله..».

- «كفاك ثقة وآمال يا صديقي، فقد طمرها أولئك الأوغاد في نفسي طمرا..».

- «لا تقل هذا..».

ظهر في تلك اللحظة عدد من الجنود وقد شهروا أسلحتهم صوبهما!

- «تحركا!».

كذا كان الأمر، فنهضا بعجز عن كبح جماح دهشتهما، وبقلق تساءل (جانيكو):

- ماذا هنالك؟ لماذا يأخذوننا معا؟

- «اخرسا!!».

أذعنا للأمر وهم يقتادونهما خارج العنبر، حيث ساروا بهما في الساحة صوب مبنى بعيد ومنعزل، ارتجف (جانيكو) لمرآه، حتى أن ركبتيه خذلتاه عدة مرات، فسقط أرضا عدة مرات قبل أن يلكزه الجنود بكعوب بنادقهم كي ينهض ويواصل السير..

www.sa7eralkutub.com

www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/

- «ما الذي دهاك؟».

- «الويل ثم الويل!».

- «اخرسا!!».

دخلوا المبنى ليجدوا رجلا قصيرا قميئا بانتظارهما.. يرتدي معطف الأطباء ونظارات طبية سميكة، وقد عبثت أصابعه المشعرة بلحيته المدببة، وعلى مؤخر رأسه من فوق وضع طاقية اليهود الضئيلة..

تأمل (أنبل) خلقة الرجل المنفرة متسائلا:

- «من هذا الغراب؟».

- «ضعنا يا سنور! ضعنا!».

أخرج الرجل قطعة خشبية طبية من التي يستخدمونها لفحص الحلق، فاستخدمها على لسانيهما معا، ثم تناول مصباحا كالقلم تفحص به البؤبؤ لكل منهما على حدة، قبل أن يعيده لجيبه العلوي في المعطف قائلًا ببرودة:

- «توف!».

وسار واضعا يداه في جيبي معطفه، ومن خلفه اقتادهما الجنود وهما يتهامسان..

- «ماذا يحدث؟! انطق بسرعة..».

- «الدكتور (جوزيف)!».

- «(جوزيف) من؟ (جوزيف منغيل)؟!».

- «(جوزيف حوت هاشدرا)!».

- «ومن يكون هذا الآخر؟».

- «من يكون؟».

مرت بهما لافتة متدلية من السقف متأرجحة بسلاسل معدنية، وقد خطت عليها عبارات بالعبرية، فتبدت عصبية على (أنبل) معاودا التساؤل:

- «إلى أين يقتادوننا كالنعاج المساقة للذبح؟».

- «لم تبتعد عن الحقيقة كثيرا، ولو أن ذبح النعاج أرحم بكثير مما سيفعله بنا هذا الجزار المخبول!».

لم يتساءل (أنبل) أكثر، فصمت تاركا عقله لأمواج الخواطر المروعة، تتلاطمه بلا هوادة!

www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/

الفصل السادس

المحتال البارع!

www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/

31

السـلاح في قبضة الشـخص الجديد يدور على طريقة رعاة البقر دون التفات فوهته إلى أي منهما..

كانـت (سـيلاج) واقفـة تتأملـه بنظرات تحفـز، مفكـرة باقتناص اللحظة المناسبة للانقضاض عليه واسترداد سـلاحها منه، في حين انتهت (حنين) من قضم أظافرها كلها، فصاحت بعصبية بالغة:

- «من أنت؟!».

- «ما هذا السؤال؟ بعد كل الذي مررنا به معا؟».

- «كفَّ عن المراوغة والاسـتهزاء وأخبرني.. يكاد رأسـي أن ينفجر!».

وهنا رمى بالسلاح صوب (سـيلاج) التي التقطته بوجه مندهش، في حين جلس هو على المقعد الخشبي من الوراء متكئا على مسنده بذراعيه وهو يقول لها بابتسامته المعهودة:

- «كي تكفي عن إزعاجي بنظرات التحفز تلك!».

www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/

- «ما الذي يمنعني الآن من تفجير دماغك؟».

- «الحقيقة!».

- «وما هي الحقيقة إذن؟ أنك جاسوس تحاول كسب ثقتي؟».

- «كفي عن السخافات..».

ورمق (حنين) بنظرة متزنة لأول مرة، ثم قال لها بصوت دافئ:

- «كان والدكِ - رحمه الله - يتحدث عنكِ كثيرا يا (حنين)! صحيح أنه لم يكن رب أسرة جيد، أقرُ بذلك، لكن روحه المرحة وتفهمه السريع للحقائق بذكاء وإن كانت غريبة بعض الشيء قد أثرا فيّ!».

- «أنت قابلت والدي؟!».

- «أوليس الممول السري لمشروع المصعد رقم (7)؟».

- «ماذا قلت؟».

تدخلت (سيلاج) في تلك اللحظة متسائلة:

- «وما يكون مشروع المصعد رقم (7) هذا بحق جهنم؟ مخطط صهيوني جديد؟!».

تجاهلتها (حنين) متسائلة وأناملها ترتعد:

- «من أنت؟ وأين (عمر) الحقيقي؟ وكيف تعرف والدي الراحل؟».

أراح ذقنه على ساعديه مغمغما بهدوء:

- «أيقرع اسم (علوان نجيب) أي جرس في ذاكرتك؟».

- «لقد كان الشخص الذي زارني، مخترع المصعد الذي أراد بيعه لي!».

ضحك (عمر) قبل أن يقول بازدراء:

- «ما هو إلا نصاب وغد، حاول انتحال شخصيتي - أو بالأحرى الشخصية التي ابتدعتها لنفسي! - لكي يفوز بالمال ويهرب، ربما كان عقابه قاسيا بعض الشيء، لكنه استحق ما ناله بنهاية المطاف إثر جشعه الزائد!».

- «إذن فأنت..؟».

- «عرفني والدكِ باسم (علوان نجيب).. طالب جامعي طموح وعبقري، يملك مشروعا مذهلا لآلة سفر تشابه الهاتف، بإمكانها نقل البشر بواسطة أرقام كالتي تستخدم في وصل الخطوط عبر البلدان، لكنها بلدان واقعة في الأركان المنسية للكون!

بإمكانكِ القول أنني من اخترع المصعد رقم (7)! ثم خاطرتُ بتجربته من عالمي الأصلي، وهو العالم الذي زرتِه أنتِ بادئ ذي بدء!».

- «أتعني.. أتعني..».

- «عالم (أنبل) و(عمر)! كنتُ قد انطلقت من ذلك العالم باختراعي، ولماذا؟ هربا من يد العدالة وقبضة السنور التي تلاحقني

www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/

منـذ زمن! قد أكـون عبقريا، لكننـي اعتبر كذلك مجرمـا يجب إلقاء القبض عليه!».

- «ولكن كيف؟!».

- «عندمـا جربـت اختراعي أول مـرة، انطلقت بـه إلى عدد لا يحصى مـن العوالم المذهلة، أسـكرني نجاح اختراعي، وأسـكرني أكثر ما شـاهدته في تطوافي عبر العوالم، فقـررت التحول من مجرم فار من عدالة عالمي إلى رحالة للعوالم الأخرى!».

وسرح ببصره وهو يتمتم بنبرة ساهمة:

- «زرتُ عوالم لا يمكن تخيلها.. صدقيني لم يكن هذا العالم أسـوأها.. فقد كنتُ في عالم انتحر غالبية سـكانه وفق فلسـفة عقيمة تماثل فلسـفة شـخص عندكم يدعى (ألبير كامو)! المهم أن الجميع هنـاك كانـوا يعتنقـون ذلـك الفكـر وكأنـه مذهـب مقـدس، وعندما وصلـت، كانت البقيـة الباقية تتأهب للقفز من فوق ناطحة سـحاب! وبانتحارهم يصير عالمهم خال من البشرية جمعاء!».

- «رباه!».

كذا همست (حنين) مأخوذة، فنظر لها قائلًا ببسمة:

- «وعندما بلغتُ عالمكِ يا (حنين) تعطل الاختراع العظيم..

هناك، في شركتكِ، تعرفتُ والدكِ، كانت ليلة عاصفة أراد يومها أن يستقل المصعد رقم (7)، ربما أرعبته قليلا لما خرجت له وسـط

اندلاع الشـرر وسـحب الدخان كالكائن الفضائي الخـارج من طبقه الطائـر! لكنه لم يجن أو يلوذ بالفرار لحسـن الحظ، ولحسـن الحظ أيضًا أنه صدق حكايتي العجيبة!».

- «عندها ابتدأت شراكتكما معا!».

- «أجل، انتحلتُ بالكامل شـخصية طالب جامعي، في النهار أزور عالمكِ الجديد والمثير، حتى أني قد انتسبتُ للجامعة كي أنهل من علومها الجديدة والمثيرة!

وفـي الليـل أعكف على إصـلاح وسـيلة تطوافي تحت إشـراف وتمويـل والـدكِ، مع وعد بأخـذه معي في رحلاتـي المقبلة.. كان -رحمه الله- منبهرا تمامًا بفكرة السفر معي، الأمر الذي شغله وأبعده كل البعد عنكِ!».

تجاهلت (حنين) غصة حلقها، وبتؤدة همست متسائلة:

- «ماذا عن (عمر) الحقيقي؟ والقاتل الذي لاحقني؟ وبطاقات السنور؟».

- «عندما أوشـك المصعد على أن يصيـر جاهزا للعمل وافت المنيـة والـدكِ، كان شـريكي المدعـو (جلال) في السـكن الجامعي سـابقا والذي انتحل شـخصيتي لما زاركِ يحاول الاسـتفادة مني في عمليـات نصبه، فللأسـف أعترف بأنـي وثقتُ به بدايـة، فأطلعته في الجامعـة على مشـروع اختراع يمولـه والدكِ، لكنني لـم أطلعه على

www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/

حقيقتي وحقيقة المصعد كاملة، فقد كنتُ بحاجة لذكائه في عملية إصلاح أجزاء حساسة من المصعد كنتُ أفكها وأحملها إليه دون ذكر تفاصيل كثيرة رغم كثرة تساؤلاته الفضولية، فكان يتم المهمة على أكمل وجه لقاء مبالغ مالية لم تنجح بإخراسه تمامًا..

كان هذا عندما تفحص أوراقي العلمية من وراء ظهري، وعلم بأمر المصعد، وحين زارني بعد خروجي من الجامعة استعدادا للرحيل قام بسرقة نسخة من مفتاحه، ثم زاركِ مدعيا أنه من يدعى (علوان نجيب)..

لكن الأحمق وقبل أن يفعل، كان قد قام بتجربة المصعد، تسلل إلى داخل الشركة بعد منتصف الليل، وهناك ضغط الزر رقم (9)، لأنه مذكور في مفكرة ملحوظاتي على أنه رمز العالم الذي قدمتُ منه..

هناك، زار (جلال) شقتي، وعرف من أكون بالضبط، لكنه لم يحسب أبدا حساب شخص آخر كان يقعد بانتظاره، قاتل مروع وابن مشعوذة غجرية، كان يبحث عني أنا باعتباري أفضل من يعرف السنور..

لستُ متأكدا من التالي، فهو تخميني على الأقل لما وقع، لذا أجزم أن ابن المشعوذة قد عرف من (جلال) بأمر المصعد، لكنه لم يقتله على الفور، بل سافر معه إلى عالمكِ وقام بإرسال بطاقات السنور إليكِ كي يجعلكِ جزءًا من لعبة القط والفأر التي يهدف منها

الإيقاع بالسنور، ثم أرسل (جلال) إليكِ عارضا نسخة ثالثة من المفتاح قبل أن يقتله ويهديه لكِ، في ذات الوقت الذي رحلتُ أنا به عائدًا إلى عالمي!

لم أنس السنور بتاتا، كان خصمي المميز، غريمي اللدود الذي أوقع بي وأودعني السجن مرات عدة! في عالمنا كنت أملك ذات شهرته ولكن في عالم الإجرام.. كنتُ صاحب الألف وجه والألف صوت! المخترع العبقري والمحتال البارع الذي لم يمسكه أحد من قبل، كان هذا قبل أن يتدخل السنور طبعا!

راقبت السنور وشريكه (عمر) لفترة، فاكتشفت أن الأخير عازم على السفر لسنتين في الخارج، حيث يعكف على إعداد دراسة في بحث علمي معين، وعندئذ بدأت الخطة تختمر في ذهني!».

- «انتحلتَ شخصية (عمر)؟!».

- «كان التحدي قائما في مخيلتي، وأنا لم أذق طعم الهزيمة من قبل، أردتُ أن أثبت أنني الأذكى والأمهر، فانتحلت شخصية (عمر)، ورجعتُ للسنور بحجة تأجيل السفر مختلقا بعض المبررات الكاذبة، وهكذا دخلتُ عقر داره من دون أن يعلم حقيقتي!».

- «إذن فكل ذلك العبث بحياتي؟ ومقتل (مرام) المسكينة..».

- «أنا آسف حقا لموت صديقتكِ المقربة، فثمة أمور لم تكن في الحسبان أبدا كما حصل معها..».

www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/

- أنت أسوأ من قاتل الأطفال ذاك!».

تبدى الوجوم عليه لما أراح خده على ساعديه متمتما:

- «معكِ حق.. أنا الذي أتيت بالوغد، تسببت بظهوره في عدد من العوالم، كما تسببتُ بارتكابه جرائم قتل مروعة في حق كثير من الضحايا الأبرياء..».

- «وكيف تمكن القاتل من ملاحقتنا عبر تلك العوالم؟ ألا ينبغي له استخدام ذات المصعد؟».

- «بالطبع..».

- «كيف يصنع ذلك ونحن نرحل به قبله؟».

- «أنسيتِ بأنه يمتلك نسخة من المفتاح؟ إن المفتاح ليس مجرد أداة تشغيل للمصعد فحسب، بل إنه يستدعيه كلما وضع في ثقب لوح الأزرار المعدني.. وعندما ينتظر قدوم المصعد يستطيع تبين وجهتنا عن طريق شاشة الأرقام فوق الباب، والتي على خلاف جميع شاشات المصاعد تضيء أرقامها كلها بذات عدد الأزرار التي ضغطت..

لهذا السبب لم أكن قلقا عندما كنا في عالم ذوي القدرات الخارقة، عندما ظننتما أنتِ والسنور بأن المصعد قد يكون مدمرا بفعل الحريق، لكني لم أتمكن من إطلاعكما على الحقيقة كي لا ينكشف أمري!».

خيم الصمت لوهلة منحت (حنين) الذاهلة فرصة التفكير بكل ما سرده المخترع المحتال.. كان هذا قبل أن تلق عليه بسؤال أخير وهام:

- «ومن أنت؟ ما هي هويتك الحقيقية؟».

قهقه ضاحكا وهو ينهض من مكانه قائلًا:

- «لا أحد يعلم من أنا حقيقة، هويتي الحقيقية مجهولة، لكنني أعرف لدى رجال الشرطة ب..».

وصمت بغتة باسما بمكر، فهمست (حنين) بإلحاح:

- «بماذا؟».

- «هذا لا يهم الآن، المهم هو إنقاذ غريمي العزيز والعودة إلى عالمنا، فقد سئمت هذا المكان بأسره..».

- «لقد علقنا هنا بفضلك أيها العبقري، فرجال القائدة بانتظارنا خارجا، والحكاية التي هرفت بها بالكاد فهمتها أنا، فما بالك بها هي؟».

والتفتت أخيرا ناحية (سيلاج) الخرساء كل ذلك الوقت، فهالها أن وجدتها شاحبة الوجه، وقد ارتسم تعبير مبهم في ملامحها.. كان هذا قبل أن تنطق أخيرا هامسة كالمسحورة وعيناها تتسعان:

- «أنتما.. لستما من هذا العالم؟!».

تبدى شبح ابتسامة على ثغر المخترع المحتال، لكنها سرعان ما تلاشت لما استطردت (سيلاج) بغضب:

www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/

- «أي سخفٍ هذا؟ أتتوقع مني تصديق أكاذيبك الجوفاء هذه؟!».

- «هي الحقيقة بلا زيادة أو نقصان..».

- «حقيقة لا تصلح سوى لفيلم سخيف من أفلام الخيال العلمي!».

- «يبدو وأنكِ تكرهين هذا النوع من الأفلام!».

- «تبا لك! تبا لكليكما! إذا كنتما تتوقعان مني تصديق هذا الهراء فأنا لن..».

في تلك اللحظة تصاعد صوت إطلاق النيران بعنف هائج خارجا، فتبادل ثلاثتهم النظرات قبل أن تثب (سيلاج) على الباب مسارعة بفتحه..

وهنا أطل عليهم (مالبور) بوجه شاحب، وتمتم كالمختنق:

- «لقد خاننا الوغد!».

- «(مالبور)! ماذا حدث؟!».

- «الوغد! (جوليو)! لقد كان الجاسوس الخائن طيلة الوقت أيتها القائدة!

- ماذا قلت؟!».

لكنه لم يكمل، وسقط كالحجر ليتبينوا طلقات نارية استنزفت كمية هائلة من دمائه بالظهر!

غطت (حنين) فمها المفغور بكفها، في ذات اللحظة التي دخل بها (إتيوب) و(فلير) التي شهرت سلاحا رشاشا قصيرا وهي تهتف:

- «حان وقت الهرب! الآن!».

وأسرعوا ناحية الجدار، فدفعه (إتيوب) من ركن في الزاوية السفلى يسارا، فدار الجدار بأكمله على محور عامودي كاشفا عن سرداب ذا درجات خشبية مؤدية لأسفل..

■ ■ ■

من الشرفة المطلة على ساحة المعتقل، أطل (زايسون) متمطيا متثائبا وخلفه مساعده واقفا باحترام ومنتظرا أوامره..

كان قد تابع بظفر اقتياد (أنبل) وشريكه الجديد إلى عيادة الدكتور (جوزيف)، حيث تقام أبشع التجارب الجراحية وأشنعها على أجساد السجناء، وبمزيد من الاستهزاء الجامح طبع قبلة في الهواء تجاه مبنى العيادة الدموية قائلًا:

- «الوداع أيها السنور، وآمل أن تستمتع بما تبقى لك من وقت!»

- «معذرة يا سيدي، ولكن ماذا عن حكم الإعدام الذي ينتظره شعبنا بفارغ الصبر في الغد؟».

- «يمكنكم إعدام أي سجين آخر! قدموا للشعب «سنورًا» آخر لأن هذا يخصني أنا!».

www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/

وكتم ضحكة تسللت لشفتيه هامسا:

- «مسكين يا أيها السنور! سيتمنى الموت ولن يناله، إن (جوزيف) لا يترك ضحيته قبل تجربة كل الأدوات الجراحية الحادة عليها!».

- «أرجو المعذرة يا سيدي، لكنه قد يستخدم المخدر هذه المرة كما سمعت من ممرضته!».

تلون وجه (زايسون) بحمرة الغضب صائحا:

- «ماذا تقصد؟ ألن يعذبهما؟».

- «الممرضة تقول أن (جوزيف) يسعى لإنجاح عملية جراحية جديدة..».

- «ألا وهي؟».

تبسم الضابط المساعد مجاوبا:

- «الواقع أن المخبول يحاول منذ زمن تبديل رؤوس الأجساد البشرية!».

تبدى اهتمام على (زايسون) متسائلا:

- «كيف؟».

- «سيحاول وضع رأس السنور على جسم صاحبه والعكس صحيح!».

وهنا أطلق (زايسون) أقوى ضحكاته على الإطلاق قبل أن يصرخ:

- «يا لهذا الجوزيف! كم هو معتوه! وابن معتوه! لكنه بحق يروق لي! الوغد السادي! تخيل نجاح تجربته! تخيل معي أن يصحو السنور ليجد رأسه على جسم آخر غير جسمه!».

تبسم المساعد متابعا:

- «لا أظنه يصحو يا سيدي، فتلك التجربة ستكون العاشرة! فقد فشلت كل محاولات (جوزيف) من قبل..».

- «أرجو له التوفيق هذه المرة!».

ثم تناول بندقية القنص متبسما بعبث وهو يقول:

- «والآن، حان الوقت لبعض التمارين!».

صوَّب فوهة البندقية باحثا بالعدسة عن هدف يسهل قنصه، عندما استمر على تلك الوضعية لمدة أثارت استغراب وقلق مساعده..

- «سيدي؟».

بدا (زايسون) متسمرا كأنما يفكر بشيء ما، ثم نطق أخيرا، فقال:

- «هل من عادة (جوزيف) أن يقيد مرضاه؟».

ابتسم المساعد بسمة اندهاش مجيبا:

- «بالطبع لا! ما نفع القيود ما دام يخدرهم؟».

- «أغبياء!!».

www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/

كذا صرخ بجنون وهو يلق بالبندقية على وجه مساعده، ثم انطلق مهرولا كالمجنون منتزعا مسدسه من جرابه..

ركض ومن ورائه رجاله يلحقون به مندهشين، فخرج حتى الساحة، وعجَّل اتجاه عيادة الدكتور (جوزيف)، حيث اقتحم حجرة العمليات الجراحية التي وقف على بابها حارسين دهشا لظهوره المباغت ليجد..

في الواقع ما وجده كان كفيلا بإيقاف عقله وشله تمامًا، فقد وقع بصره المتسع على الممرضة وقد قيدت إلى مقعد وفمها مكمم، والدكتور (جوزيف)، كان ملقى أرضا ومبضع يخترق أوردة عنقه تاركا الدماء تنز منها بغزارة!

أما عن السجينين فقد اختفيا وكأن الأرض انشقت وابتلعتهما!

32

لم يتوقف (أنبل) ولو لثانية عن الركض في أنفاق المجارير المظلمة ذات الروائح النتنة، رغم حمله الثقيل على ظهره..

لم يحسب الطبيب الجزار حساب تعويذة السحر! اللعنة التي رمته بها المشعوذة الغجرية، والتي تمنعه من النوم للأبد!

بالطبع استسلم (جانيكو) للنوم العميق ما إن خدره الطبيب الجزار، ولما حقن (أنبل) بالمخدر تظاهر الأخير بالنوم، مما جعل وجود الحراسة أمرا لا داعي له..

لماذا قتل الطبيب؟ كان الرجل أعزلا ومرتعد الفرائص، لكنه لم يتمكن من تركه، وكأنه يترك سبعا جائعا مع بشر عزل داخل زنزانة.. كان عليه قتله للأهوال التي قام بها، وللتي سيقوم بها لو أنه بقى على قيد الحياة..

ظلام شبه دامس أحاط به، لكنه بدا مدركا لطريقه كما لو كان يسير في وضح النهار..

www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/

قدَّرَ أنه ركض لساعة كاملة، فقد شعر بحمله يستفيق أخيرا من أثر المخدر..

توقف أخيرا عن الركض، وبتمهل أنزل حمله لاهثا قبل أن يسند ظهره المنهك للجدار..

- «ماذا حدث؟».

كذا غمغم (جانيكو) لما استفاق، فتبسم (أنبل) قائلًا:

- «أبشر! قد أفلتنا من قبضتهم!»

- «ماذا قلت؟!»

استفاق دفعة واحدة، حتى أن دوارا شديدا انتابه وجعله يكاد يفقد توازنه، لولا إسراع (أنبل) إليه ومساعدته على الوقوف..

- «لكن كيف؟! أذكر أن الجزار خدرنا و..».

- «باغته قبل أن يخدرني..».

- «وقضيت بمفردك على الحارسين؟!

- «أتستهين بقدراتي؟».

ونظر للوراء هامسا:

- «ينبغي علينا الانطلاق فورا، فلابد وأنهم في أعقابنا الآن..».

الرائحة لا تطاق في نفق المجاري الذي ركض في ممراته (أنبل)، يتبعه (جانيكو) الذي لم يتوقف عن الضحك ولو لثانية حتى خنقه السعال المحموم!

- «ما بالك تضحك كالمجانين؟».

- «أحقا لا تجد في الأمر مدعاة للضحك؟! لقد هربنا!!».

- «إذن فأنت مسرور!».

- «بكل تأكيد! سامحني على عدم ثقتي بك! لقد هربنا وبزمن قياسي أيضًا!».

وتوقف هنيهة لالتقاط أنفاسه، ثم تساءل رامقا (أنبل) بنظرات معبرة عن إعجاب:

- «أتراه أنت؟».

- «أنا من؟».

- «المنقذ المنتظر، ذاك الذي ذكرته كتبكم الدينية قبل إحراقها بأمر من حاخامات اليهود!».

- «أنا مجرد زائر سيرحل عما قريب..

كفَّ عن الثرثرة الآن وهلم.. ألمح نورا في آخر هذا النفق..».

■ ■ ■

في المقر السري الجديد أشارت (سيلاج) لمن تبقى من الرجال والنساء قائلة لعمر وحنين:

- «هؤلاء من تبقوا من حركة مقاومة الأندلس.. هذه (بارب)، ساعدي الأيمن من بعد (مالبور)..»

www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/

حيتهما الفتاة بإيماءة فاترة من رأسها، وهي تعكف على تلقيم سلاحها بالرصاص..

- «وهذا (هيبير) أمين السر، و(هورم) جاسوسنا بالخارج، و(فالك) القناص، وأخيرا (ميدغارد) و(فنرير)..»

- «حياكم الله يا شباب!»

تبادلوا نظرات الدهشة فيما بينهم، فتبسم (عمر) قائلًا ويده تحك مؤخر عنقه:

- «أستطيع تفهم مشاعرهم، ولكن ألا يمكن أن يكونوا ودودين أكثر معنا؟».

- «لقد فقدوا زملاءهم في معركة خاسرة..».

- «لكل معركة ضحاياها..».

تدخلت (حنين) قبل أن يكمل ترهاته، فتساءلت بحزم:

- «ألا يمكنكم الاتصال بالحركتين الأخريين؟».

- «في الوقت الحالي لا، فقد تقرر ذلك إيذانا بقرب ساعة الصفر، كي لا يتمكن عملاء الشرطة السرية من إفساد مخططنا..».

- «وما ساعة الصفر هذه بالضبط؟».

تبادل رجالها النظرات العصبية، لكن (سيلاج) لم تتردد أكثر عندما ردَّت:

- «معصرة غضب الله العظمى!».

- «ماذا تعنين؟».

أجابت (بارب) بجفاء نيابة عن قائدتها:

- «هذا اسم خطتنا لاغتيال رئيس الوزراء الإسرائيلي (يهوذا هاناسي)!».

- «ستحاولون اغتياله؟!».

- «أجل، في خطاب عيد «الهانوكا» الكبير، الذي سيلقيه على شعبه بعد ثلاثة أيام..».

تساءل (عمر) باهتمام:

- «ما دور الحركات الثلاث بالضبط في عمليتكم الحاسمة هذه؟».

- «هذا ما لن أجيب عنه..».

- «يبدو وأنكِ لا تثقين بنا..».

- «الحذر واجب، وتلك اللحظة انتظرناها منذ زمن طويل للغاية..».

- «لكنه مجرد رئيس وزراء إسرائيلي، سيحزنون عليه قبل استبداله بوضيع آخر أكثر كفاءة!».

ابتسمت (بارب) باستهزاء قبل أن تقول:

- «ألست من هذا العالم أيها الشاب؟».

ابتسم هو الآخر دون أن يرد، فقالت (سيلاج) بشيء من عصبية:

ساحر الكتب
fb.com/Sa7er.Elkotob/
www.sa7eralkutub.com

www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/

- «ليس (هاناسي)..».

- «ولماذا؟».

- «لأنه ليس مجرد رئيس وزراء.. بل إنهم يعتبرونه ملك اليهود الذي طال انتظار وصوله منذ زمن بعيد!

ألا تدركان؟ لقد منح اليهود العالم، وجعل البشر من أصحاب الديانات الأخرى عبيدا لشعبه.. كما أنه – حسبما تردد– قادر على الإتيان بأمور خارقة يعجز البشر العادي عن الإتيان بها!».

- «مثل ماذا؟».

- «يقال أنه..».

- «أنه ماذا؟».

ترددت (سيلاج) في الإجابة، فأسرع أمين السر (هيبير) – وكان رجلا كهلا– يجيب نيابة عنها:

- «بأنه يستطيع إعادة الميت للحياة!».

- «هذا هراء!».

- «سمِّه ما شئت.. اليهود يؤمنون به..».

رفع (فالك) بندقية القناصة خاصته قائلًا بتهكم:

- «أنا أوافقك الرأي أيها الغريب، وعلى العموم لا يوجد ما تعجز رصاصاتي عن قتله ولو كان إلها!».

- «تبدو واثقا من نفسك..».

قالت (بارب) ببرودة:

- «كيف لا وهو سيدخل التاريخ؟».

بدا (فالك) بالفعل مختالا ومزهوا لما سيصنعه ليلة «الهانوكا» الكبيرة، ووضع سيجارة بين شفتيه مدمدما بخيلاء:

- «الأساطير خلقت ليذكرها التاريخ..».

- «أعتقد بأن عليك التركيز على مهمتك الخطرة..».

تبدت نظرة مخيفة في عينيه وهو يوجههما صوب (عمر) قائلًا له:

- «اهتم بشؤونك أيها الغريب..».

- «ربما كان هذا من شأني أيضًا!».

- «يبدو وأنك ترغب بالشجار!».

تبادلا نظرات ملؤها التحدي قبل اقترابهما من بعض بسرعة محتدة، لكن الرجال وثبوا فيما بينهما، وارتفع صوت (سيلاج) الحانق يأمرهما:

- «ليس هذا وقت عبث الصبيان!».

والتفتت لعمر قائلة له بقسوة:

- «اسمع يا هذا كائنا من كنت.. لا يمكنك مضايقة (فالك)، فنحن بحاجته من أجل الليلة الموعودة، يمكنه أن يغتر بنفسه كما يشاء مادام سيخلصنا من ذلك البغيض..».

- «هذا لطيف.. وماذا لو أخطأ؟».

www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/

بزغ الغيظ في عيني (فالك) لما رد:

- «أنا لم أخطئ في حياتي!».

تبسم (عمر) قائلًا لنفسه:

- «هناك بداية لكل شيء، ولكل جواد كبوة!».

جذبته (حنين) بخشونة من ذراعه هامسة في أذنه:

- «أنت لا تساعد الآن إلا بخلق مزيد من المتاعب..».

- «إنها طبيعتي!».

- «الأمر ليس مزاحا، هؤلاء يستعدون لحدث جلل، وأنت هاهنا تمزح وتوتر أعصابهم؟!».

- «إنها طريقتي في نسيان توتري وقلقي على شريكي!».

- «يا لك من مدع محتال!».

نظر في عينيها قائلًا بنبرة جافية:

- اسمعي، قد يكون غريمي اللدود، لكن العلاقة التي تجمعنا لا يمكن لأحد فهمها، فهي مزيج من التنافس والإعجاب المتبادل..

وأسرع يخف الخطى مبتعدا حتى اختفى عن ناظريها، فخفضت من بصرها وعقلها ينطق بحزن عميق:

- «وماذا عن الحب؟ أوليس أمتن علاقة؟».

33

تساءل الصوت الرخيم في الظلام:

- «إذن فقد فشل (زايسون)..».

شعر (راوهونا) ببرودة شديدة داخل القاعة، لكن ذلك لم يمنعه من الإسراع بالإجابة:

- «غروره كان السبب أدوناي..».

- «الغرور خطيئة، لكنها من نعمي عليكم!».

- «بكل تأكيد أدوناي..».

- «ورغم ذلك أريده متواجدا في ليلة الاحتفال الكبير..».

- «رغم فشله؟!».

- «هو خير من يعرف تحركات ذاك السنور.. كما أني بحاجة إلى كل قوة متوافرة تحسبا لأي طارئ..».

- «معك حق أدوناي، وسأعمل على تحقيق ذلك..».

www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/

- «نحن في معركة يا (راوهونا)، معركة ستظل مستمرة طالما الحشرات لا تزال على قيد الحياة.. قد كان العبيد أحرارا فيما مضى، لكنهم لا زالوا يذكرون طعم الحرية، وخير دليل قتالنا مع حركات المقاومة الثلاث..».

- «سندفنهم مع أحلامهم أدوناي..».

- «أتوقع معمعة ليلة الهانوكا، لكنها ستنتهي كما أحب وأرغب.. يجب أن يتم الأمر كما أحب وأرغب..».

- «حتما أدوناي.. جواسيسنا ينتشرون في كل بقعة، ويندسون بين الجميع، ودرجة الأمن مرتفعة لأقصى حد..».

- «بفراخا! لكن هذا لا يعني الأمن والأمان..».

- «إنني محترف أدوناي، وعندما كنتُ صغيرا كنتُ أفكر ألف مرة في إمكانية أن يصعقني قابس الثلاجة حين كانت والدتي تأمرني بأن أنزعه! أنا حذر بطبعي، ولستُ خانعا كالأحمق (زايسون)!».

- «الأمر خطير، فهؤلاء ليسوا مجرد فتيان يهوون رمي الحجارة ودحرجة الإطارات المشتعلة كما في الماضي مع الفلسطينيين، إننا نواجه عصابات منظمة تنظيما دقيقا، كما أن لديهم عملاء بيننا..».

- «اطمئن أدوناي، سيقعون في قبضتنا عاجلا أم آجلا، وعندئذ نسلخ جلودهم أحياء قبل كوي أجسامهم بالنيران!».

- «عظيم! أشعر ببعض الطمأنينة الآن.. بإمكانك المغادرة..».

- «أوامرك أدوناي..».

وسارع بالمغادرة تاركا سيده يتأمل المباني عبر نافذته العملاقة، كالصقر المحلق يطل على ممالك الأرض بأسرها.. ذلك كان شعوره، كالصقر المحلق.. وهم على الأرض يلتصقون بها كالديدان الحقيرة..

- «سأحيا للأبد! فأنا الشر الخالص الأسود! أفعل كل ما أهواه دونما رقيب أو حسيب، ويبارك هؤلاء القرود أفعالي!».

ثم كشف عن ساعده، وإذ به أملس خال من الشعر كأنما أحرقه أحدهم، وبقداحة ذهبية أشعل شعلة طفق يمررها على جلده وهو نشوان، مغمغما وكأنه يهلوس:

- «لا أشعر بألم من أي نوع! فأنا غير سائر البشر! أنا كائن ناري كالشياطين، ولن يتمكن أحد من قهري، بل سأدحر جميع أعدائي!».

■ ■ ■

توقفت سيارة قديمة ذات محرك متهالك أخيرا، فتصاعد من تحت غطاء محركها دخان ضبابي كثيف..

- «علينا بمواصلة الطريق سيرا الآن..»

نظر (أنبل) لجانيكو متسائلا:

- «ألم يحن الوقت لإخباري عن هدفنا؟»

www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/

- «لقد أخبرتك.. أعرف أشخاصا سيساعدوننا على الاختباء لبعض الوقت..»

- «وأنا أخبرتك بأن عليّ إيجاد..».

قاطعه:

- «أعلم وأتفهم ذلك، لكننا مطلوبان من قبل الشرطة السرية وجهاز المخابرات، ومن المهم الاختباء لبعض الوقت..».

- «وهذه الأطلال هي المكان المناسب؟».

- «بل هي أنسب مكان، فأولئك الأوغاد يحسبونها ملتقى السحرة الذين يمارسون سحرهم الأسود المخيف!».

- «يا لهم من حمقى تملأ الخرافات عقولهم!».

- «إنها بقع محرمة عليهم، ورغم حذرهم الشديد إلا أنهم جبناء حقا..».

- «أصبت في ذلك!».

سارا مسافة لا بأس بها، وفي الطريق أبصر (أنبل) جثثا يابسة بانت جماجمها..

- «إنها بقعة مهجورة تذكرني بمقابر الحيوانات، أحيانا يأتي أحدهم للموت بصمت وارتياح هنا!».

- «رباه!».

ركل (جانيكو) حجرا اعترض طريقه، وبتعاسة قال:

- «ما رأيته في المعتقل ليس سوى غيض من فيض، نحن نذبح يوميا، نموت يوميا، لا تعليم ولا مستشفيات، فقط عمل شاق متواصل من أجلهم هم فقط، نساؤنا جواري لهم، وأطفالنا خدمهم، أما العجائز فيقتلون فورا ودونما مناقشة..».

- «إنها النازية الجديدة بحق!».

- «لقد وصلنا..».

سلط (أنبل) بناظريه أسفل المنحدر الذي وقفا على أعتابه، فأبصر -مشدوها- مسجدا شبه مهدم! فجوات عدة في كل شبر من جدرانه، والقبة منذرة بالسقوط..

نسمة هواء باردة أحسها شاذة عن البرد المألوف.. كأنها قشعريرة..

- «عاش في هذه البقعة المقفرة شيخ جليل يُحفظ الأطفال القرآن.. في برد الشتاء كان بإمكانك سماع أصواتهم الراجفة تتلوه..

جميع دور العبادة من مساجد وكنائس هدمت وشيدت محلها الملاهي الليلية، لكن هذا المسجد كان الوحيد الذي نجا لوجوده في هذه البقعة..

هلك الجميع من الجوع والبرد والحرمان، ولما أتينا أول مرة وجدنا جثثهم متجمدة من شدة البرد القارس، كان مشهدا لا يوصف بكلمات!».

www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/

تجاهـل (أنبل) انقباضة نفسـه، ملتفتـا إلى (جانيكو) وهو يسـأله بريبة:

- «أنتم؟!».

وفجأة، انشـقت الأرض عن مجموعة من الأشخاص المدججين بالسلاح.. صوبوها في وجهيهما بصرامة وأحدهم يصرخ:

- «انطق كلمة السر!».

- «تحيا القدس!»

خفـض الجميـع أسـلحتهم، في حين وضـع (جانيكـو) يده على كتف (أنبل) المنذهل قائلًا له بمودة خالصة:

- «مرحبا بك في مقر قيادة غرناطة!».

الفصل السابع

ليلة المعصرة العظمى

www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/

34

الليلة الموعودة..

أقيم بتلك المناسبة شمعدان سداسي عملاق من الجليد في العاصمة، حيث تساقط الثلج بكثافة، وارتدى اليهود كل جديد ونفيس، حاملين معهم كتبا مصغرة من تعاليم التلمود، وقد بدت الأجواء شبيهة بأعياد الميلاد التي كانت تقام فيما مضى..

كانت العاصمة قد صارت مرتعا مقدسا لليهود، يحرم على العبيد دخوله كي يشعروا بالأمان وهم يحتفلون بالهانوكا، لذا لم يتخيلوا أن الوافدين الجدد الذين اندسوا فيما بينهم كانوا من أفراد حركات المقاومة الثلاث المتبقية..

وفوق سطح أحد الفنادق، كان المدعو (فالك) ينتظر بسلاح القناصة.. لم يكن جاهزا تمامًا، كان يشعر بتوتر هائل، وقد حاول التخفيف عنه بشرب مزيد من الكحول، ولكن بدا وأنه قد أفرط في ذلك!

www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/

هكذا خفضت (سيلاج) إصبعها عن السماعة المنمنمة والملتصقة بأذنها، متمتمة في حنق عاصف سيطرت عليه بصعوبة:

- «الغبي المعتوه!».

تناهى لمسامعها صوت (عمر) يأتيها من الوراء:

- «ما الخطب؟».

- «نحن في مأزق لم يخطر لنا على الإطلاق!».

- «ألا وهو..».

- «عندما اتصلت به للمرة الأولى مذ صعد فوق سطح الفندق، كان يشعر بالتوتر وينشد التهدئة..».

- «ومن ثم؟».

- «اتصلت به قبل قليل فوجدته ينهنه كالأطفال!».

والتفتت لعمر.. كان تنكره متقنا، فقد وضع أسفل أنفه شاربا رماديا وارتدى نظارات طبية ضئيلة، كما أنه لفَّ عنقه بكوفية من الصوف واعتمر قبعة كالانجليز، في حين تدلت خصلات الشعر التي يرسلها اليهود على جانبي صدغيه، فبدا كحاخام مسن..

وبلا تردد وضع يده على كتف (سيلاج) هامسا بنبرة ثقة:

- «سأحل محله!».

- «ماذا قلت؟!».

- «كما سمعتِ!».

- «لا يمكن تعريض العملية للخطر..».

- «هي في خطر أصلا! ألا تثقين بي؟».

- «بالطبع لا!».

- «لا خيار أمامكِ إذن..».

- «سأدع (بارب) تحل محله..».

- «وهل تملك الكفاءة اللازمة؟».

- «وهل تملكها أنت؟».

- «بكل تأكيد، أستطيع إصابة ثقب الدبوس!».

لم تتردد (سيلاج) أكثر، فقالت باستسلام وإن تبدت نظرة مناشدة في عينيها:

- «أرجوك!».

- «ثقي بي..».

وتوقف هنيهة أمام نظرات (حنين) الحائرة إليه، فتبسم هامسا:

- «سأكون بخير..».

ثم اختفى وسط الزحام قبل أن تتمكن هي من قول شيء..

- «صديقكِ المحتال جريء وشجاع، أرجو له التوفيق!».

تجاهلت (حنين) حديث (سيلاج) وتضارب لا يحتمل يكاد بأن يفتت لها عقلها، لقد صارت الأمور أخطر الآن..

www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/

تلفتت حولها أكثر من مرة، شعرت بالأعين ترصد انفعالاتها دونا عن جميع الخلائق.. بارانويا هذا العالم البغيض! حتى الأطفال بدوا كأنهم من البوليس السري!

الجنود ينتشرون في كل زاوية، وجوههم مفعمة بالصلادة التي تناسب التماثيل أكثر، لا يوجد فرح من أي نوع، لا توجد وجوه ضاحكة، الكل بدا باردا حتى في مناسبة كهذه..

يا له من عالم! عالم يسوده الحقد والكراهية! حقا إنه لأمقت عالم زارته..

لقد دفعتها هذه المغامرة التي خاضتها إلى التفكير بكل شيء.. حياتها، مستقبلها، مستقبل شركتها، (مرام) وأسرتها، والدها الراحل، (زايسون) المختل، (عمر).. الآخر المحتال، (آدم)، (سيلاج)..

وأخيرا الرجل الذي أوجدت له بسرية مكانة بين ثنايا لبها، والذي لا تدر ما إذا كان حيا أم ميتا..

- «نحن بحاجتك يا (أنبل)!».

لم تشعر إلا وبالأكف قد انهالت تصفيقا.. طائرات مروحية في الفضاء سلطت أضواءها على المنصة، والجنود رفعوا أسلحتهم تحسبا واستعدادا..

صعد على المنصة رجل مخيف كث اللحية، ضخم الجثة لكنه قصير، يرتدي معطفا وقفازات جلدية سوداء، ذكرها بصورة طالعتها

فيما مضى للمشعوذ الروسي (راسبوتين)، فيما عدا أن هذا الرجل كان أعور العين اليسرى..

- «هذا يومكم يا معشر صهيون فابتهجوا!».

هلل الجميع وكأنها صاعقة تفجرت فيما بينهم، ترنمت العقائر بالشعائر اليهودية من كتب التلمود التي حملوها بين أياديهم، في حين واصل الرجل المخيف كلامه واضعا الطاقية اليهودية على مؤخر رأسه:

- دعوني أذكركم بهذا اليوم عبر تلاوة من تفسير الرؤيا لحنا: «نرى أن اليوم الذي أقامه الله أوشك أن يأتي! والرجل الذي عينه الله نراه كالقائد المنتصر!»

طفحت الوجوه الكالحة بالبشر أخيرا، فواصل أصحابها الترنم بأناشيد الأسفار القديمة والمحرفة، في حين شرعت (حنين) بقضم أظفارها كعادتها كلما توترت..

- «أنتِ يا فتاة!»

هوى قلبها في قاع الأرض بين قدميها لما سمعت الصوت، وأبصرت رجلا يقترب منها وقد بدا الشك على كل خلجة من خلجاته..

الشرطة السرية! بل المخابرات! كلاهما سيان.. المهم الآن هو الفرار قبل إمساكهم بها..

www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/

تجاهلت نداء الرجل الملح وهي تدس بجسمها وسط الحشود، مما زاد الرجل تصميما على المضي في اللحاق بها..

سارت وقلبها لا يكف عن الخفقان المتتالي حتى كادت تسقط فاقدة الوعي، لكنها قاومت وهي ترتطم بهذا وذاك، ورأت من بعيد زقاقا ضيقا قررت الإسراع إليه، شاعرة برعب لا حدود له لما تنبهت إلى أن الرجل لا يزال بأعقابها..

شرعت بشتم ساقها العرجاء والتي أخرتها كثيرا، وفي النهاية شعرت بيد توضع على كتفها، فأطلقت أعتى صرخاتها وهي تنهال على صاحبها بالكلمات العشوائية!

- «يا آنسة اهدئي أرجوكِ!»

وفتحت عيناها لتجده يدس شيئا في راحة يدها، ثم أسرع بمغادرة المكان!

ببطء نظرت، فوجدت بطاقة مهترئة من بطاقات السنور!

- «انتظر أرجوك!».

لكن الرجل اندس في الزحام، فعاودت (حنين) متابعة ما خط على البطاقة بعينين ملهوفتين:

«استعدي للرحيل لدى رؤية الإشارة، كوني بالانتظار أمام المصعد رقم (3) داخل الفندق..».

عاودت التلفت بعصبية وهي لا تدر ما تصنع، فمن غير الممكن الاتصال بعمر ودفعه للتخلي عن مهمته الدقيقة، فما العمل إذن؟ أترحل من دونه؟ إنه مجرد محتال، لكن..

ربما عليها البحث عن (سيلاج)..

تضاربت الأفكار في رأسها برهة، ثم اتخذت قرارا بانتظار تلك الإشارة لشح الخيارات..

■ ■ ■

توقف (يهوذا هاناسي) عن ترانيمه المزيفة..

انخرس وكأنه فقد القدرة على النطق..

كان اتساع وجهه وجحوظ عينيه مروعا، وكأنه لا يصدق أنه يموت كسائر البشر، وببطء رفع يده محاولا تحسس جبهته التي غرقت بالدم القاني، لكنها سرعان ما تهدلت، وكاللعبة التي فرغت من بطاريتها سقط جثة مكومة!

أصيب الجميع بذعر جنوني، وانطلقت الرسالة الصادمة عبر أجهزة اللاسلكي:

- «قناص فوق إحدى البنايات!»

ساد الهرج والمرج بين الجموع، ليس لفاجعة موت ملك اليهود، وإنما لكي ينجو كل بحياته! تدافعت الحشود بهمجية حتى سقط العشرات قتلى الدهس والتدافع العنيف..

www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/

حتى رجال الشرطة والجيش أصابتهم صدمة هبطت على رؤوسهم كالصاعقة، فلم يدروا كيف يتحركون الآن من غير قائدهم المنتصر!

وقدرت (حنين) المذعورة بأنها الإشارة المنتظرة، فانطلقت تشق طريقها حتى ولجت الفندق..

بالداخل سارت في الصالة الواسعة والفارغة حتى بلغت المصعد المنشود.. وهناك، تسمرت متفاجئة تمامًا بوجود (عمر) واقفا بانتظارها!

دنت منه صائحة بتلهف:

- «كيف هبطت بهذه السرعة؟!»

اقترب مجيبا بارتباك:

- «لستُ أنا من قتله! إنه السنور!»

- «ماذا قلت؟!»

- «لقد دسَّ أحدهم بطاقته في يدي، وعليها دوَّن عن نيته القيام بعملية الاغتيال، كما أنه أمرني بالانتظار عند هذا المصعد لدى رؤية الإشارة..».

كان يرتجف انفعالا، فسألته مستغربة:

- «وما بالك تتصرف بعصبية هكذا؟».

- «التوقيع! لقد وقع بطاقته بالاسم الذي يعرفني به!».

- «إذن فهو..».

- «بالطبع! هو يعرف! يعرف من أكون رغم تنكري المتقن!».

- «ولكن كيف؟!».

تصلبا في تلك اللحظة على صوت سلاح تحرر رتاج أمانه، ولما تلفتا وجداه واقفا يبتسم بتهكم جامح وسلاحه مصوب نحوهما!

- «أنت!!».

- «على الرحب والسعة!».

ولوَّح (زايسون) بسلاحه قائلًا بجذل:

- «إذن فقد فعلها الوغد! لم يقاوم إغراء قتل الرجل الذي اعتبره أولئك القوم ملكهم المتوج وإلههم الذي لا يدحر! حقا إنه لداهية!

أين يختبئ الآن؟».

رفع (عمر) ذراعيه مجيبا ببرودة:

- «ليس هنا كما ترى..».

- «إذن سأترك له مفاجأة قاسية هنا..».

وقبل ضغطه على الزناد فوجئ بسلاحه يطير إثر طلقة صائبة..

وفي تلك اللحظة دخلت (سيلاج) التي أطلقت النار، ولم تكن لوحدها..

www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/

كان معها جيش من الرجال والنساء، حركات المقاومة الثلاث! ومن ورائها ظهر (جانيكو) وقد ارتدى حلة جلدية أنيقة!

- «هل أنتم بخير؟».

لم تتنبه (حنين) لكلامها وبصرها معلق على ضوء المصعد الذي اشتعل بغتة، ثم ابتدأت أرقامه بالانحدار حتى بلوغها صالة الفندق..

وعندما انفتح بابه، ظهر لهم جميعا شاب يرتدي لثاما أسود من الجلد في محاكاة للفدائيين القدامى أصحاب التاريخ المجيد، حاملا بين ذراعيه بندقية قنص متطورة!

وبثقة، خفض اللثام من على وجهه متسائلا:

- «كيف حال الجميع؟».

لم تتمكن (حنين) من تمالك نفسها، وبعينين غرقتا بالدموع الحارة رمت بنفسها في أحضانه صائحة بفرح:

- «(أنبل)!!».

- «وأنا كذلك اشتقتُ لكِ يا (حنين)!».

كانت معاناة كافية لجعله ينطق أخيرا باسمها مجردًا من سائر الألقاب السخيفة!

35

في هذه المرة، كان (جيروم زايسون) هو الأسير..

ورغم ذلك وقف راسما على شفتيه بسمة لامبالية، في حين تبدى التهلل على الوجوه وهم يرفعون أسلحتهم عاليا ويهتفون بلقب السنور..

قال (جانيكو) واضعا يده على كتف (أنبل):

- «نحن مدينون لك..».

- «بل الشكر لك أيها القائد!».

قال (عمر) باسما:

- «إذن فالأنباء كانت ملفقة، وقائد حركة «غرناطة» كان حيا يرزق وفي قبضة أولئك الأوغاد دون درايتهم بشيء!».

- «هذا لحسن حظي..».

قالت (سيلاج) وهي تنحني لأنبل:

www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/

- «إذن فنحن مدينون لك أيضًا بإنقاذ قائد حركة «غرناطة».. إنك المنقذ يا (أنبل).. منقذنا جميعا!».

وحذا الجميع حذوها، مما دعا (أنبل) إلى القول متجهما:

- «ما أنا إلا تحر خاص جاء في مهمة..».

وحدَّج (جيروم) البارد بنظرة نارية مردفا:

- «وقد وفقني الله في إتمامها..».

ثم نظر إلى (عمر) قائلًا بشيء من تهكم:

- «إذن فقد قررتَ الكشف عن وجهك الحقيقي أخيرا يا (كونفوشيوس)!».

تبدى الضيق على وجه (عمر) مغمغما:

- «كنتَ تعرف منذ البداية إذن..».

- «كيف لا وقد اختلفت طباع (عمر) ما بين ليلة وضحاها؟ (عمر) الذي لم يكن لينطق باسمي الحقيقي أمام غريب بتلك البساطة حفاظا على حياتي.. كما أنه لا يطيق السكريات كثيرا، وشراهته في أكل الحلوى ذكرتني بغريم قديم وماكر! غريم أسنانه مسوسة على عكس شريكي الذي يحافظ على نظافتها دائما!».

- «إذن فقد انكشفت بسبب التسوس! يا للسخرية! وأنا الذي ظننت كل تلك المدة أنني أخدعك!».

- «حظا موفقا المرة القادمة!».

تساءلت (حنين) باسمة وهي تلتفت إلى (عمر):

- «(كونفوشيوس)؟! أهذا ما يدعونك به في عالم المحققين؟».

- «بل هي التسمية التي أطلقها السنور علي..».

- «ولِمَ؟ أهي بقصد العبقرية؟».

أناب (أنبل) عن (عمر) بالإجابة:

- «بل لأنه لا يستطيع نطق ذلك الاسم بصورة صحيحة!».

- «أحقا ما تقوله؟ كل تلك العبقرية في التنكر والاختراع ولا يتمكن من نطق اسم (كونفوشيوس)؟!».

اكفهر وجه (عمر) من شدة الإحراج، في حين استرسل (أنبل) باسما:

- «إنها الحقيقة!».

ثم انفجر ضاحكا للمرة الأولى مذ تقابلا، فرمقته (حنين) بنظرة باسمة ومندهشة بآن واحد!

- «ماذا الآن؟».

قالها (زايسون) بجفاء أصابهم بالغم، فأمسكه (أنبل) من ذراعه قائلًا بجفاء مماثل:

- «أما عنك فستأتي معي طبعا باسم القانون!».

تمتم (عمر) ببسمة محرجة:

www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/

- «وماذا عني أنا؟».

- «السجن طبعا ما ينتظرك أيها العابث الماكر!».

همست (حنين) مشفقة:

- «ألا يمكنك الصفح عنه؟».

- «للأسف لا، فهو مجرم في نظر العدالة، ولابد أن ينال جزاءه..

وأنتِ.. أواثقة من قرارك؟».

التفتت إلى (سيلاج) و(جانيكو)، ومن ثم قالت بنبرة خفيضة وبسمة ذات دعة:

- «سأبقى!».

- «لا أستطيع تفهم السبب..».

تنحنح (جانيكو) قبل قوله:

- «نحن بحاجتها!».

وأسرعت (سيلاج) تقول بحماسة:

- «إنها المسلمة الأخيرة! الرمز الذي سيمنح الجميع الأمل هنا للبدء من جديد!».

لم يدر (أنبل) ما يقول..

فقط ناولها نسخة مفتاح المصعد الذي غنمه من (زايسون) قائلًا:

- «في حال غيرتِ رأيكِ..».

- «لن أغيره، ولكن قد أفاجئك بالزيارة عما قريب!».

- «وأنا سأكون بالانتظار..».

ونظرت إلى (عمر) الذي ابتسم قائلًا بإحراج:

- «هل ستزورينني في السجن؟ لا أظن ذلك!».

لكنها دنت منه، وعلى خده طبعت قبلة هامسة بحنو عذب:

- «بالطبع سأفعل، إنها أقل خدمة أصنعها لصديق!».

كاد الدمع يطفح من جفنيه، فأغمضهما سائلا (أنبل) بنبرة متأثرة:

- «هل نستطيع الرحيل الآن؟».

مدَّ (أنبل) كفه قائلًا لحنين:

- «إلى الملتقى إذن..».

مدَّت يدها هي الأخرى، فلما تلامستا سرى دفء شعرت به يتسلل مكملا الوجهة حتى بلغ قلبها..

رمقته بنظرة حملت شتى العواطف التي شعرت بها اتجاهه، وانفرجت شفتاها قليلا وكأنما أرادت البوح بكل شيء، إلا أنه لم يمهلها، بل سارع إلى اقتياد سجينه لداخل المصعد وهو يسأل (عمر):

- «متأكد من أنك أصلحته يا (كونفوشيوس)؟».

www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/

أجابه (عمر) بحماسة:

- «لا يوجد عطل واحد يقف في طريقي أيها السنور!».

وعندما استقر ثلاثتهم داخل المصعد، ضغط (عمر) زر الرقم (7) قائلًا:

- «انطلاق!».

وقبل انغلاق باب المصعد كليا، خيل لحنين أن بصر (أنبل) ظلَّ معلقا بها من الفرجة الضيقة حتى اللحظة الأخيرة..

■ ■ ■

قال (زايسون) بصوت هادئ واثق:

- «أنت تعلم بأن معركتنا الشرسة لم تنته بعد..»

تجاهله (أنبل) مراقبا شاشة الأرقام في سقف المصعد، فاسترسل ساخرًا:

- «سأخرج حتما، وعندئذ يبتدئ من جديد مسلسل القتل الممتع.. أنت تعلم أن شغفي ليس له حدود!»

صوَّب (كونفوشيوس) إصبعه على هيئة مسدس نحو صدغ (زايسون)، وبغلظة قال:

- «أرى أن نقتل هذا الوغد ونرتاح منه للأبد!»

قال (أنبل) فجأة:

- «لا، لدي حل أفضل..»

ثم ضغط زرا وبسرعة البرق، فانطفأ الرقم سبعة على الفور وتوقف المصعد بمكانه..

ضغط (أنبل) زر الرقم واحد، فعاود المصعد انطلاقته المباغتة!

- «ماذا تفعل؟»

كذا هتف (كونفوشيوس)، فرمق (أنبل) القاتل عديم الشفقة بنظرات قاسية مدمدما:

- «أنت على حق يا (زايسون)، فما من سجن يصلح لحيوان مفترس مثلك!»

- «شكرا على هذا الثناء!»

- «لذا أوجدت لك مصيرا أفضل، أفضل للجميع!».

أخيرا همد المصعد وانفتح بابه، فوقع بصر (كونفوشيوس) على مشهد مألوف للغاية..

المشهد الذي يماثل اللوحات القوطية المرعبة! حيث الأفق الأرجواني الرهيب والبنايات الخربة والأشجار المتفحمة بفعل حرائق غامضة..

وبالطبع، الجثث المروعة التي تآكلتها الطيور الجارحة في كل ركن وكل زاوية من أرجاء ذلك العالم المرعب!

- «ماذا ستفعل؟!».

www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/

قالها (زايسون) وقد فقد ثقته بنفسه، ففك (أنبل) قيوده قبل أن يلكمه في أنفه لكمة رمت به خارجا..

- «أريدك قبل رحيلنا أن تتذكر ضحاياك أيها الوغد! تذكر في لحظاتك الأخيرة أن الروح غالية، بل هي أغلى ما في الأرض، فهي ليست مجرد أداة للهو والتعذيب!».

وانغلق باب المصعد ببطء، فهجم عليه (زايسون) بجنون وهو يصرخ:

- «سأقتلك!!»

إلا أن الباب المعدني البارد كان أسرع منه بجزء من الثانية!

تلفت من حوله وقد استشعر مذاق الخوف الحق للمرة الأولى في حياته بأسرها..

وفي منتصف الشارع تقريبا، وقع بصره على جثة طفلة شبه متحللة، قضت نحبها بفعل الطاعون الرهيب الذي اجتاح هذا العالم المرعب..

ارتجفت شفته السفلى مغمغما كأنما يهلوس وهو يتلمسها:

- «الطاعون بقي سنوات سبع.. لكن الذي لم تحن منيته لم يمت!»

وعندما رفع أنامله عن شفتيه، وجدها ملوثة بالدماء إلى حد مفزع!

الفصل الثامن والأخير

غرفة الألغاز

www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/

36

انفتح بـاب المصعد ليخرج منه كل من (أنبل) و(كونفوشـيوس) وهما يسعلان من كثافة الدخان!

كان الشرر قد تطاير من حولهما، وتسللت رائحة الحرق المزكمة للأنوف، فهتف (أنبل):

- «ماذا حدث؟».

- «لا أعلـم، يبدو وأن إحدى الدوائر في حاسـوب الأزرار قد احترقت..».

- «لا بأس، طالما نحن في..».

علقـت العبارة في حلقه لما وقع بصـره على غرفة لا بأس بها من ناحية التأثيث، لكن..

- «ما هذا بحق الله؟».

على الجدران وضعت صور فوتوغرافية عديدة، العشـرات منها، وكلها لأناس مبتسمين من مختلف الأعمار!

www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/

كانت هنالك أيضًا قصاصات جرائد قديمة، وملاحظات مدونة بخط اليد، ومعلقة فوق كل صورة، كما أن بقعا من الدم انتشرت في أرجاء تلك الغرفة!

- «أين نحن بحق الله؟! ألم يكن من المفترض أن نكون في..».

صمت بغتة وهو يرمق (كونفوشيوس) بنظرة متفحصة متشككة، فغمغم الأخير باسما بارتباك:

- «ماذا؟».

- «أنت عبثت بحاسوب الأزرار كي لا نصل إلى عالمنا!».

- «ماذا؟!».

- «كفَّ عن التظاهر أيها الوغد!».

وهنا اتسعت بسمة (كونفوشيوس) كاشفة عن أسنانه المسوسة بفعل الحلوى، وبمكر همس:

- «لا أستطيع العودة للسجن، وأنت تعلم ذلك يا سنور!».

- «ولماذا أنت خائف منه؟ لن تنعدم الحيلة لديك! ليلة أو ليلتان قبل أن تفر منه وتبدأ بمضايقتي من جديد!».

- «ربما! لكنني كرهت انتهاء مغامرتنا المثيرة معا عند هذا الحد!».

تنفس (أنبل) بعمق قبل أن يحول بصره مستكشفا أرجاء المكان، ومن ثم قال:

- «تبدو لي كغرفة فندق..».

- «لا بأس، ليس الأمر سيئا إلى هذا الحد، بإمكاننا الخروج من الباب..».

قالها متجها نحو باب الغرفة، لكنه لبث هناك مطولا وهو يحدق في القفل قبل أن يقول:

- «تعال وانظر إلى هذا..».

- «ماذا هنالك؟».

- «ثمة قفل الكتروني هنا، ولا يمكن تجاوزه إلا بكلمة مرور سرية!».

- «ماذا؟!».

- «يبدو وأننا نتعامل مع معتوه حقيقي هنا! ماذا عن النافذة؟».

اتجه (أنبل) نحو النافذة الموصدة، فألقى بنظرة قبل أن يقول:

- «نحن في الطابق الرابع!».

- «نخرج من النافذة إذن ونسير على الإفريز حتى نبلغ الحجرة المجاورة..».

كشف (أنبل) الستارة كي يتمكن (كونفوشيوس) من رؤية القضبان الفولاذية، فغمغم الأخير في كآبة:

www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/

- «ممتاز! إذن فقد هربت من سجن إلى سجن!».

- «تهانينـا! بم كنت تفكـر أيها الأحمق عندمـا قمت بتخريب مصعدك المأفون؟».

- «بالحرية!».

تجاهلـه (أنبـل) متقدما من بـاب الغرفـة، وتفحص قفلـه قبل أن يتمتم وقد عبس وجهه:

- «إنها شِفرة من سبعة أحرف!».

- «عظيم، فلنبدأ بالاستنتاج إذن!».

- «سـأبدأ بالاسـتنتاج، وأنـت ابـدأ بإصـلاح العطـل فـي المصعد..».

هكـذا عكـف (كونفوشيوس) علـى حاسـوب الأزرار فـي المصعـد محـاولا إصلاحـه، في حين عـاود (أنبل) تفحـص الصور والملاحظات..

قـال بشـرود ذهـن وسـبابته ترسـم خطوطـا مـا بيـن الصـور والملاحظات:

- «الأمور باتت واضحة الآن! هؤلاء اختطفوا من ذويهم!».

- «وكيف عرفت؟».

- «قصاصـات الجرائـد كلهـا تتحـدث عن خاطـف مهووس بالقتل..».

- «وتلك الأوراق المدونة بخط اليد؟».

- «الخاطـف القاتـل، إنهـا ملاحظاتـه عـن ضحاياه، كمـا أنه يحتفظ برسائل أهالي الضحايا كلها..».

وصمت معاودا القراءة بصوت مسموع:

- «إلى (الملك المشـاغب)! أعلم بأنك تفكر في القتل كثيرا، لـذا أقايض حياة ابني بحياتي.. أريد أن أعرف أين اختفى فلذة كبدي كل تلك المدة.. أشعر أنك تفهمني.. إنه شعور الأم يا سيدي!

أنـت كانت لك أم يوما.. فكر كيف كانت تشـعر حين كنتَ تغيب عنها، وكيف كان القلق يلوك فؤادها الملتاع!

أتوسـل إليك يـا سـيدي النبيل أن تعيـد ولدي إلي وسـأكون لك ممتنـة.. لا بـل خادمة! سـأقبل الأرض التـي تطؤها لـو أعدته إلي.. سـأكون مدينـة لك للأبد! باللـه عليك أن تسـتعيد آدميتـك لدقيقة.. لثانيـة واحـدة فقط.. تذكر أنه وسـط الدم والمـوت والقتل ثمة ألم.. ثمة روح! أنت كائن من لحم ودم.. أرجوك لا تقتل ولدي!»

أزاح (كونفوشيوس) بوجهه جانبا وهو يقول:

- «يا لها من رسالة مؤثرة!».

- لقـد وضعها الخاطف فوق صـورة الولد المخطوف، والآن اسـمع ما دونه عنـه: «تخيل الصلابـة واللامبالاة لـدى إهالة التراب على جسد كائن حي صغير دونما رحمة أو شفقة! تخيل البرودة لدى

www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/

سماع صرخات الضحية وهي تستعطفه بألا يفعل.. ثم صب طبقة من الاسمنت على سطح التربة كي لا تفتح الضحية البائسة طريقا بيدها الحرة للتمكن من الخروج أو التنفس!»

وهنا أيضًا: «أخذت الفتاة البائسة إلى شقة في بناية مهجورة، وهناك بدأت بفعل أشياء شنيعة لها بالسكين، بعد أن جررتها للمغطس القديم والممتلئ بالمياه الملوثة!

أحيانا أخاف من ذاتي حقا، وبخاصة عندما أدرك بأنني لن أتوقف عن القتل نهائيا!»

همس (كونفوشيوس) مستبشعا:

- «السادي المريض الوغد!»

- «أجل، إنه لمعتوه حقيقي..»

- «نوعك المفضل! لقد حان موعد الرحيل إذن..».

وانفتح باب المصعد ببطء وسلاسة، فتبسم (أنبل) قائلًا بنبرة جافة:

- «كنتُ أعلم أنك تعبث فحسب، وبأن المصعد غير معطل!».

قهقه (كونفوشيوس) وهو يهتف متأملا أرجاء الغرفة المقبضة:

- «دعنا نغادر هذا الكابوس حالا، فالسجن في عالمنا أرحم منه..».

- «لحظة واحدة..».

وسار بخطى حثيثة حتى بلغ الباب المزود بالقفل الالكتروني، فضغط أزراره بسرعة وحنكة..

فجأة، أصدر القفل أزيزا قبل أن يحرك (أنبل) مقبض الباب، وإذ به ينفتح بكل سلاسة ويسر!

- «يا لك من عفريت! ماذا سجلت؟».

- «ا ل م ش ا غ ب.. إنه لقب الوغد في الرسالة!».

- «وماذا تنوي أن تفعل الآن؟».

- «ماذا تظن؟ سأخرج للبحث عن الوغد! وسأقبض عليه حتما!».

- «وماذا عن ديارنا حيث السجن بانتظاري؟ ماذا عن عالمنا؟».

- «بإمكانه انتظارنا.. هل ستأتي أم ستلوذ بالفرار؟».

كان الباب مفتوحا على مصراعيه كدعوة مفتوحة، فتبسم (كونفوشيوس) قبل أن يهتف بحماسة:

- «أنا معك دائما يا غريمي العزيز!».

وبسرعة وخفة سبقه للخارج، فلحق به (أنبل) وهو يقول بابتسامة متجهمة تحمل عبق التهكم:

- «أثناء ذلك سأعلمك كيفية النطق السليم للقبك!

من يدري؟ فقد تجيد نطقه قبل رحيلنا عن هذا العالم!».

www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/

صدر للكاتب وائل رداد:

رواية: «سأعطيك الحلوى شرط أن تموت»: شركة المطبوعات للنشر والتوزيع - لبنان

رواية: «موت سريري»: دار أكتب - مصر ط1/ منشورات ضفاف - لبنان ط2

رواية: «مذكرات الجرذان الغريقة»: ممدوح عدوان - سوريا

رواية: «سيمفونية وادي الظلال»: سندباد للإعلام والنشر - مصر ط1 / مداد للنشر - الإمارات ط2

رواية: «جنازة الملائكة»: دار رواية - السعودية ط1 / دار سما - الكويت ط2

رواية: «أمير وألف عدو»: دار اليمام - الكويت

«سيناريو الظلام: أمير الكوابيس»

«سيناريو الظلام2 المحقق السري»

ترجمات: «القصص المنسية»

«سجين الجحيم» - كلايف باركر

دار سما - الكويت

«كريبي باستاز: أساطير الانترنت المرعبة»: دار اليمام - الكويت

روايـات :

«المصعد رقم7» ج1

«التابع الحارس» ج2

«الهائمون» ج3

«مندوب الشيطان»

«ملاك جهنمي»

«الزيبق»

E Mail: waelnovel@gmail.com



www.sa7eralkutub.com